أخلاق الإمام علي (ع)

محمّد صادق السيّد محمّد رضا الخرسان



دار المرتضى



أخلاق

الإمام علي عليه السلام

أخلاق الإمام علي عليه السلام

بقلم

محمد صادق السيد محمد رضا الخرسان

دار المرتضى
بيروت

دار المرتضى

طباعة ,نشر ,توزيع

لبنان -بيروت , ص.ب :٢٥/١٥٥ الغبيري

هاتف فاكس : ٠٠٩٦١١٨٤٠٣٩٢

E-mail:mortada14@hotmail.com

DAR AL-MORTADA

Printing -Publishing -Distributing
Lebanon -Beirut
P O Box: 155/25 Ghobiery
Tel -Fax: 009611840392
E-mail:mortada14@hotmail.com

Printed In Lebanon

الطبعة الثانية
1427 هجرية
2006 ميلادية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الرابعة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله الميامين.

وبعد إذا كانت الأخلاق كمفردة لغوية تعني السجايا والطبائع.

وإذا كانت الأخلاق كمصطلح تعني الباعث على التكامل والمؤصل للحقائق في النفس البشرية، فإنّ وقفة إجلال تأملية بين يدي الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام - من خلال حِكَمِهِ القصار - لتكفي للاقتناع بأنه عاش حاملًا آلام الأمة ساعياً لتحقيق آمالها من خلال الحث على ما ينمّي معاني الخير ويزهر عناصره المترسخة في النفوس لولا تأثر بعضها بوساوس الشر، ولذا نجد اهتمامه عليه السلام بايجاد الحلول للمشكلات الحياتية بمختلف أنواعها، وكان من تلك الحلول ما احتوته صفحات هذا الكتاب الذي هو من هدي الامام علي عليه السلام في الأخلاق الفاضلة و الذي أرجو أن يكون حقاً حاكياً عن جانب من (أخلاق الإمام علي عليه السلام) عسى أن نكون جميعاً ممن يستمع القول فيتبع أحسنه ليؤدي دوره الفاعل في صلاح المجتمع بعدما يكون قد سعى لإصلاح نفسه وتعميم السجايا التكاملية فيها فنحظىٰ بالقبول إنه تعالى ولي ذلك والقادر عليه.

محمد صادق الخرسان

النجف الأشرف عيد الغدير الأغر لعام ١٤٢٤هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبد الله وآله الطاهرين.

وبعد، فهذه صفحات بين يدى القارئ الكريم اعرض فيها شيئاً عن شخصية الامام امير المؤمنين عليه السلام وما قيل فيه نثراً وشعراً مما ساقته القرائح للتعبيرعن الاعجاب بمواهبه المتعددة وقدراته التعبيرية البلاغية التى هيمنت على النفوس واستقطبت الاهتمام من جموع غفيرة مسلمين وغيرهم، فكانت محط اهتمامهم ولذا عبروا عن ذلك بما يأتي ذكر بعضه.

كما اعرض فيها شرحاً لمجموعة من الحِكَم المختارة من كلامه عليه السلام مستلة مما جاء في الجزء الأخير من كتاب نهج البلاغة للشريف الرضي راعيت في عملية اختيارها و انتقائها الكلمات المختصرة ذات المفردات الموجزة ولو نسبياً ليسهل تداولها حفظاً وفهماً لعامة الفئات العمرية، الثقافية، لتكون هذه الحِكَم مصدر قوة ودعم وتوجيه في مسيرة الحياة التي كثر العثار فيها بشكل أصبح يهدد سداد الافكار وسلامة التوجهات.. فكان لا بُدَّ من عرض ما ينفع

بهذا الصدد لتقوم الحجة على مَنْ ينحرف ويبتعد بعد هذا عن الخط المستقيم. فقد عالجت الحِكَم بشكلها العام مختلف الجوانب الحياتية التي تهم الرجال والنساء في مختلف شؤون الحياة وخصوصياتها، وقد جاءت هذه الحِكم المختارة وغيرها على ذات الطريقة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من حيث معالجة الهموم الاجتماعية المرصودة التي يهتم المصلحون بإيجاد مختلف الوسائل لمعالجتها ومنع توسع دائرتها وانتشار اخطارها فكان أثر القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في كلام الإمام عليه السلام واضحاً لأنه تلميذ مدرسة القرآن وربيب النبي الكريم صلى الله عليه وآله وهذه مكرمة تضاف إلى مكارمه عليه السلام حيث حظي بهذه العناية والرعاية المباشرة ممن لاينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى. ولذا كان بودي أن أعزز الحِكَم المختارة بما يناسبها من الآيات والأحاديث ولكن راعيت بعض المستويات المعروضة من أجل تثقيفها هذا الشرح لئلا يخرج عن إطار الشرح إلى مرحلة الاستدلال، ولكني مع ذلك قد ذكرت في جملة من الحِكم ما يناسب من الآيات أو الروايات ولو هامشاً لئلا تفوت الفائدة على مبتغيها.

ولما كان هدفي تقديم مجموعة من الحِكَم مشروحة بمستوى يعين القارئ على التأمل والتوقف عندها لتأخذ موقعها في قلبه، عقله، تحركاته اليومية، تصرفاته، فلم أتقيد برقم معين وإنما تركت ذلك لئلا تبقى القضية مجرد تقيّد بالرقم دون الاهتمام بالمُرَقّم بل



الامر أهم والعمر أثمن فلا بُدَّ من صرف الوقت في اللازم لمثل حال الناس الحاضر الذي يفتقدون فيه أبسط المقومات المعنوية لانقطاعهم مدة عن ذلك وانشغالهم بالماديات المغرية الملهية ولذا اصطدموا مع الواقع المؤلم والمرير فكان ماكان.. ومن المعلوم ان حالهم لايستقيم الا بالالتزام بخط الاسلام المتمثل فيما نقرأه من القرآن الكريم والروايات عن النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين وما أُثر وحُفظ عن وصي رسول الله امير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام ولايكفي مجرد قراءة ما لم يتبعها تطبيق وعمل إذ يكون العمل - عادة - بعد اقتناع وتصور تام وهو ما ينفع لتقويم حياة الفرد ومن ثُم المجتمع.

وكان دوري هو شرح المفردات اللغوية الغامضة من خلال الاستعانة بالمصادر اللغوية المتداولة مع الاهتمام بشأن وضوح التعبير في تلكم النصوص اللغوية الشارحة ولذا قد يقع اختياري لنص من مصدر دون آخر لذلك السبب ولئلا أنقل القارئ من مبهم إلى آخر كما هو الملاحظ في الكثير من المصادر او البحوث التقليدية عندما تشرح بعض المفردات اللغوية، فان المهم توضيح المفردة الغامضة وليس بالمهم - كثيراً - هوية المصدر خصوصاً بعد الاتفاق على ذات المعنى في المعاجم اللغوية العشرة المتيسرة لي وقتئذٍ، نعم تبقى ثمة مناقشات وايرادات من ذوي الاختصاص لم أجد كثير فائدة في التقيد بها لذات الهدف المبين ولاسيما وان بعض الفئات

المعروض أمامها هذا الشرح بما فيه، هم طبقة انصاف المتعلمين بل وأحياناً المستمعين من غير المتعلمين اساساً فكان من الضروري تأمين هذا الجانب التوضيحي لهم اهتماماً بشأنهم لانهم يكوّنون نسبة يعتد بها في المجتمع، لها دورها في تقديم افكار الاسلام من خلال كلمات عظمائه امثال الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام.

وقد التزمت في الشرح بأنْ أبيّن معنى الحكمة حسب المفهوم المتبادر اليه حفاظاً على روح النص من تأثير بعض ما يعمل عليه وهو غير أساسي فيه، وقد لا يكون له ادنى ارتباط وانما هي استيحاءات شخصية فإن ذلك يتعب القارئ و يبّعد عليه المسافة، وقد قيل إنَّ التبادر آية الحقيقة وعلامتها فيحسن جداً التمسك بذلك حتى لو تفاوتت الاذهان والانظار في تحديد المفهوم المتبادر اليه من الحكمة، كل ذلك ليبقى النص المعين بعيداً عن التفسير الباطني وما يسببه من إشكالات، ولو كان ثمة عذر لمن يلتزم بذاك الخط في مجالات اخرى فلا أجد عذراً لو كانت المحاولة في هذا المجال التوجيهي والتربوي الذي يعنى بشرائح من القراء والمستمعين لايهمهم سوى الاستفادة من النص المعروض كما هو، بعيداً عن الاحتمالات والاطروحات، خصوصاً وإنّا نعيش في عصر السرعة الذي تكتفي فيه الغالبية بالمعروض السريع، الاسهل تناولاً، الاكثر تلبية للحاجة، فلابُدَّ من السعي في هذا الميدان المتميز بالتوضيح

وتبسيط المعلومة إلى حد لايصعب كثيراً، لئلا يفسر الموقف بأنه قصور، أو عدم كفاءة، أوتحجّر في طرح المفاهيم الشرعية والتعاليم الإسلامية.

فكان من آثار ذلك الالتزام ببيان المفهوم المتبادر اليه: ان اختصر الشرح في بعض الحِكَم مقتصراً على المعنى ومكتفياً به من دون مقدمة بينما كان المناسب في البعض الاخر تقديماً يسبق بيان المفهوم المتبادر اليه وعادة ما تكون مادة التقديم معلومةً أكيدةً بحيث لا تكون عائقاً عن الربط مع موضوع الحكمة، فهذا عذري في تعدد أساليب العرض لأني أحسب أن جملة وافرةً منها تتسم بعنصر التشويق وكأنه حديث ثنائي، توصلًا لاستجلاء الحقيقة من خلال كلامه عليه السلام.

وقد كان شرح بعض الحِكَم يستدعي توقفاً عند بعض النقاط وتعزيزها بشواهد قرآنية وروائية وقصصية أحياناً خصوصاً وأنّ ذكر القصص يشدُّ بعض القراء ولكني اكتفيت بالاستشهاد في بعض الموارد بما ورد في الكتاب العزيز والسنة النبوية عن النبي الاعظم وأهل بيته عليهم السلام مما ورد في صحاح المسلمين وكتبهم الحديثية المعتمدة، فإنّ خير الكلام كلام ربنّا تبارك وتعالى ومن بعد ذلك حديث الصادق الأمين وسائر أوصيائه الأمناء على وحي الله تعالى، ليتعود هذا البعض من القراء أن لايقتصر على الشواهد القصصية ليستعين بها على فهم النصوص وهذا يصلح جواباً لمن اقترح عليّ تعزيز الاستشهاد بالروايات بما يناسب من رواياتٍ تأخذ طابع القصة.

كما قد كان شرح بعض الحِكَم يستدعي التقسيم إلى عدة أقسام ونقاط تسهيلًا لادراك دقائقها وما ينبغي الإلمام به من خلال مناسبة موضوع الحكمة. وبعد هذه المقدمة اتضح أن هذه الصفحات المعروضة تتألف من تمهيدٍ يدور الحديث فيه عن تاريخ نهج البلاغة، وجامعِهِ، ومَنْ كان كلامُهُ مادةَ نهجِ البلاغة وهو الإمام علي عليه السلام . ثم يفضي ذلك إلى استعراض بعض الحِكَم مشروحة بالطريقة السالفة الذكر.

وأخيراً، فانّ هذا الجهد محاولة أرجو لها من الله تعالى النجاح وأن تكون مصدر إضاءة لِمن يريد السير على خط الاسلام القويم وما يحققه للانسان من طموحات وآمال قصرت عن تحقيقها الماديات مع تطورها وتقدمها في ذلك المجال.

كما أحمد اللهَ على إنجاز هذا العمل سائلًا منه تبارك وتعالى القبول والتوفيق وإدامة النفع.

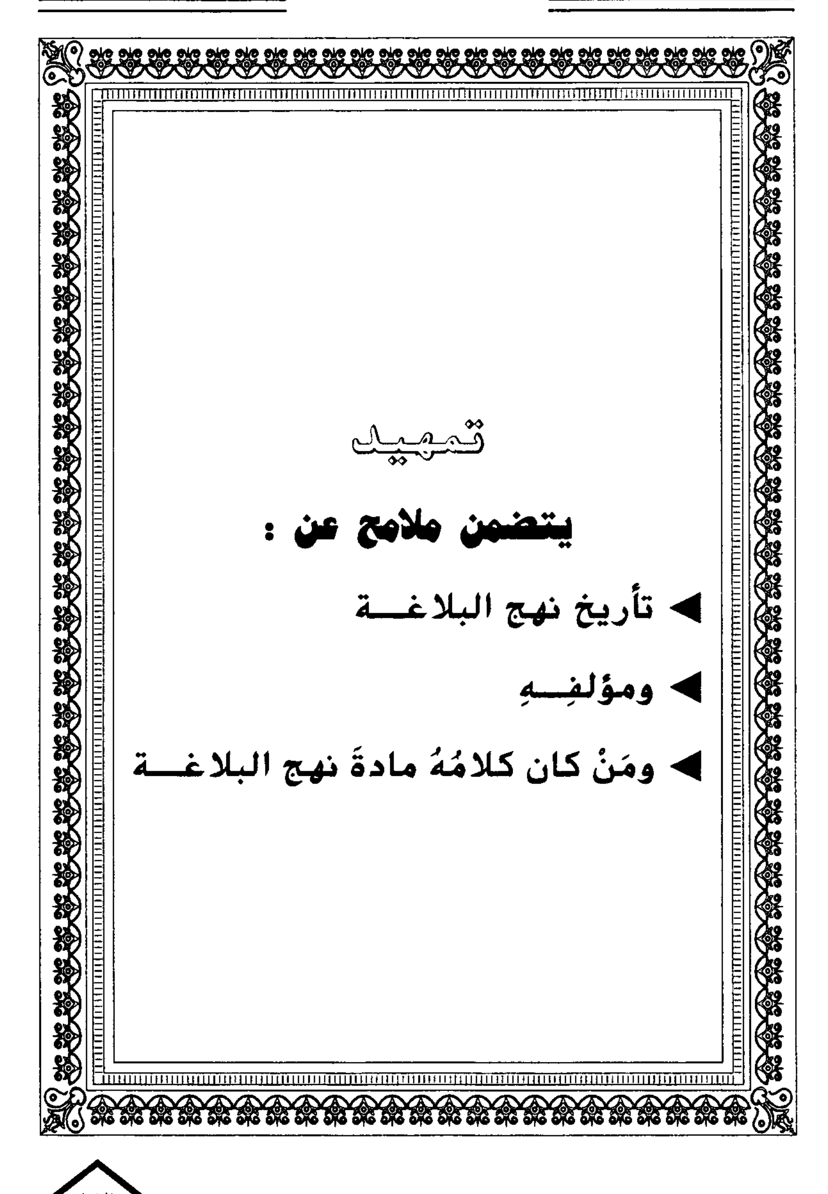
كما أستميح عذراً سيدي ومولاي وجدي أمير المؤمنين عليه السلام لو تجاوزت وحاولت شرح كلامه الشريف إلا أنها محاولة مبررة بما سبق شرحه وتبيانه لأكون قد ساهمت في تقديم ما يمكن في عملية إنقاذ بعض الناس مما هم فيه من الانهماك في جوانب بعيدة عمّا خُلِقوا لأجله المتمثل بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

والحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على سيد أنبيائه ورسله محمد وآله الطاهرين.

محمد صادق الموسوي الخرسان

١٦شهر رمضان المبارك / ١٤١٨ هـ

النجف الأشرف



تمهيد

يتضمن ملامح عن :

- تأريخ نهج البلاغــة
- ومؤلفِـــهِ
- ومَنْ كان كلامُهُ مادةَ نهج البلاغــة



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد، فهذه فرصةُ لقاءٍ تتجدد مع القارىء الكريم في رحاب الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وكلماته الحِكَمِيّة لنتفيأ ظلال دوحة البلاغة والحكمة ونجتني ثماراً شهية ينفعنا التزود بها في رحلتنا عبر مسار الحياة العامة سواء الفردية أو الاجتماعية، ونقوّم من خلالها إسلوبنا في المعايشة لسائر الافراد مما يكسبنا الود والوئام والصفاء والوفاء وكل خصال الخير التي نشعر - اليوم - بمزيد الحاجة اليها فقد طغت وتحكمت معاني الشر وما يمثله من سلبيات في الحياة حتى باتت تلك الخصال الطيبة صعبة الحصول والمنال، وغير متيسر التوفر عليها والتخلق بها، فإنّ المحيط العام مفتقر اليها ومتطلّع نحوها، فقد تفشى كثيراً التفسخ والانحلال واصبح الانحراف عن خط الاسلام امراً مألوفاً فلا يملك أحد ان يُغيّر من ذلك شيئا ولو ملك الجرأة وصارح بالحقيقة فلا يُصغى اليه ولا يُلتفت إلى توجيهه على اساسٍ من التقدم والحرية ومماشاة الحضارة الموهومة..

فهي فرصة لنا معاً للتعرف على معالم الحضارة لدى الامام علي ابن أبي طالب عليه السلام ونظرته للمستقبل، وتعاليمه لمحبيه ومتّبعيه أياً كان اتجاههم الفكري، لأنّ الاسلام دين المحبة والتعاون ومكارم الاخلاق ومحاسن الصفات وبث القيم الانسانية الاصيلة لدى الآخرين مهما كانوا.. فنجد ان الاسلام يؤكد هذا دائماً ويحرص على ترسيخه في النفوس.. ويتمثل ذلك بما حوته السُنّةُ النبوية وروايات آل البيت عليهم السلام، وكان من ذلك: المأثور من كلام الامام علي بن أبي طالب عليه السلام.

وما وصلنا منه وأسعف الحظُ بالاطلاع عليه ينقسم إلى عدة أقسام:

الخطب، الكتب والرسائل، الحِكَم والكلمات القصار، الأدعية.

وما يخصنا فعلًا ان نتعرض لشرح مجموعة من حِكَمِهِ عليه السلام وكلماته القصار في مجال التثقيف الاجتماعي وتربية الإنسان على مختلف المستويات وبمختلف الاساليب، وحيث أنّي رجعت إلى الجزء الأخير من كتاب نهج البلاغة.

فلابُدَّ أولًا من معرفة شيء من تاريخ نهج البلاغة الذي يمثّل مجموعة وافية من كلامه عليه السلام.

إنّ (نهج البلاغة) هو مجموعٌ من كلام الإمام اختاره الشريف الرضي حسبما صرَّح به في المقدمة فقال:

(فإنّي كنت في عنفوان السن، وغضاضة الغصن ابتدأت بتأليف كتاب خصائص الائمة عليهم السلام يشتمل على محاسن أخبارهم وجواهر كلامهم: حداني عليه غرضٌ ذكرته في صدر الكتاب وجعلته أمام الكلام، وفرغت من الخصائص التي تخص أمير المؤمنين علياً عليه السلام، وعاقت عن إتمام بقية الكتاب محاجزات الزمان ومماطلات الايام، وكنت قد بوبت ما خرج من ذلك أبواباً وفصلته فصولًا فجاء في آخرها فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه عليه السلام من الكلام القصير في المواعظ والحِكَم والامثال والآداب دون الخطب الطويلة والكتب المبسوطة، فاستحسن جماعة من الاصدقاء والاخوان ما اشتمل عليه الفصل المتقدم ذكره معجبين ببدائعه ومتعجبين من نواصعه وسألوني عند ذلك ان أبدأ بتأليف كتاب يحتوي على مختار كلام مولانا امير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه ومتشعبات غصونه من خطب وكتب ومواعظ وآداب، علماً ان ذلك يتضمن عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة وجواهر العربية وثواقب الكلم الدينية والدنيوية ما لايوجد مجتمعاً في كلام ولا مجموع الاطراف في كتاب، إذ كان امير المؤمنين عليه السلام مشرِّع الفصاحة وموردها ومنشأ البلاغة ومولِّدها، ومنه عليه السلام ظهر مكنونها وعنه أخذت قوانينها وعلى أمثلته حذا كل قائل خطيب، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ ومع ذلك فقد سبق وقصروا، وتقدم وتأخروا، لأنّ كلامه عليه السلام الكلام الذي عليه مسحة من العلم

الالهي وفيه عبقة من الكلام النبوي، فأجبتهم إلى الابتداء بذلك عالماً بما فيه من عظيم النفع ومنشور الذكر ومذخور الأجر، واعتمدت به ان أبيّن من عظيم قدر امير المؤمنين عليه السلام في هذه الفضيلة مضافة إلى المحاسن الدائرة والفضائل الجمة وانّه عليه السلام انفرد ببلوغ غايتها عن جميع السلف الاولين الذين انما يؤثر عنهم منها القليل النادر والشاذ الشارد، واما كلامه فهو من البحر الذي لايساجل والجم الذي لا يحافل، وأردت ان يسوغ لي التمثل في الافتخار به عليه السلام بقول الفرزدق:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع(١)

فعلمنا من خلال مقدمته هذه أنّ (نهج البلاغة) هو من جمعِهِ وتأليفِهِ وليس من جمع الامام عليه السلام، نعم هو من كلام الامام عليه السلام لكنه ليس من تأليفه كما يظن الكثير، وقد تساءل - فعلًا - البعض عن وجود ومكان نسخة الاصل التي بخط الامام عليه السلام .

والشريف رحمه الله (يلتقط كلام امير المؤمنين عليه السلام التقاطاً ولايَقْفُو مع الكلام المتوالي لان غرضه ذكر فصاحته عليه السلام لاغير ولو أتى بخطبِهِ كلها على وجهها لكانت اضعاف كتابه الذي جمعه)(٢).

---

(١) مقدمة نهج البلاغة ص١١-١٢.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد المعتزلي مج١ ص٢٧٣ / ج٣ ص١٥٣.

وقد وجد هذا الكلام في مصادر تاريخية قديمة قبل الشريف الرضي مثل الكافي للشيخ الكليني المتوفى سنة ٣٢٨هـ، والتوحيد للشيخ الصدوق المتوفى سنة ٣٨١هـ، وتحف العقول للحسن بن شعبة الحراني من علماء المائة الثالثة، والعقد الفريد لابن عبد ربه المتوفى سنة ٣٢٧هـ، وتاريخ الطبري المتوفى سنة ٢١٠هـ وغيرها[١] مما يدلل على صحة النسبة وعدم كونه من وضع الشريف وجعله، مع أنه أجل وأرفع من ذلك، ووثاقته معلومة بما يشهد بورعه وتقواه وترفعه عن النسبة الباطلة.

مع أن الباحث يجد في بطون أمهات الكتب الشيء الكثير من كلامه عليه السلام، وقد بلغت المصادر وبعضها قبل سنة ٤٠٠هـ وهي سنة صدور النهج - مئة وأربعة عشر مصدرا[٢] -، بل أن بعض كلامه عليه السلام كالخطبة الشقشقية وجد (في كتبٍ صُنِّفَتْ قبل أن يُخلق الرضي بمئتي سنة بل - قبل أن يُخلق النَقيب أبو أحمد والد الرضي)[٣].

كما يجد الباحث أن الشريف رحمه الله يذكر - احياناً - مصدره كالبيان والتبيين للجاحظ وتاريخ الطبري والجمل للواقدي وغيرها

---

(١) ما هو نهج البلاغة ص٤٦-٤٧.

(٢) مصادر نهج البلاغة وأسانيده ج١ ص٢٩-٤١.

(٣) شرح نهج البلاغة (م. س) مج١- ص٦٩ /ج١ ص٢٠٥.

مما يبلغ الخمسة عشر مصدراً[١] مما يبعِّد احتمال الوضع و(أنّى للرضي ولغير الرضي هذا النَفَس وهذا الاسلوب)[٢].

وعلى أي حال فقد وَصَلَنا نهج البلاغة[٣] محفوظاً متسلسلاً بالاجازة المنتهية إلى جامعه مما يؤكد النسبة والصدور، وبذلك حفظ لنا - جزاه الله كل خير - ثروةً فكرية كانت موزعة في بطون المصادر - ولا يزال البعض منها - معرضة للضياع فقد أنعش بها الفكر الانساني بما فيها من اطروحات اصلاحية وتربوية... طرحها الإمام علي عليه السلام بما يفتخر به بنو الإنسان مهما اختلفت مذاهبهم، و أما الملامح التي وعدت بها عن شخصية الشريف الرضي فيكاد أن يكون من السهل الممتنع خصوصاً في هذه العجالة وبما يلائم طبيعة البحث...

فأما السهولة فباعتبار توفر المصادر الباحثة عن حياته، الفاحصة عن جوانب الإبداع فيها وما يستحق الدراسة والبحث وقد قدِّمت الاطروحات الأكاديمية وغيرها في ذلك بما يجعل التوفر على ترجمته أمراً ميسوراً لكثرة ما أُعد لهذا الغرض، كما أن من أسباب

---

(١) مصادر نهج البلاغة وأسانيده ج١ ص٤١-٤٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد مج١-ص٦٩ /ج١ ص٢٠٥.

(٣) يشار إلى أنّه قد نشرت مكتبة اية الله العظمى المرعشي النجفي في قم سنة ١٤٠٦ هـ مصورة من نسخة محفوظة نادرة من القرن الخامس الهجري كتبها الحسين بن الحسن بن الحسين المؤدب.

سهولة الحديث إمكانية التعبير وصياغة العبارة والحمد لله ولكن مع ذلك ما ان يبدأ الباحث بتجميع المعلومات فيقرأ ويقرأ ويفكر ويدوّن حتى يجد نفسه أمام شخصية ملؤها الفخر والافتخار، والعزة والاعتزاز، والنبل والسؤدد، والوفاء والعفة، والإباء وعلو الهمة، والشهامة والشجاعة، والشمم والشعور بالأصالة وكرم الأصل والمحتد، وطيب الأرومة والمنبت، حتى تكوّنت شخصيةً فذةً قلَّ نظيرها وعزَّ مثيلها، يصعب إيفاؤها حقها، وتأديتها استحقاقها.

وما أحسب أني مبالغ في وصفه بل أجدني مقصراً في أداء حقه عبر هذه السطور فانه يستحق أن يفرد بالدراسة..، فلقد حفظ للمسلمين بل للإنسانية تراثاً ضخماً كان مبثوثاً بل مبعثراً في الثنايا والزوايا، وما ندري فلعله لولا جهود الشريف الرضي في الاختيار والجمع لضاعت تلك الثروة العلوية ولما وصلت للاجيال كما وصلت إليهم بهذه الصورة البهية المؤطرة بإطار (نهج البلاغة) فانه رحمه الله وإنْ شدَّه الأسلوب البياني والأداء البلاغي، وأَخَذَهُ حُسنُ ذلك وجودته، إلا أنه بوّب ذلك أبواباً فكانت: الخطب، الكتب والرسائل، الكلمات القصار أو الحِكَم.

فقد صنَّف ما اختاره وفق ما يناسبه من تلك الأبواب ليجد الباحث بغيته في مظانها وقد صدر لوحده من دون كثير شرح في ثلاثة أجزاء أو أربعة أجزاء باختلاف الطبعات فجاء والحمد لله مجموعة رائعة تحكي صورة بديعة لحُسن التصوير وبليغ الأداء ومتانة السبك وبراعة

الوصول للمراد وسهولة التعبير عن المقاصد بالطرق السهلة السلسة التي تلتئم مع أساليب التعبير العربي وما عُرف به من رصانة ودقة في جانب، وسلاسة ورقة في جانب آخر.. بل وبقيت تلك الطرق المعبِّرة عن المقاصد متلائمة مع سائر الأساليب في بقية العصور التالية لذلك العصر بل في سائر البيئات والثقافات فقد جذب كلام الإمام علي عليه السلام - من خلال نهج البلاغة - كلَّ مَنْ قرأه وأمعن فيه وتأمله وأنصفه، ولم يتحيز، ولم يجانب الحق والواقع.

وقد سبق التنويه ببعض ذلك عند الحديث حول نهج البلاغة، فلا أُطيل.

اسمه ونسبه :

فهو من جهة الأب: محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم المجاب بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي السجاد بن الإمام الحسين الشهيد بن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

وهو من جهة الأم: محمد بن فاطمة بنت الحسين (أو الحسن) الناصر الصغير بن أحمد بن الحسن الناصر الكبير الاطروش صاحب الديلم بن الحسن بن علي الأصغر بن عمر الأشرف بن الإمام علي السجاد بن الإمام الحسين الشهيد بن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

فهو سليل الدوحة المحمدية، المتفرع من غصن الإمام موسى بن جعفر، بعدما أينعت به أُرومة علي وفاطمة، وقد طاب منبته وزكا.

مولده - وفاته - مدفنه:

ولد الشريف الرضي سنة ٣٥٩هـ ببغداد.

وتوفي يوم الأحد السادس من محرم الحرام سنة ٤٠٦هـ.

ودفن في الكاظمية ببغداد ويقال انه قد نقل بعد ذلك إلى كربلاء بالقرب من قبر والده أبي أحمد الحسين، ويوجد في الكاظمية مزار مشيد عليه قبة قد عُرف انه قبر الشريف الرضي.

آثاره - مآثره:

لقد اهتم بالقرآن الكريم فحفظه في سن الشباب ووَالى ذلك بأن بحث عن علومه فألّف: حقائق التأويل في متشابه التنزيل الذي قال فيه أستاذه ابن جني (صنف الرضي كتاباً في معاني القرآن يتعذر وجود مثله)، تلخيص البيان عن مجازات القرآن.

ولم يبتعد كثيراً إذ بحث عن (المجازات النبوية) الواردة في الأحاديث النبوية الشريفة، كما أنه لم يبتعد أيضاً إذ اختار من كلام الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام (نهج البلاغة).

فكان تركيزه على هذه المنابع الثلاثة: القرآن الكريم، الأحاديث النبوية، كلام الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو أمير المؤمنين

الذي قيل في كلامه انه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين عدا النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

قد أنشأ (دار العلم) كمدرسة علمية كان قد خصّص لطلبتها جميع ما يحتاجون اليه حتى أنه كان يتبعها مخزن فيه جميع ما يحتاج اليه الطالب من الأمور المادية، كما أنشأ مكتبة عُرفت بخزانة (دار العلم).

كما أنه في سنة ٣٨٩هـ قد افتدى هو وأخوه الشريف المرتضى ٣٥٥-٤٣٦هـ الحُجّاج الذين اعتقلهم ابن الجرّاح الطائي بدفعهما مبلغ تسعة آلاف دينار من أموالهما.

كما أنه قد عرف رحمه الله بشفاعته للآخرين وسعيه في قضاء حوائجهم مع ما هو عليه من نفس أبيّة عزيزة ترفض المنة والاستكانة ولكنها في ذات الوقت نفس كريمة تأبى إلّا أن تسعف المحتاجين وتنجدهم بما يستطيع ولو ببذل الجاه.

كما قد عرف بشدة رفضه للصِلات المادية وتعففه وتمنّعه من ذلك مهما كان المقابل.

وقد تولى نقابة الطالبيين وهي الجهة المسؤولة عن إحصاء الطالبيين ورعايتهم ومتابعتهم وحل قضاياهم وما إلى ذلك من شؤونهم وشجونهم.

كما قد تولى ديوان المظالم وإمارة الحُجّاج.

وقد تميز بقوة شاعريته وجودة شعره وبراعته في ذلك بما يؤهله لأن يكون أشعر قريش، وقد قيل إنَّ الرضي أعلم الشعراء لولا المرتضى، والمرتضى أشعر العلماء لولا الرضي.

وقد تساوى شعره في صباه وكهولته وفي فرحه وحزنه.

وفي نهاية هذا التعريف الموجز أرسم لوحة اعتزاز وتقدير وإجلال وإكبار لتلك الشخصية العلوية العربية التي ملؤها الإباء والشموخ.

وأما من كان كلامه محور الحديث فهو الإمام العظيم سيدُ البلغاء وامامُ الفصحاء وقائدُ الفرسان والشجعان وأميُر المؤمنين، الذي أذهل مؤرخيه والباحثين في شخصيته وحيّرهم فأُعجبوا به، وسنستعرض مجموعة نماذج لشخصيات لا تربطهم بالامام روابط نسبية أو مذهبية دينية وإنما يربطهم به ما هو أقوى وأشد في التأثير والانشداد وهو الفكر فقد وجدوا فيه ما افتقدوه في غيره، وعند غيره.

وأجدُ أن هذا الاساس في التعرف على معالم شخصية الامام من خلال إنطباع شخصيات غير محسوبة عليه مذهبياً هو الاجدى نفعاً.

فيقول ابن أبي الحديد المعتزلي مخاطباً الامام عليه السلام :

لولاحدوثك قلت انك جاعل   الارواح في الاشباح و المستنزع
لولا مماتك قلت انك باسط   الارزاق تُقْدرُ في العطاء وتوسع

والـلهِ لـولا حـيـدر مـا كـانـت الـدنـيـا ولا جَـمَـعَ الـبـريـةَ مـجـمـعُ
من أجله خلق الزمان وضوئِت   شـهـب كـنـسـن وجـنّ لـيـل أدرع
عـلم الـغـيوب الـيـه غـيـر مـدافـعٍ   والصبح أبيض مسفر لا يدفـع
والـيـه فـي يـوم الـمـعـاد حسابنـاً   وهـو الـملاذ لـنـا غـداً والـمـفـزع
لـولاك ما خلق الزمان ولا دجى   غـبَّ ابتلاج الفجر ليل أليـلُ[1]

ويقول الشاعر الاستاذ بولس سلامه :

يـاأمـيـر الـبـيـان نـهـجـك بـحـر   تـتـلاقـى الارواح فـي أثـنـائـه
مـتـعـة الـسـمـع والـقـلـوب رواء   وزئـيـر الاقـدار فـي أنـوائـه
غـضـبـة لـلـتـقـى ولـلـزهـد دوّت   فـي سـواد الـعـراق في بطـحـائه
يـاأمـيـر الـزهـاد صـيـتـك أنـقـى   من جبين العذراء قبل اصطلائه[2]

ويقول الاستاذ نصري سلهب (عليّ تجسيد للانسان على إطلاقه بكل ما في هذا التعبير من معنى آخذ في العمق والشمول، تقرأ سيرته فاذا طالعك خبر موته أحسست بالألم يحز في نفسك كأنما الرجل ميّت منذ يوم، واذا تتبعت ما جرى له من أحداث بدت لك تلك الاحداث من بنات الحاضر فاذا أنت شاهد عيان بل رفيق تعيش مع عليّ وتمشي معه جنباً إلى جنب، تتألم لألمه، تفرح لفرحه، تغضب لغضبه، ترضى لرضاه، تثور معه، تشاركه اختلاجات قلبه وضميره وخاطره.

---

(١) الروضة المختارة ص١٤٠-١٤٢-١٤٣-١٥٥.

(٢) ملحمة عيد الغدير ص١٩٩.

عليّ حيّ في خاطر كل انسان، مقيم في ضمير كل انسان، نابض مع قلب كل انسان، تخطى الزمان والمكان والقومية والدين، وسما وارتفع حتى غدا ملك الانسانية جمعاء، ذلك أنه تجسيد للانسان المطلق كما شاءه الله أن يكون لا كما هو كائن منذ أن كان... لقد كاد أن يكون أسطورةً من أحلى الاساطير، وعلى المرء أن يفتش كثيراً في أروقة التاريخ ليعثر على بشر تحلّى بمثل تلك الصفات التي تجمعت في ابن أبي طالب، لقد كان قمة جاورت الله فارتوت من الينبوع، فاذا به مزيج فريد من دعة وتقوى وزهد وُشِّيت جميعها بثاقب بصيرة وعمق تفكير وشجاعة قلما توفرت لرجل، فانطلق يعبر عن ذلك كله ببلاغة كانت ولاتزال مدرسة ومنهجاً ولعل خير وصف نصفه به أن نقول: لقد كان علي قرآناً حياً.. ولو لم يكن هاشمياً لسعت الخلافة اليه، ولكان أول خليفة في الاسلام قبل أبي بكر وعمر وعثمان)[1].

ويقول ابن ابي الحديد المعتزلي (فأما فضائله عليه السلام فانها قد بلغت من العِظَم والجلالة والانتشار والاشتهار مبلغاً يَسْمُجُ معه التعرض لذكرها والتصدي لتفصيلها فصارت كما قال أبو العيناء لعبيد الله بن يحيى بن خاقان - وزير المتوكل والمعتمد -: رأيتُني فيما أتعاطى من وصف فضلك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر والقمر

(١) في خطى عليّ ص٣٤٩ - ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٨٨.



الزاهر الذي لايخفى على الناظر فأيقنت حين انتهى بيَ القول منسوب إلى العجز مقصِّر عن الغاية فانصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك ووكلت الإخبارَ عنك إلى علم الناس بك، وما أقول في رجل أقرَّ له أعداؤه وخصومه بالفضل ولم يمكنهم جَحْدُ مناقبه ولا كتمان فضائله فقد علمتَ أنه استولى بنو أميةَ على سلطان الاسلام في شرق الارض وغربها واجتهدوا بكل حيلة في إطفاء نوره والتحريض عليه ووضع المعايب والمثالب له ولعنوه على جميع المنابر وتوعّدوا مادِحِيه بل حبسوهم وقتلوهم ومنعوا من رواية حديث يتضمن له فضيلة أو يرفع ذكراً حتى حظروا أن يسمى أحدٌ باسمه، فما زاده ذلك الّا رفعة وسموّاً، وكان كالمسك كلما سُتِر انتشر عَرْفه وكلما كُتِمَ تضوَّع نَشْرُه، وكالشمس لا تُستَر بالراح وكضوء النهار إن حُجِبت عنه عين واحدة أدركته عيون كثيرة، وما أقول في رجل تُعْزَى إليه كلُ فضيلة وتنتهي إليه كل فرقة وتتجاذبه كلُ طائفة فهو رئيس الفضائل وينبوعها وأبو عُذْرِها وسابق مضمارها ومُجلِّي حَلْبتِها، كلُّ مَنْ بزغ فيها بعده فمنه أخذ، وله اقتفى، وعلى مثاله احتذى)(١) ثم انه يدلل على ذلك فيبين نسبة العلوم والفضائل والطوائف اليه ثم يستطرد فيقول: (أحبَّ كلُّ واحد أن يتكثر به ووَدَّ كلُ أحد أن يتجمل ويتحسن بالانتساب إليه... وتحبه أهل الذمة على تكذيبهم بالنبوة، وتعظّمه الفلاسفة

---

(١) شرح نهج البلاغة (م. س) مج١ ص٥-٦/ج١ ص١٦-١٧.

على معاندتهم لأهل الملة، وتصوَّرُ ملوك الفرنج والروم صورتَه في بِيَعِها وبيوت عباداتها حاملًا سيفه مشمراً لحربه، و تصوِّر ملوكُ الترك والديلم صورته على أسيافها: كان على سيف عضد الدولة بن بُوَيْه، وسيف أبيه ركن الدولة صورتُه، وكان على سيف إلب أرسلان وابنه ملكشاه صورته كأنهم يتفاءلون به النصر والظفر)[1].

وقد قال الأستاذ فؤاد أفرام البستاني أستاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف ببيروت في كتابه «علي بن أبي طالب»:

(لعلي بن أبي طالب شخصية جذّابة حامت حولها أقلام الرواة والمؤرخين، واجتهدت في فهمها عقول النقاد والمفكرين، واهتدت بهديها ميول الزُهّاد والسالكين، وسار تحت لوائها الجم الغفير من المتأدبين ولم تكن الآراء المختلفة والنظريات المتباينة والمجادلات العديدة حوله على كرور الأيام إلا لتزيد الرجل سمواً، وعقليته بروزاً. فمَنْ هذا الرجل العظيم؟ وما هي قيمة رجل الأدب هذا؟ كان كبير القلب، شديد الإخلاص، قوي الإيمان، يذوب غَيرةً في سبيل الدين الجديد... الحكمة عند علي بن أبي طالب وافرة المعنى، جميلة المبنى، يأخذها عقليةً لا لون لها ولا رسم فتمر في مخيلته فإذا هي صورة جميلة تترجرج فيها الحياة.

(١) شرح نهج البلاغة (م. س) مج١ ص٩/ج١ ص٢٨-٢٩.

فهو حكيم قبل كل شيء، حكيم في جميع مواعظه وخطبه)[1].

فهذه نماذج شعرية ونثرية من صور الاعجاب والتقدير الصادرة من شخصيات انشدّت إليه لما لمست فيه ما افتقدته عند غيره، ولما تجسدت فيه من مقومات النجاح مما جعلته مُصلحاً عاماً وليس حكراً على مذهب أوفئة بل يستنير بتعاليمه الجميع ويتربى بتوجيهاته الكل وقد أجمع المسلمون على فضله وعلمه وأنّ (مَنْ اقتدى في دينه بعليّ بن ابي طالب فقد اهتدى... ومَنْ اتخذ علياً إماماً لدينه فقد استمسك بالعروة الوثقى في دينه ونفسه)[2] وأنه (ما قاتل علياً أحدٌ الّا وعلي أولى بالحق منه)[3]. وقد ورد في تفسير قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾[4] أنه (قال عليّ رضي الله عنه: هذه آية من كتاب الله ما عمل بها أحدٌ قبلي ولا يعمل بها أحدٌ بعدي، كان لي دينار فصرفته فكنت إذا ناجيته تصدقت بدرهم. وسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر مسائل فأجابني عنها. قلت: يا رسول الله ما الوفاء؟ قال:

---

(١) يلاحظ كتاب الراعي والرعية ص٣٢-٣٣.
(٢) تفسير الفخر الرازي ج١ ص٢٠٥-٢٠٧/ط٢.
(٣) شرح نهج البلاغة (م. س) ج١ ص٢٥٦/ج٣ ص١٠٢.
(٤) سورة المجادلة الآية ١٢

التوحيد وشهادة أن لا اله الّا الله، قلت: وما الفساد؟ قال: الكفر والشرك بالله، قلت: وما الحق؟ قال: الاسلام والقرآن والولاية إذا انتهت اليك...)[1].

ولم يحدثنا التاريخ عن انسان استجمع كل هذه الصفات أو أُستكملت فيه هذه الكمالات والمميزات، بل نقرأه يحدثنا عن احتياج غيره اليه ورجوعهم إلى منهله، فيسجل لنا مسائل في أيام الخلفاء الثلاث من قبله لم يهتدوا إلى الجواب الصحيح أو الحل المناسب فيها فلجأوا اليه عليه السلام فأسعفهم به وقد قال له الخليفة الأول: (بخ بخ لك يا أبا الحسن، وأين مثلك يا أبا الحسن)[2].

واشتهر عن الخليفة الثاني (لولا علي لهلك عمر)[3] أو (أعوذ بالله من كل معضلة ليس لها أبو حسن)[4].

وتستوقفنا اشارة مضيئة في تأريخ حياته وسجل صفاته عليه السلام وهي لا تقبل المراوغة في القبول والاذعان بل تستلزم الجزم إما

---

(١) تفسير النسفي ج٤ ص٢٣٥.
(٢) المناقب للخوارزمي الحنفي ص٤٥.
(٣) نفس المصدر السابق ص٣٩. ونحوه في تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص١١٠. دار الكتاب العربي - بيروت. وتذكرة ابن الجوزي وغيرها من المصادر المذكورة في كتاب الغدير ج٦ ص١٠٢/ص١١٠.
(٤) تأويل مختلف الحديث (م.س) ص١١٠.

بالقبول أو الرفض ألا وهو قوله صلى الله عليه وآله : (يا علي لا يحبك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق)[1] .

وفي رواية اخرى (لا يحبك إلّا مؤمن تقي ولا يبغضك إلّا فاجر ردي)[2] .

وفي رواية أم سلمة (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحب علياً منافقٌ ولا يبغضه مؤمن)[3] .

مما يحتم علينا التأمل والتمهل والتوقف لما في هذه الميزة من دلالة عميقة تدل على مدى علاقته بالله واتصاله الوثيق به، ولم تُذكر هذه ولا نحوها في مناقب غيره مهما بلغ شأوه وجهاده في الاسلام، فنستخلص من ذلك تفرده بهذه المنزلة والمكانة السامية.

ومما يجده المتأمل في سيرة الامام وتأريخه انه اعطى الدليل القاطع والبرهان الواضح على تقدمه وفضله وعظيم منزلته وعلمه لكل انسان بما يسعه فهمه وبما تدركه حواسه الباطنية والظاهرية.

---

(١) النصائح الكافية لمحمد بن عقيل العلوي الشافعي ص٨٣، ونحوه في شرح النهج مج١ ص٣٦٤ / ج٤ ص٨٣، وبلفظ آخر روي في مسند أحمد بن حنبل وكنز العمال. والرياض النضرة. لاحظ كتاب فضائل الخمسة في الصحاح الستة ج٢ ص١٩٧-٢٠٠ ط النجف.

(٢) المناقب (م.س) ص٢٣٤.

(٣) جامع الترمذي ج٤ ص٣٢٧.

فالمتكلم المنطيق والخطيب المفوه ينصت اليه مبهوراً وهو عليه السلام يهدر بذلك الكلام الفصيح والبيان الممتع سواء منه الخطبة الطويلة او الكلمة المقتضبه.

وقد أعجب (نرسيسيان) - رئيس كُتّاب القنصلية البريطانية في بغداد وهو من الأرمن - (بحسن التسجيع وكيف يجري الروي كالماء السلسال على لسان الامام عليه السلام)[1] حتى قال (ولو كان يرقى هذا الخطيب العظيم منبر الكوفة في عصرنا هذا لرأيتم مسجدها على سعته يتموج بقبعات الافرنج للاستقاء من بحر علمه الزاخر)[2].

ويقول المستر كربنكو الانكليزي أستاذ الآداب العربية في كلية عليكره الهندية عندما اجتمع الأساتذة والأدباء حوله في حفلة وسألوه عن إعجاز القرآن، أجابهم: (إن للقرآن أخاً صغيراً يسمى نهج البلاغة فهل في إمكان أحد أن ياتي بمثل هذا الأخ الصغير؟ حتى يسوغ لنا البحث عن الأخ الكبير، وإمكان أن ياتي أحد بمثله؟)[3].

ويقول ابن رشد: (ان في كلام علي من عجائب البلاغة وثواقب الحِكَم ما لايوجد في الكلام)[4].

---

(١) ما هو نهج البلاغة ص٧.

(٢) المصدر نفسه

(٣) المعجزة الخالدة ص٢٩-٣٠.

(٤) تحت راية الحق للسبيتي ص٤٤.

ويقول ابن ابي الحديد المعتزلي (وأما الفصاحة فهو عليه السلام إمام الفصحاء وسيد البلغاء وعن (في خ) كلامه قيل: دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين ومنه تعلّم الناس الخطابة والكتابة، قال عبد الحميد بن يحيى: حفظت سبعين خطبة من خطب الاصلع ففاضت ثم فاضت. وقال ابن نباته: حفظت من الخطابة كنزاً لايزيده الإنفاق إلّا سعة وكثرة، حفظت مئة فصل من مواعظ علي بن أبي طالب... وحسبك أنه لم يدوّن لأحد من فصحاء الصحابة العُشر ولا نصف العُشْر مما دُوّن له وكفاك في هذا الباب ما يقوله أبو عثمان الجاحظ في مدحه في كتاب البيان والتبيين وفي غيره من كتبه)(١)

ويقول الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية لسنة ١٨٩٩م (وليس في أهل هذه اللغة الا قائل بأن كلام الامام علي بن أبي طالب هو أشرف الكلام بعد كلام الله تعالى وكلام نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وأغزره مادة وأرفعه أسلوباً وأجمعه لجلائل المعاني)(٢).

ويقول بولس سلامة (ينظر اليه المفكر فيستضي بهذا القطب الوضاء ويتطلع اليه الكاتب الالمعي فيأتم ببيانه.. أما الخطيب فحسبه أن يقف في السفح ويرفع الرأس إلى هذا الطود الشامخ لتنهلّ عليه الآيات من عَلُ، وينطلق لسانه بالكلام العربي المبين الذي رسخ

(١) شرح نهج البلاغة (م.س) مج١ص٨/ ج١ ص٢٤-٢٥.
(٢) مقدمة نهج البلاغة ص٦.

قواعده أبو الحسن إذ دفعها إلى أبي الاسود الدؤلي فقال: أنح هذا النحو. وكان علم النحو)[1].

ويقول محي الدين الخياط[2]: (لئن فاخَرَ اليونان بديمستينوس والرومان بشيشرون والافرنسيون بفولتير والانكليز بملتون والايطاليون بدانتي فنحن نشمخ بأنفنا بالامام العظيم والعربي الصميم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رب الفصاحة والبلاغة... وهو أعلم الصحابه بلا استثناء وأفصحهم بلا مراء وأقضاهم بلا شبهة وأشجعهم بلا ريب وأشرفهم حسباً وأقربهم من النبي نسباً وأذودهم عنه بالسيف والسنان وأدرأهم بالبنان والبيان)[3].

فهذا حال المتكلم المنطيق والخطيب المفوّه وكذلك الفارس الشجاع يترسمه ويتمثل خطاه فإنه (لم تظل السماء أشجع من ابن أبي طالب، فعلي ذلك الساعد الاجدل اعتمد الاسلام يوم كان وليداً، فعلي هو بطل: بدر و خيبر والخندق وحنين ووادي الرمل والطائف واليمن، وهو المنتصر في صفين ويوم الجمل والنهروان والدافع عن الرسول يوم أُحد وقيدوم السرايا ولواء المغازي)[4].

---

(١) مقدمة ملحمة عيد الغدير ص٢٧.

(٢) شاعر أديب ولد في صيداء، له تعليق على شرح نهج البلاغة للشيخ محمد عبده - الاعلام للزركلي ج٨ ص٦٧ بتصرف.

(٣) تحت راية الحق السبيتي ص٤٥.

(٤) مقدمة ملحمة عيد الغدير ص٢٧.

وكذلك يقتدي به الناسك المتعبد ويردد مناجاته وأدعيته.

وكذلك يحتذي حذوه الحاكم العادل ويسير بسيرته ويلمّ بوقائعه اليومية لينهج نهجاً قويماً في تسييس حكومته.

ويأتي دور الإنسان البسيط غير المتعلم ولا المتكلم ولا الفارس ولاالحاكم بل حتى ولا المتعبد فتجده ينشدّ اليه ويُعجب به ويُعبر عن ذلك الحب والولاء الفطري بوسائل متعددة وكُلٌ حسب طريقته الخاصة...

هذه صفحات مشرقة منصفة مما سجله التأريخ، لكن نقرأ صفحات أخر سجلها التاريخ وحفظ فيها: إن أعداءه حاولوا طمس معالمه فلم يزده ذلك الا وضوحاً وشهرة وتفننوا في ذلك فيقول: (محفن أبن أبى محفن لمعاوية - متملقاً - جئتك من عند أعيى الناس، قال له: ويحك! كيف يكون أعيى الناس فو الله ما سنّ الفصاحة لقريش غيرهُ)[1].

أو ترى لايدري أنه كذلك؟! ولكنه أسلوب من أساليب الحملة المضادة للإمام عليه السلام، ثم لَتُطالِعُنا شهادة مبطنة ظاهرها لايتفق مع باطنها (لله أنت لولا دُعابة فيك أما والله لئن وَلَيْتَهُم لتحملنَّهم على الحق الواضح والمحجة البيضاء)[2]، ويردّ الامام عليه السلام على هذا

(١) شرح نهج البلاغة (م. س) مج١ ص٨/ج١ ص٢٤-٢٥.
(٢) شرح نهج البلاغة (م. س) مج١ ص٦٢/ ج١ ص١٨٦.

التضليل ومحاولة صرف الانظار عنه بقوله: (عجباً لابن النابغة يزعم لأهل الشام أن فيّ دعابة وأني أمرؤ تلعابة أعافس وأمارس، لقد قال باطلًا ونطق آثماً، أما وشر القول الكذب انه ليقول فيكذب أما والله إني ليمنعني من اللعب ذكر الموت، وإنه ليمنعه من قول الحق نسيان الآخرة)[1].

ثم تستمر الحملة الظالمة الآثمة فكان منها:

أن (كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة أن برِئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كل كورة يلعنون علياً ويبرؤن منه ويقعون فيه وفي أهل بيته)[2].

وكان منها أن (كتب معاوية إلى عمّاله في جميع الآفاق أن لايجيزوا لأحد من شيعة علي شهادة)[3].

ومنها أن (انظروا مَنْ قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيته فأمحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه... ومَن اتهمتموه

(١) نهج البلاغة ج١ ص١٤٧ بشرح محمد عبده، ويستحسن للقارئ الكريم مراجعة ما ذكره ابن أبي الحديد في شرحه مج٢ ص١١٥/ج٦ ص٣٢٨-٣٣٠ ليتضح له واقع الحال.

(٢) النصائح الكافية (م. س) ص٨٧-٨٨.

(٣) المصدر نفسه.



بموالاة هؤلاء القوم فنكّلوا به واهدموا داره)[1]. ويمر عبد الله ابن عباس (بقوم ينالون من علي ويسبونه - فيقول لهم-: أيكم الساب لله؟ فقالوا: نعوذ بالله أن نسب الله، فقال: أيكم السّاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قالوا: نعوذ بالله أن نسّب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: أيكم الساب علي بن أبي طالب؟ قالوا: أمّا هذه فنعم، قال: أشهد لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول مَنْ سبني فقد سب الله ومَنْ سب علي بن أبي طالب فقد سّبني)[2].

ويتساءل معاوية - مستغرباً - من سعد بن أبي وقاص فيقول له: (مامنعك أن تسب أبا تراب؟ فقال: أمّا ماذكرتُ ثلاثاً قالهن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلن أسبه لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليّ من حمر النِعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول له: . . . أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، وسمعته يقول يوم خيبر لأُعطينَّ الراية رجلا يُحبُّ اللهَ ورسولهَ ويُحبّه اللهُ ورسولهُ. قال فتطاولنا لها فقال: ادعوا لي علياً فأُتي به أرمد فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه، ولما نزلت هذه الآية ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١] (دعا

(١) النصائح الكافية (م. س) ص٨٧-٨٨.
(٢) النصائح الكافية (م.س) ص٩٢ وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص٨٣.



رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللهم هؤلاء أهلي)[1].

وبعد استعراض هذه النماذج نجد أنهم (سبّوه على المنابر وهو سيّد المنابر إطلاقاً. فعظُمَ وصغروا ولم يسبّهم بكلمة فازداد عظماً وازدادوا هم صغراً، لقد أحب الحق فأبغضه أصحاب الباطل ونقموا عليه)[2]، ويتضح جلياً الدافع وراء هذه الحملة بكل أساليبها وفصولها والتي لو وجّهوا بعضها لخدمة الاسلام والمسلمين لكانوا بأحسن حال ولكنها أحقاد بدرية وخيبرية وحنينية وما تلاها بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لأنه عليه السلام ما كانت لتأخذه في الله لومة لائم بل اتجه بكله نحو طريق الحق وتحمّل المصاعب والمتاعب لنعرف بعد ذلك أن (حياته حياة عظيم من عظماء البشرية أنبتته أرض عربية ولكنها ما استأثرت به، وفجّر ينابيع مواهبه الاسلامُ ولكنه ما كان للاسلام وحده)[3] بل شمل بعنايته ورعايته الجميع لأنه دائماً كان يفكر بهم، ويهتم لهم، ويهم عليهم ومن أجلهم لو

---

(١) صحيح مسلم ج٧ ص١٢٠ ورواه الترمذي في جامعه ج٤ ص٣٢٩-٣٣٠ ورواه أيضا الخوارزمي الحنفي في المناقب ص٥٩ ورواه الكنجي الشافعي في كفاية الطالب ص٨٥.

(٢) في خطى علي ص٣٨٦.

(٣) مقدمة ميخائيل نعيمه لكتاب الامام علي صوت العدالة لجورج جرداق ص٢٠ ط٢.

انحرفوا عن الطريق المستقيم، وهذه مميزات الحاكم العادل الذي لا يترك للمحسوبيات القومية أو المذهبية أو السياسية طريقاً إلى نفسه. بل يعامل الجميع بروحٍ واحدة ومقياس واحد ألا وهو انصاف المظلوم ونصرته، والحدّ من الظلم وسطوة الظالمين فكأنه بهذا علّم الاجيال دروساً تربوية في التعايش ليتوحدوا في خط الله ويسيروا على طريق الله ويحقق الجميع الغاية المنشودة المتمثلة في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[1] لنجد بعد ثلاثة عشر قرناً مَنْ يعي هذه الدروس فيستفيد منها ويدعو غيره اليها فيقول:

(إني وأنا أسير «في خطى علي» أدعو جميع أخوتي المسيحيين إلى الاقبال على «نهج البلاغة» يقرءونه بإمعان وعمق ليتبينوا فيه تلك الخيوط الروحية المشعة التي تشدّ المسيحي إلى المسلم لأنهما كليهما مؤمنان يغرفان إيماناً من كتاب الله، فلكل مؤمن أن يعمل وفق ما أوصى به دينه، وفي مثل هذه الحال يلتقي جميع المؤمنين في المحبة وفي الله)[2].

ولنجد أيضاً مَنْ يدرس هكذا شخصية فيخلص إلى:

(أن أقوال علي وأفعاله لتثبت أنه كان بصيراً بالامور وأبعادها،

---

(١) سورة الذاريات الآية ٥٦.

(٢) في خطى علي ص٣٤١-٣٤٢.

نافذ الفكر حتى الاعماق، عالماً بنفسية البشر وبما طُبِعوا عليه، ذا عقل ملمّ بالشؤون الخاصة والعامة باطنها وظاهرها، حكيماً، لايطأ إلّا الأرض الصلبة الصمّاء، وذا منطق سديد أنفذ إلى قلب السامع من سهم شديد، وفي نهج البلاغة خطب وكتب كثيرة تثبت صحة مانقول. وان بعض هذه الخطب والكتب لتصلح أن تكون نماذج للحكّام - حكّام الامس واليوم والغد - يرجعون اليها ليتبينوا فيها المبادئ العامة والخطوط الكبرى في سياسة الدولة وإدارة شؤونها وشؤون المواطنين)[1] ويستمر في تحليله ونظرته لشخصية الإمام عليه السلام من خلال نهج البلاغة فيكتشف أن (له في نهج البلاغة أمثالٌ بَلَغَ عليٌ قمة المستوى الانساني، فما هو بعربي يتحدث إلى عرب ولا بمسلم يحدّث مسلمين إنما هو مفكرمؤمن يخاطب البشر، جميع البشر منذ كان في الأرض بشر يعقلون إلى أن يقرّر الله مصائر خلائقه، ولاعجب.. فعليٌّ قرآن ناطق، عاش القرآن في قلبه وأجراه على لسانه هدى ورحمة للعالمين)[2].

وليجد إنه عليه السلام بهذا المأثور عنه من الكلام قد (أتحف العربية بسِفرٍ لايفوقه بلاغةً إلا القرآن الكريم ولا عجب في ذلك فهذا تنزيل من الله، وذاك من صنع الإنسان وما اقترب امرؤ من الله حرفاً وروحاً

(١) في خطى علي ص٢٤٤.
(٢) في خطى علي ص٢٧٥.

كاقتراب عليّ منه في «نهج بلاغتِهِ»)[1] وحقاً إنّ علياً اقترب من الله وفنى فيه حتى قال (لو كُشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً)[2] فهل يعجب متعجب، أو يستكثر مستكثر هذا العطاء عليه؟

حقاً إنه مدعاة للافتخار والاعتزاز والاقتداء وترسم الخطى ولكن كما قال الاستاذ سليمان كتاني (يا سيدي إنهم بدل أن يختلفوا اليك اختلفوا فيك؟! فمنهم من فقدوك وما وجدوك.. ومنهم من فقدوك ثم وجدوك.. ومنهم من وجدوك ثم فقدوك.. إنه لعجب عجاب!!)[3]، وأيضاً كما قال الاستاذ جبران خليل جبران (فتاهوا بين مناهج بلاغته وظلمات ماضيهم فمَن أعجب بها كان إعجابه موثوقاً بالفطرة ومَنْ خاصمه كان من أبناء الجاهلية)[4].

وهذا مِن بعض الضيم والهضم الاجتماعي للإمام وما يتحلى به فإنّ صور الظلم والتجاوز عليه كثيرة ولكنه بقي مع ذلك محط انظار العالمين ومعقد آمالهم في الاصلاح والانقاذ ويبقى علي بافكاره، بمبادئه، بمواقفه، بمآثره، بتضحياته، بزهده في المناصب، بسعي

(١) في خطى علي. ص٣٢٣.
(٢) قرة العيون للفيض الكاشاني ص٣٣٣، ونحوه في شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة مج٢ ص٢٤٩، ج٧ ص٢٥٤، وأيضاً ج١٠ ص١٤٢.
(٣) الإمام علي نبراس ومتراس ص٥١ ط٢.
(٤) ملحمة عيد الغدير لبولس سلامة ص٢٢.

الدنيا إليه ورفضه لها حتى قال (يادنيا يا دنيا إليك عني، أَبيّ تعرضت أم إليّ تشوقتِ هيهات غرّي غيري لا حاجة لي فيك قد طلقتكِ ثلاثاً لا رجعة فيها فعيشك قصير، وخَطَرك يسير وأمَلُكِ حقير آه من قلة الزاد وطول الطريق وبُعْدِ السفر وعظيم المورد)[1].

وتصعب هذه المصارحة وتثقل على طلاب الدنيا فيحولون الاتجاه ويحاولون صرف الأنظار والتعتيم من حول الإمام عليه السلام بما أُتوا من قوة وعدة. . . وحين يُتساءل: هل أثّر هذا عند الإمام علي أو فيه أو عليه أو قلّل من عظمته؟ فيجيب الشاعر السّماوي[2] بقوله:

وهـذا عـليّ والاهـازيـج بإسـمـه　　تشق الفضا النائي فهاتوا معاويا
أعيدوا ابن هند إن وجدتم رفاته　　رفاتاً وإلّا فانشروها مخازياً[3]

وحقاً إنها مخازٍ، لأن الواقف (على قبر معاوية) يجده كما قال الشاعر محمد مجذوب[4]:

كتلٌ من التُرْبِ المهين بخربةٍ　　سكر الذباب بها فراح يعربد
خفيت معالمها على زوارها　　فكأنها في مجهل لا يقصد

---

(١) نهج البلاغة ج٤ ص١٦ بشرح الشيخ محمد عبده.
(٢) المرحوم الشيخ عبد الحميد السماوي المتوفى سنة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
(٣) ديوان السّماوي ص٢٨١ ط١/دار الاندلس بيروت سنة ١٣٩١هـ.
(٤) مقدمة النصائح الكافية للسيد محمد رضا الخرسان ص١١.

بينما الواقف (على ضريح علي) يجده مقصد الزائرين وكعبة الوافدين وملاذ المستجيرين ذلك لأن:

تلك العظام اعزّ ربك قدرها فتكاد لولا خوف ربك تُعبد
أبداً تباكُرها الوفود يحثّها من كل صوب شوقها المتوقد

ولنفسح الطريق أمام الباحثين ليبحثوا وليتأملوا، ولنبعد عنهم المؤثرات الجانبية ليخلص حكمهم من شوائب التأثر النفسي والانشداد العاطفي ليقولوا كلمتهم وليسمعها الجيل الصاعد من شباب المستقبل لئلا ينجرفوا وراء وسائل التضليل الاعلامي التي كُرست لهم، وصُنعت خصيصاً - لاستقطابهم، فابدل وا بالابطال المسلمين ثمة أشخاص لا يُعرف لهم ماضٍ، وإن عُرف فهو غير مستحق لكل هذا الاعجاب والانقياد لأنه لايعدو كونه ماضياً لإنسان أو إنسانة سلك مختلف الطرق من أجل الوصول إلى غايته، بينما يطالعنا في هذا الجانب: الماضي المشرق والمشّرف لإنسان ولد في الكعبة في بيت الله الحرام ومات في محرابه في جامع الكوفة، ربّاه في صغره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم آخاه واستوزره ثم استخلفه فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: (انّ أخي ووزيري وخير مَنْ أخلفه بعدي عليّ بن أبي طالب)[1].

وهذا مثال لواحد من أولئك الابطال المسلمين مما يحتّم علينا

(١) المناقب (م.ن) ص٦٢.

الالتحاق بركبه والاهتداء بهديه ليتزن سلوكنا ويحسن تعاملنا ولنعرف أننا مسئولون عن مهمات، مكلَّفون بواجبات لم نُترك بلا رعاية حتى نسمح للآخرين بالمتاجرة بنا: بأخلاقنا، بمبادئنا، بحل مشاكلنا، باختراق أفكارنا. لأن من أهم ما يُعرِّض الإنسان إلى الخطر هو شعوره بالفراغ النفسي والخواء الفكري، فلا يجد من نفسه الثبات على أرض صلبة ليستطيع من خلال الاعتماد عليها مواجهة العاديات والمخاطر ومكافحة الأوبئة الفكرية ومناهضة الآراء المنحرفة التي تدخلت في أغلب تفاصيل الحياة. وعندها تتدهور الحالة النفسية وتخرب البنية الداخلية للإنسان فيبدو مهزوز الشخصية يستجيب بلا مناقشة، وعندئذ لاتصعب السيطرة عليه ويسهل الالتفاف من حوله ليقع فريسة، وهذا ما احتاط له الإمام عليه السلام بقوله (ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلِّموا)[1]. وهذا إجراء حكيم لحفظ أفكار الطليعة من شباب المستقبل. فألزم بالتعلم وبإزائه التعليم لأنّ ذلك الوسيلة الوحيدة في التحصين الفكري والحماية لأخلاقهم.

ومن هذا المنطلق التقينا في رحاب الإمام عليّ عليه السلام لنهتدي بسيرته ونلتزم طريقته، ولو استهدينا الأدلاء لأرشدونا إليه.

ألا نسمع الحسن البصري وهو يقول: (كانت له السابقة والفضل

(١) نهج البلاغة ج٤ ص١١٠، بشرح الشيخ محمد عبده.

والعلم والحكمة والفقه والرأي والصحبة والنجدة والبلاء والزهد والقضاء والقرابة، إنَّ علياً كان في أمره عَلياً، رحم الله علياً وصلى عليه... والله انه آل محمد كلهم)[1].

ونسمع الاستاذ جورج جرداق وهو يقول: (فإذا هو الإمام في الأدب وسرّه البلاغة، كما هو الإمام في ما أثبت من حقوق وفي ما علّم وهدى! وآيته في ذلك (نهج البلاغة) الذي يقوم في أسس البلاغة العربية في ما يلي القرآن من أسس، وتتصل به أساليب العرب في نحو ثلاثة عشر قرناً فتبني على بنائه وتقتبس منه ويحيى جيّدها في نطاقٍ من بيانه الساحر، أما البيان فقد وَصَلَ عليٌّ سابِقَهُ بلاحقه فضم روائع البيان الجاهلي الصافي المتحد بالفطرة السليمة إتحاداً مباشراً إلى البيان الإسلامي الصافي المهذَّب المتحد بالفطرة السليمة والمنطق القوي إتحاداً لا يجوز فيه فصل العناصر بعضها عن بعض فكان له من بلاغة الجاهلية، ومن سحر البيان النبوي ما حدا بعضهم إلى أن يقول في كلامه أنه (دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق)، ولا غرو في ذلك، فقد تهيأت لعليّ جميع الوسائل التي تعده لهذا المكان بين أهل البلاغة فقد نشأ في المحيط الذي تسلم فيه الفطرة وتصفو...)[2]، ولنسمع الاستاذ بولس سلامة وهو يقول: (إن

---

(١) شرح النهج (م.ن) مج١ ص٣٦٩ = ج٤ ص٩٦.

(٢) الإمام علي صوت العدالة ج٣ ص١٨٤.

العروبة المتيقظة اليوم في صدور ابنائها من المغرب الأقصى إلى آخر جزيرة العرب لأحوج ما يكون إلى التمثل بأبطالها الغابرين وهم كثيرون على أنهم لم يجتمع لواحد منهم ما اجتمع لعليٍّ من بطولة وعلم وصلاح، ولم يقم في وجه الظالمين أشجع من الحسين فقد عاش الأب للحق وجرّد سيفه للدفاع عنه منذ يوم بدر، واستشهد الابنُ في سبيل الحرية يوم كربلاء ولاغرو فالأول ربيب محمد والثاني فلذة منه)[١].

ولنسمع الاستاذ تصري سلهب وهو يقول: (ومهما جلنا في «نهج البلاغة» فلن يسعنا أن نورد إلا نقطة من بحر، أو زهرة من مرج يموج بالازهار، غير أن علياً نفعنا الله بعلمه وتقواه لا يمكن فهمه والنزول إلى أعماق قلبه وفكره إلا من خلال «نهج البلاغة».. ولا تحسبنّ «نهج البلاغة» سِفر سياسة وإدارة وإيمان فحسب، ولا مجموعة مواعظ في شؤن الحياة وشجونها فحسب، ولا هو كتاب حِكَم وعِبَر فحسب، هو ذلك وأكثر من ذلك بكثير.. وخير سبيل إلى النهج قراءته فإليه ادعو قارئي واثقاً من أني أدعوه إلى ما فيه خيره ونفعه وصلاحه.

إن النهج لمدرسة ليست بحاجة إلى معلم، فالمعلم الكبير يهيمن

---

(١) ملحمة عيد الغدير ص٢٤.

على كل صفحة من صفحاته بل روحه تخيم فوق كل كلمة من كلماته!)[1].

ولنقرأ لابن أبي الحديد المعتزلي عندما عَقَّبَ على خطبة الإمام عليه السلام التي تتضمن ما للملائكة من المزايا، ويوم البعث والموت، قال بعدها: (مَنْ أراد أن يتعلم الفصاحة والبلاغة ويعرف فضل الكلام بعضه على بعض فليتأمل هذه الخطبة فإنَّ نسبتها إلى كل فصيح من الكلام ماعدا كلام الله ورسوله نسبة الكواكب المنيرة الفلكية إلى الحجارة المظلمة الأرضية... فجزى الله قائلها عن الإسلام أفضل ما جزى به ولياً من أوليائه، فما أبلغ نصرته له، تارة بيده وسيفه وتارة بلسانه ونطقه وتارة بقلبه وفكره، إن قيل جهادٌ وحرب فهو سيد المجاهدين والمحاربين، وإن قيل وعظٌ وتذكير فهو أبلغ الواعظين والمذكّرين، وإن قيل فقهٌ وتفسير فهو رئيس الفقهاء والمفسرين، وإن قيل عدلٌ وتوحيد فهو إمام أهل العدل والموحدين:

وليس على الله بمستنكَرِ أن يجمع العالم في واحد)[2]

وقال في معرض تعقيبه على خطبة أخرى للإمام عليه السلام تتضمن التوحيد: (واعلم أن التوحيد والعدل والمباحث الشريفة الالهية ما

(١) في خطى عليّ ص٢٧٤-٢٧٩-٢٨٠.

(٢) شرح نهج البلاغة مج٢ ص٢٣٠-٢٣١ = ج٧ ص٢٠٢-٢٠٣.

عُرفت إلا من كلام هذا الرجل وان كلام غيره من أكابر الصحابة لم يتضمن شيئاً من ذلك أصلًا ولا كانوا يتصورونه ولو تصوروه لذكروه وهذه الفضيلة عندي أعظم فضائله عليه السلام)[1].

ولنلتزم نصيحة الأدلاء - وهم غير متهمين بجنوح أو انحياز إليه - ولنقرأ كلام الإمام فنتوقف عند كلماته لنفهمها في حياتنا ليعطينا ذلك مناعة قوية ضد الافكار المسمومة المبثوثة مرئياً أو مقروءاً أو مسموعاً.

وفي نهاية هذا اللقاء في رحاب الإمام عليّ عليه السلام ونهج بلاغته أحسب أني قد وفيت بحق الصحبة للقارئ الكريم فعرضت أمامه صوراً مما سجله التاريخ عن شخصية الإمام وعن المأثور من كلامه مع الإشارة إلى محاولات التعتيم ليتنبه لذلك وإن كان واقع الحال كما قال الإمام الشافعي (أنكر أعداؤه فضلَهُ حسداً وطمعاً، وكَتَمَ أحباؤه فضلَهُ خوفاً وفَرَقاً وفاض ما بين هذين ما طبّق الخافقين)[2] وحقاً انه كذلك فإنّ الدارس لشخصيته، والمتأمل فيها لا يملك نفسه إلا أن ينطق بالحق وذلك في سبيل الحق ولأن الحق ينطق منصفاً وعنيداً - كما قيل-.

فإلى الاقتداء والاهتداء به عليه السلام من خلال الفصل القادم وما

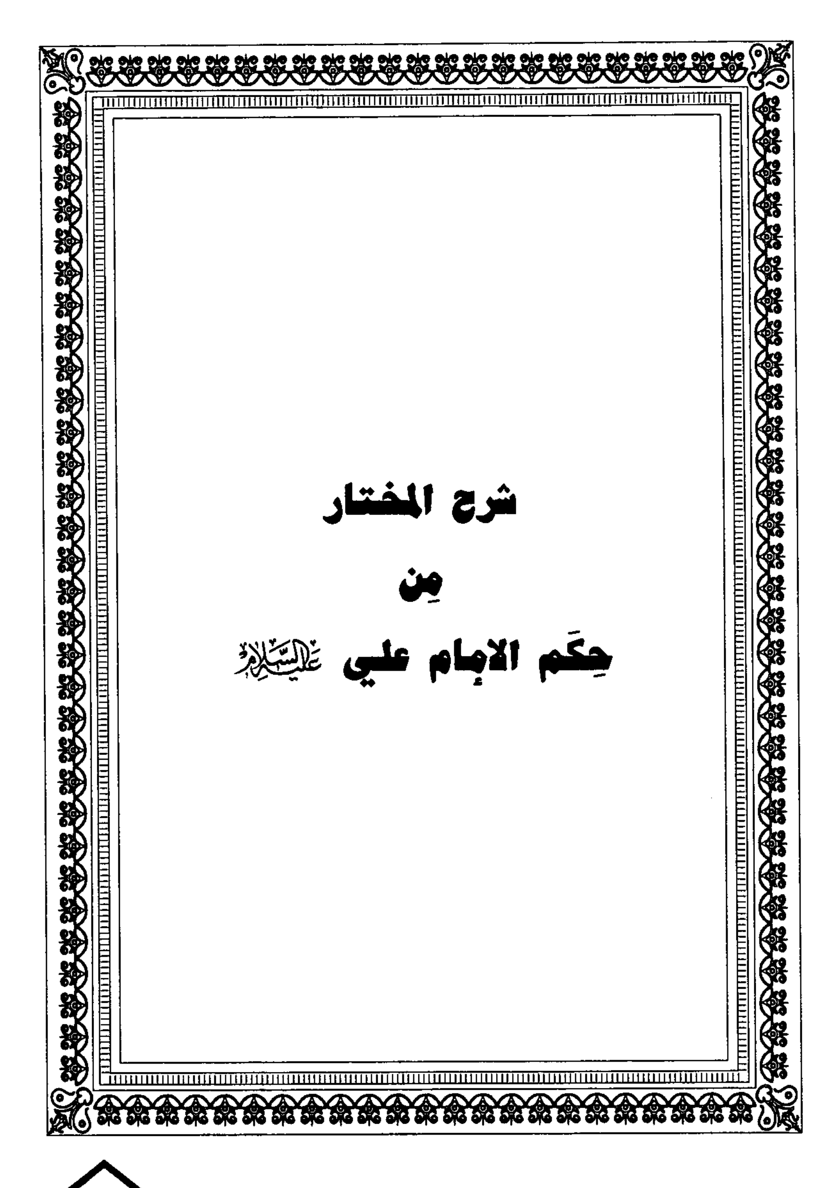
---

(١) شرح نهج البلاغة مج٢ ص١٢٠ = ج٦ ص٣٤٦.

(٢) تحت راية الحق ص٤٤.

اخترته من كلماته الحكميّة القصار، وشرحها الموجز بما يوضح المقصود ادعو القارئ الكريم إذ أتمثله عليه السلام وهو يدعونا برفق لتصحيح مسيرتنا في الحياة وتنظيمها وفق مفهوم ومُثُل ترقى بنا نحو مدارج الخير والفلاح والسداد، فإلى هناك ومن الله التوفيق.





شرح المختار

مِن

حِكَم الإمام علي عليه السلام



حرف الألف

◀ ١ - قال عليه السلام:

اتقوا معاصي الله في الخلوات فإنّ الشاهد هو الحاكم.

الدعوة إلى مراقبة الله تعالى دائماً وفي جميع الحالات وخصوصاً تلك التي يظن العبد ان الله تعالى غير مطلع عليه، فانه سبحانه محيط بنا ومطلع علينا وقد اودع كلَّ واحدٍ منا ما يسجل عليه اعماله فلا يمكن للعاصي ان ينكر معصيته او يزوّر في كيفيتها بما ينجي به نفسه، وبموجب هذه الشهادة يصدر الحكم بالادانة.



◀ ٢ - قال عليه السلام:

أحبِبْ حبيبك هَوْناً ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هَوْناً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما.

الدعوة إلى التوازن في العلاقات الاجتماعية، والاعتدال في الحب والبغض، إذ من البعيد استقرار علاقة فرد بآخر على وتيرة واحدة وإنما تتعرض إلى حالات من المودة الصميمة او التشنج

والتوتر إلى حد النقيض من طبيعة الحالة السابقة، فلو تعامل كل فرد مع صاحبه بمقياس يحافظ فيه وبموجبه على العاطفة لتكون الحياة مبنية على مزيج من العقل والعاطفة، وعندها لاتصعب المعالجة، ويستحسن أن يكون أساس الحب والبغض مبنياً على ركيزة الحب أو البغض في الله ولله لأن ذلك أضمن في ديمومة العلاقة وأبعد، إذ من الواضح جداً أنها لو ارتكزت على المصالح والاطماع المادية الصرفة لتبخرت ولتلاشت بانتهاء تلك المصالح والاطماع.



◄ ٣ - قال عليه السلام:

احذروا نِفار النِّعم(١) فما كل شاردٍ بمردود.

الدعوة إلى التأدب والمعاملة الحسنة مع ما يتفضل به الله تعالى على عباده، والانتفاع من ذلك بما يديم هذه النعم لا بما يسبب زوالها، ونِعم الله كثيرة ولها مستويان مادي ومعنوي.

أما المستوى المادي فيتمثل بمثل الرزق والعافية والصحة وكثرة الانتاج وطول العمر....

وأما المستوى المعنوي فيتمثل بمثل الامان والذكاء والوجاهة الاجتماعية وعدم الابتلاء ببلاء الغير....

(١) النِّعم جمع النعمة وهي لغةً: الصنيعة والمنة، ما أنعم به عليك من رزق وغيره، المسَرّة، الحالة التي يستلذها الانسان. المنجد ص٨٢١ مادة (نعم).

ولايقدّر الكثير من العباد بعض هذه النِعم فلا يعطيها حقها من الشكر[1] مع انّه بالشكر . . . .

(١) مما أُتّفق عليه أن الشكر أمر مستحسن بحكم العقل فإنّه يحكم بوجوب شكر المنعم ويحث عليه العقلاء دائماً، ويقضي بقبح تركه، وأيضاً قد ورد في الكتاب العزيز ما يحث عليه كما في قوله تعالى:
﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٢].
﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ [النحل: ١١٤].
﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ [العنكبوت: ١٧].
﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥].
﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤].
﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٦].
﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].
﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].
﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].
وقد ورد في الروايات الشريفة أنّ (من ألفاظ رسول الله ﷺ لايشكر الله من لايشكر الناس) الوسائل ج١١ ص٥٤٢، وروي عن الامام عليّ بن الحسين عليه السلام (إن الله يحب كل قلب حزين ويحب كل عبد شكور، يقول الله تبارك وتعالى لعبدٍ من عبيده يوم القيامة أشكرتَ فلاناً؟ فيقول: بل شكرتك يارب، فيقول: لم تشكرني اذ لم تشكره، ثم قال أشكركم لله أشكركم للناس) أصول الكافي ج٢ ص٩٩، باب الشكر ح٣.

. . . .

وروي عن الامام الباقر عليه السلام قال: (من أعطي الدعاء لم يحرم الاجابة ومن أعطي الشكر لم يحرم الزيادة.وتلا ابو جعفر عليه السلام ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ الوسائل ج١١ص٥٥٣. وروى ايضاً عليه السلام عن جده صلى الله عليه وآله أنه كان (عند عائشة ليلتها، فقالت: يارسول الله لِمَ تتعب نفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر؟ فقال يا عائشة الا أكون عبداًشكوراً...) أصول الكافي ج٢ ص٩٥.باب الشكر ح٦.

وروي عن الامام الصادق عليه السلام (قال: مكتوب في التوراة: أشكر من أنعم عليك، وأنعم على من شكرك فانه لازوال للنعماء اذا شكرت، ولا بقاء لها اذا كُفرت، الشكر زيادة في النعم وأمان من الغِيَر - اي التغير -) الوسائل ج١١ ص٢٤٨.

وروي عنه عليه السلام ايضاً (يقول: أحسنوا جوار نعم الله وأحذروا أن تنتقل عنكم إلى غيركم، أما أنها لم تنتقل عن احدٍ قط فكادت ترجع عليه، قال:وكان عليّ عليه السلام يقول قلّما أدبر شيء فأَقبل) الوسائل ج١١ ص٥٥١.

وروي عنه عليه السلام أيضاً أنه قال: (ما كثر مال أحد قط إلاّ كثرت الحجة لله تعالى عليه فإن قدرتم تدفعونها عن انفسكم فافعلوا - فقيل له - يا ابن رسول الله بماذا؟ فقال: بقضاء حوائج اخوانكم من اموالكم.... واشكروا من أنعم عليكم وانعموا على من شكركم فإنكم إذا كنتم كذلك استوجبتم من الله الزيادة ومن اخوانكم المناصحة، ثم تلا: لئن شكرتم لأزيدنكم) الوسائل ج١١ ص٥٥٣.

وروي عنه عليه السلام أيضاً (قال: إن الله مَنَّ على قومٍ بالمواهب فلم يشكروا فصارت عليهم وبالاً، وابتلى قوماً بالمصائب فصبروا فصارت عليهم نعمة) الوسائل ج١١ ص٥٤٢.

تدوم النعم - [1]، ويحسن التنبيه إلى أنّ هذا لايؤثر في مقدرات الله سبحانه وتعالى لعباده ولكنه يؤثر سلبياً في عدم التوسعة والزيادة لأنه إذا أحسن العبد جوار نِعم الله وعاملها معاملة لائقة فانه اضمن لدوامها، والمعاملة الحسنة اللائقة تختلف باختلاف النعم فقد يكون بتوجيه هذه الطاقة نحو الخير، وقد يكون بصرف المبالغ في سبيل الخير، وقد يكون بصرف العمر في الخير، . . . .

وقد روي أنه (دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عائشة فرأى كسرة كاد يطؤها فأخذها فأكلها وقال: يا حُميراء أكرمي جوار نعمة الله عليك فانها لم تنفر عن قوم فكادت تعود اليهم)[2] وهذا يدلنا على اسلوب آخر من أساليب التعامل اللائق مع النِعَم التي يغدقها الله تعالى على عباده، كما انه يؤكد مضمون الحكمة أيضاً فإنّ الحديث النبوي والحكمة العلوية يؤكدان على أنّ النعمة لو سُلبت من أحد فمن المحتمل عدم عودها مرة أخرى.



وروي عن الإمام الرضا عليه السلام (يقول: مَنْ لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الله عزّوجلّ) الوسائل ج١١ ص٥٤٢.

وروي عنه عليه السلام أيضاً (يقول: مَنْ حمد الله على النعمة فقد شكر وكان الحمد أفضل [من] تلك النعمة) أصول الكافي ج٢ ص٩٦ باب الشكر ح١٣.

(١) غرر الحكم ودرر الكلم. من كلام الإمام علي عليه السلام: عبد الواحد التميمي. دار الهادي. بيروت ص ١٦٥ رقم ٦٩.

(٢) المحاسن/ص٣٧٤ ط النجف.

◄ ٤ - قال عليه السلام :

احذر أن يراك الله عند معصيته، ويفقدك عند طاعته، فتكون من الخاسرين، وإذا قويت فاقوَ على طاعة الله، واذا ضعفت فاضعف عن معصية الله.

الدعوة إلى مراقبة الله تعالى وطاعته والتحذير من عمل المعاصي.

والحثّ على عمل الطاعات والتخويف من الاتيان بالمعاصي، وهذه امور من المهم جداً ان يستحضرها كل فرد في حياته فيلزمه امتثال اوامر الله تعالى والانتهاء عن نواهيه عزّ وجلّ لأنه مطّلع على عباده ولا يمكن لأحد ان يخفي شيئاً. وينبغي ايضاً ان يستعد كل فرد ويتوجه بعزيمة صادقة نحو الاعمال الصالحة، وان يبتعد ابتعاداً بالمرة وينصرف انصرافاً نفسانياً عن الاعمال القبيحة التي نهى الله عنها لأنه قد اختبر عباده بهاتين الخصلتين فمَنْ وجده في سبيل الخير أمدّه بعونه وتوفيقه وافاض عليه نِعَمَهُ ظاهرة وباطنة، ومن انحرف عن هذا الطريق وسلك طريقاً معوجة فيخذله تعالى ويرفع عنه يد العناية فيكون ممن خسر الدنيا والآخرة ومصيره النار، ومن هنا نعرف محاولة الامام عليه السلام لحفظ الفرد المؤمن من مصائد الشيطان وشراك الباطل المترصد لكثرة ما يستهوي ويستميل في هذا العصر وخصوصاً تلك العناوين البرّاقة الجذّابة التي لاينكشف عما وراءها بسهولة لكل أحد، وهنا يكمن الخطر ويشتد لزوم الحذر فإنّ الفتنة

تسري بيننا بما لاتترك مجالا للتفكير والاختيار، فينبغي أن يختار الفرد طريقه ويحدد هدفه لئلا تتجاذبه الأهواء المضلة وليسد منافذ الشيطان اليه ولايترك له سبيلًا إلى نفسه. ومما يؤسف له أن تخلو ساحة الحق ممن ينبغي أن لايغادرها بينما يلاحظ امتلاء موقف الباطل وتحشّد أتباعه لأسباب تساعد على إضعاف قوته وتخريب عقيدته والحط من مقدساته ورموزه، فنسأله تعالى أن يرشد امر الجميع ويهديهم سواء السبيل.



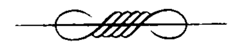
◄ ٥ - قال عليه السلام:

أحسنوا في عقب[١] غيركم تُحْفَظوا في عقبكم.

الدعوة إلى الاحسان والتعامل الطيب بما يضمن تعاملًا مماثلًا في الحياة وبعد الوفاة لأن مما يهم كل فرد ويناضل من دونه هو أن يعيش هو ومَنْ يتعلق به بأمن وسلام، ومما يوفر ذلك ويؤَمِّن حصوله وديمومته هو التعامل الطيب، وتختلف صور الاحسان والتعامل الطيب، باختلاف الافراد المعاملين والمتعامَل معهم وباختلاف الزمان والمكان وسائر المقاييس الاعتبارية الأخر، لأنّ من المحسوس والمعايَش للكثير أن معاملة الناس لفرد معين تتسم

(١) العَقِب لغة...الولد، ولد الولد المنجد ص٥١٨ مادة (عقب).

بطابع خاص ما دام هو في الحياة فإذا غاب تبدلت المعاملة، ولما كان الطمأنينة والعيش بسلام مما ينشده كل أحد فلا بُدَّ من الابتداء بالاحسان ليُضْمَن التبادل.



◀ ٦ - قال عليه السلام:

إحصد الشرّ من صدر غيرك بقلعه من صدرك.

الدعوة إلى ترك الحقد ونبذ ما يكنّه الإنسان من دخائل السوء على أخيه الانسان، وأحسن طريق لذلك أن ينسى الفرد كل ما يُذكّره بِشَرٍ وما يؤجج نار الضغينة.

لأنّ على الإنسان أن يبدأ الآخرين بالإحسان والفضل ليساعدهم على مبادلته اياه وإلّا لو تصلّب كلُ واحد ولم يتقدم خطوةِ نحو الخير لاتسعت الفجوة وكثرت الأحقاد والثارات ولما استقام حال الناس وتعقّدت المشكلات البسيطة التي قلما يخلو مجتمع منها مهما كان مستواه الثقافي أو الاقتصادي.

وعليه، لابُدَّ من التغاضي ليتعلم الآخرون درساً عملياً لأنه أبلغ في الأداء وأرسخ في الاذهان بينما رفع الشعارات وترديد النظريات الإصلاحية لا صعوبة فيه لأنّه قد يصدر أحياناً من الذين لايؤمنون بتلك الافكار. وعندئذ لايكون أيُّ فرقٍ بين صاحب الرسالة في الحياة وغيره، فلا بُدَّ من الالتزام بجانب التسامح وحب الخير.



◀ ٧ - قال عليه السلام :

أذا احتشم[١] المؤمن أخاه فقد فارقه.

الدعوة إلى الانفتاح في العلاقة الاخوية المبنية على أساس الايمان، والمحاطة بالتوازن وعدم الانفلات وكسر الحاجز، بل من خلال إبداء النصيحة وحب الخير والتصافي ومحض المودة وحفظ الآداب العامة والوفاء بما يهيئ جواً ملائماً للكلمة الحرة والرأي الصائب بما يخدم الطرف الآخر ويقّوم اعوجاجه ويدفع عنه السوء ويوصل اليه الخير، لتكون النتيجة الوصول إلى التكامل المنشود.

والّا إذا سكت واغضى الفرد عما يراه من اعوجاج في سلوك أخيه المؤمن فقد انسلخ من أخوّته وتخلى عنها ولم يرعَ أصول ذلك وما يستوجبه من حقوق والتزامات عليه.

كما يمكن تفسير الحكمة بطرح آخر وهو: الدعوة إلى عدم التجاوز والتفريط في حقوق الأخوة الإيمانية لأنه إذا أزعج الإنسان أخاه المؤمن فيعني ذلك أنه غير ملتزم بحدود الأخوة وما تفرضه من آداب والتزامات وادناها أن يتجنب حالات الإيذاء.



(١) احتشم: أي انقبض عنه، وترد أحياناً بمعنى الإغضاب بأن يسمعه ما يكرهه فيؤذيه. يلاحظ لسان العرب مج١ ص٦٤٥ مادة (حشم)، والمنجد ص١٣١ مادة (حشم).

◀ ٨ - قال عليه السلام :

اذا أرْذَلَ(١) الله عبداً حَظَرَ(٢) عليه العلمَ.

الدعوة إلى تقدير العلم وأهله فإنه منحة الله تعالى لعباده وهي تدلُّ على العناية والاكرام فإنَّ غير اللائق فكرياً لتحمل العلم - بما فيه من مسئوليات وامتيازات - لايستحق العلم ولايناله بل يبقى جاهلًا لأنّ العلم يوجب على متعلمه-مهما بلغ-اموراً وقضايا إن لم يلتزم بها صار العلم مصدر إدانة له، إذ قد ضيّع ما أعطاه الله ولم يعمل على وفق المطلوب فيُعاقب بالحرمان، هذا وقد تشاء الحكمة الالهية أن يُحْرَم شخص مّا من نعمة العلم فيبقى جاهلًا لايعرف شيئاً لأنه غير مناسب وذلك لسوء تصرفه وهو أمرٌ يختلف باختلاف الأشخاص ولكن الجامع المشترك هو: العمل بما لايُرضي الله تعالى مهما كانت درجته ونسبته، ويبقى الامر موكولًا إلى حكمة الله تعالى التي لاندركها لقصور عقولنا البشرية.



(١) أرْذَلَ بمعنىٰ جعله رذيلاً وهو (الدُّون الخسيس أو الردئ من كل شيء) لاحظ القاموس المحيط ج٣ ص٣٨٤.

(٢) حَظَر: منع. لاحظ القاموس ج٢ ص١١.

◄ ٩ - قال عليه السلام :

إذا ازدحم الجواب خفي الصواب.

الدعوة إلى التأمل والتريث في الجواب عن أيِّ شيءٍ يُسأل عنه الانسان، وأنْ لا يتعجّل ولايرتجل الجواب بل عليه أن يختار الكلمات المناسبة فلا يربك السامع بحشد من الكلمات لا كثير فائدة منها لأن ذلك يورطه في مطبّات لم يكن قد حسب لها فيضطر للإعادة والتكرار. أو يدخل في متاهات الجدل والمغالطة لاثبات صوابه والتغلب على المقابل، ولذلك مضاعفات سلبية:

أولاً: يمنع نفسه من الزيادة فإنه مادام جاهلاً أمكن الغير تعليمه وأما إن أبدى علمه بكل شيء منع الغير من ذلك، ويكون ضعيف الجانب لأنه لم يتوفر على معلومات غيره بل بقي جامداً على معلوماته التي لاتخلو من الأخطاء والأغلاط - غالباً-.

ثانياً: يتورط في الكذب إذ يوجد الكثير ممن يتفادى تسجيل حالة الفشل عليه فيجترئ على الكذب مع علمه بحرمته، أو يتورط في بهتان غيره بما وقع هو فيه تخلصاً من حالة الاحراج فينسب القول بذلك إلى مَنْ لم يتفوه به.

ثالثاً: يُتعب نفسه ويخسر جهده ويضيع عليه وقته بينما لو وازن بين السؤال وتأدية الجواب لكان أنفع.

وعلاج مثل ذلك كله أنه إذا سئل أحدٌ: فَكَّرَ جيداً في السؤال ونوعه ثم يفكر في الجواب المناسب وطريقة تأديته لأن الذهن يحتوي على معلومات كثيرة جداً لايمكنه الاستفادة منها - في مقام الجواب - إن لم يلجأ إلى التنظيم والتبويب وطريقة العرض لهذا المخزون الفكري. وإلّا فيتكلم بما هو بعيد عن جوّ السؤال وذلك من علامات الارتجال والاستعجال وعدم التدبر في طرح المعلومة في المحل المناسب. فلا بدّ من التوقي من حالات الفشل والاحراج واللف والدوران في الجواب بالتأمل والتريث واختيار المناسب ليحصل على الجواب الصواب. كما أنه يمكن استفادة تنبيه الحكمة لأمر يحدث بين بعض الطبقات ولدى بعض الأفراد وذلك بأنْ يبادر للجواب أكثر من شخص فيقع السائل في مشتبك من الأجوبة وقد يخفى عليه الصحيح منها فيزداد حيرة.

إذن على الإنسان أن يلحظ هذا الأمر جيداً من زاويتين:

الأولى: ما يقتضيه الأدب واللياقة في التصرف مع مَنْ طُرح عليه السؤال.

الأخرى: لأنه يربك الوضع على السائل فلا يخرج بنتيجة مرضية.



◀ ١٠ - قال عليه السلام :

إذا أملقتم[١] فتاجروا اللهَ بالصدقة.

الدعوة إلى استعمال علاج نافع في حالات الحرج الاقتصادي الذي يتعرض له كل أحد إلّا مَنْ شاء الله وذلك بأن يتفقد هذا الفقير أخاه الفقير الآخر ولو لم يكن من أهل دينه - ما لم يكن في تفقده تقوية لغير المسلم - لأنه بهذا التفقد مهما كان حجمه سيضمن به توسعة رزقه من الله تعالى الذي يحث على إشاعة الخير لاسعاف المحرومين ومعاونة الإخوان لأنه ما من فقير إلّا ويوجد مَنْ هو أشد منه فقراً فإذا تفقد الفقير ذاك الأفقر، وهذا الأفقر ذلك الأفقر منه وهكذا كلٌ حسب طاقته وكلٌ حسب موقعه فحتماً ستتاح للجميع فرصة الحياة وتمشية الأمور وتجاوز الأزمات.

ولو تأملنا شرائح المجتمع المختلفة وعرفنا تعدد الطبقات وتعدد المهن والحِرَف وموارد الكسب ومصادر الارتزاق لوجدنا أن الصدقة أنجع دواء وأحسن حل لمشكلة الفقر التي لايمكن أن ياتي أيُّ نظام عالمي أو اقتصادي أوسياسي. . بحلول أو لوائح للّحد أو القضاء على هذه الظاهرة التي وجدت لعدة أسباب منها اختبار صبر الفقير والتزامه الديني. . ومنها اختبار تعاطف افراد المجتمع ومعرفة درجة التكامل الاجتماعي لدى كل فرد. . ومنها ومنها. . مما يشكل تركيبة

(١) أمْلَقَ: أفتقر. لاحظ القاموس ج٣ ص٢٨٤.

مجتمع كامل، لأنه وبحسب القوانين الطبيعية المعتادة لايمكن أن تتكافأ الطبقات وإلّا لما صارت طبقات.

وبغض النظر عن هذا التحليل الذي يتفاوت الاقتناع به من فرد لآخر لأنه يمثل مستوى تفكير معين إلّا أن القرآن الكريم حثَّ على التصدق كثيراً وبمختلف المناسبات وهو ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[1].

فمنها قوله تعالى: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾[5].

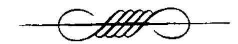
وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾[6].

(١) سورة هود. آية (١).
(٢) سورة البقرة. آية (١٩٦).
(٣) سورة البقرة. آية (٢٨٠).
(٤) سورة النساء. آية (١١٤).
(٥) سورة التوبة. آية (١٠٤).
(٦) سورة يوسف. آية (٨٨).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾[١].

وغيرها من الآيات المباركة.

وقد روي عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الائمة عليهم السلام الشيء الكثير[٢] من الحث والتأكيد وسائر شئونها مما يؤكد القناعة بضرورة الالتزام واللجوء اليها وسيأتي ما يتعلق بموضوع الصدقة في كلام الامام عليه السلام .



◀ ١١ - قال عليه السلام :

إذا تمّ العقلُ نَقَصَ الكلام.

قد عُرِّف العقل بعدة تعريفات فمنها :-

إنّ (العَقْل... جوهر مجرّد يُدرك الغائبات بالوسائط، والمحسوسات بالمشاهدة.

العقل: ما يُعقل به حقائق الاشياء، قيل محله الرأس، وقيل محله القلب.

---

(١) سورة الحديد. آية (١٨).

(٢) يلاحظ كتاب وسائل الشيعة ج٦، من ص٢٥٥ إلى ص٣٣٦. وكتاب صحيح البخاري ج٢ من ص١٢٨ إلى ص١٣٦.



العقل: جوهر مجرد عن المادة في ذاته، مقارن لها في فعله، وهي النفس الناطقة التي يشير اليها كل أحد بقوله (أنا)... وقيل العقل نور في القلب يعرف الحق والباطل).

العقل: (نور روحاني به تدرك النفس ما لا تدركه بالحواس)[1]

فالعقل ميزان، من خلال توازن كفتيه يعرف الإنسان صحة أوخطأ ما حواليه من أسس ومبادئ في الحياة، وكذلك يعرف به التعادل الصحيح بين الاشياء المتاح له استخدامها والتنعم بها. ومما أنعم الله تعالى به على الإنسان قدرته على ابراز مطالبه وإظهار افكاره من خلال «الكلام» فانه قد يُستخدم ويكون نعمة تُوصل إلى المراد بأقصر الطرق ولكن إذا أساء المتكلم استخدامه فتَرِدْ عليه مجموعة ضخمة من القضايا السلبية جرّها إلى نفسه إذ لم يقيّد لسانه ولم يلحظ بيانه فيواجه مصاعب عديدة يصعب عليه التخلص منها في كثير من الحالات. فالحث على موازنة الكلام جيداً لأنه ما لم ينطق الإنسان كان حراً، واما إذا تفوه أَسَرَتْه كلمتُهُ فإن كان سعيد الحظ كان إساره مريحاً وإلّا فيبقى يدفع ضريبة ذلك من سمعته، امواله، حياته...

(١) تعريفات الجرجاني ص٨٧. ويلاحظ أيضاً معجم المصطلحات العلمية والفنية. إعداد وتصنيف يوسف خياط. المجلد الرابع من مجلدات لسان العرب ص٤٥٥-ص٤٥٦ ط دار لسان العرب - بيروت. ويلاحظ أيضاً المنجد ص٥٢٠ مادة (عقل).

وكلنا نحافظ على ذلك. اذن يلزمنا مراعاة اطراف الكلام وآثاره وتبعاته. . . وعندئذ يُضمن - غالباً - عدم المساءلة والمساءة.



◀ ١٢ - قال عليه السلام:

إذا حُييّت بتحية فحَيِّ بأحسن منها، وإذا أُسديت[١] اليك يدٌ[٢] فكافئها بما يُرْبِي[٣] عليها، والفضل مع ذلك للبادئ.

الدعوة إلى حفظ المعروف وعرفان الجميل، وعدم التنكر لمَنْ بدأ بالفضل مهما اختلفت المستويات لكلا الطرفين ارتقت أم تدنّت. إذ لا بُدَّ من المكافأة والمجازاة وإلّا لانحرف المسلم عن الخط الصحيح ولم يطبّق التعاليم الاسلامية التي حرص المرشدون على ترسيخها وتركيزها في الاذهان تحسباً للمستقبل وما يحمله من مشكلات التمرد وتناسي الاصول الصحيحة للحياة الكريمة. فإن الاعداء يتربصون الفرصة وينتظرونها لينشروا أفكارهم المشبوهة التي تساعد على الانحلال والتحلل وأنَّ هذه الالتزامات انما هي مجرد قيود للفرد لاتتماشى والتقدم العصري. كل ذلك يخالف الفكرة

(١) أسدىٰ إليه: أحسن.

(٢) اليد تستعمل مجازاً بمعنىٰ النعمة.

(٣) أي بيزيد.

الصحيحة التي فطر الله الناسَ عليها. . ويساعد على تقوّض الاسس المتينة لبنيان المجتمع المسلم فيتفكك بناء الاسرة والعائلة إذ لا ارتباط يربطهم ولا أواصر تشدّهم ولا أخلاق تحدّهم. . فيفعلون ما يشاءون ولكن سرعان ما يواجهون الواقع فيصطدمون أشد اصطدام، وتخيب الآمال لأن النزعة الصحيحة لازالت تعيش في داخله وإن كبَتَها بمظاهر خدّاعة تنأى عنها وتبتعد فعندئذ يطلب العون ولامعين، ويَنشد المساعدة ولامساعد لأنه تخلى. . فقُوبل بالمثل. أما مَنْ يلتزم درب هذه الحكمة فيضمن - إلى حد كبير - عدم التخلي عنه من الآخرين في مواقف الحاجة ومواطن النجدة لأن الناس ينقطعون - غالباً - عمَنْ لايتواصل معهم كما دلّت التجربة عليه وهي أكبر شاهد.

فالامام عليه السلام يؤكد المجازاة بالأحسن ولو على صعيد تبادل التحية وهي السلام ويمكن التوسع في تحديد مفهوم السلام(١) وانها: كل ما يقوم مقامه مما تختلف فيه الاعراف والمجتمعات ولو بالاشارة أو الانحناءة أو بعض الكلمات المقتضبة. . . فاذا بادر شخص إلى احدها ينبغي الرد عليه بالاحسن.

---

(١) قال الراغب الاصفهاني في المفردات ص١٤٠ (وأصل التحية من الحياة ثم جعل ذلك دعاء تحيةٍ لكون جميعه غير خارج عن حصول الحياة، أو سبب الحياة إمّا في الدنيا وإما في الآخرة).

ويضيف عليه السلام ايضاً أَنَّ مَنْ أحسن بشيء - مهما كان - ينبغي جزاؤه بما يزيد ويرتفع مستواه عن ذلك وفي ذلك دعم وتشجيع على المعايشة السِلْمِيّة التي ينشدها الجميع لأنهم يعيشون في ظلها مطمئنين مكرمين. ومع افتقادها يبدأ القلق والخوف من المستقبل الذي يُفْقِد الحياة طعمها.

وأخيراً يؤكد عليه السلام أَنَّ الفضل وطيّب الذِكر لِمَنْ ابتدأ وبَادَرَ صاحبَهُ لأن هذه المبادرة تؤشر عن وجود بذرة صالحة طيّبة تنزع نحو الخير والصفاء والمودة للآخرين.



◄ ١٣ - قال عليه السلام :

إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه.

دعوة إلى العفو عند المقدرة والتسامح، وترغيب إلى اشاعة الوئام والائتلاف، وان ذلك كله يقوم على ركيزة نبذ الاحقاد وعدم متابعة الاهواء خصوصاً وان الظفر بالعدو أو مطلق الخصم له سيطرة على منافذ التفكير فلا يرى الظافر إلّا نفسه ولا يسمع إلّا نداء العاطفة، وأَنَّ: هذه ساعة طالما طلبتَها وتمنيتَها فلا تفوّتها وانتصر منه وتغلّب عليه كما تغلّب عليك. . كل ذلك ينبغي تركه إلى الوراء والتقدم بكل ثقة إلى التصافي والتسامح والتغافل عن الادانة مهما عظمت، وبخلاف ذلك يحدث العكس فقد ينتصر عليه حالّاً لكنه يندم دائماً

لأنّ في هذه الحالات يتدخل الهوى ويحاول التحكم، وهنا يعرف الإنسان نفسه، ومدى تطبيقه للمُثُل، وسيطرته على نفسه، وأيضاً يستطيع الآخرون تقييمه من خلالها لأنها حالات حرجة صعبة.

ولايفهم من هذا التشجيع على الاستسلام والاستخذاء بل العكس تماماً لأن لحظة الانتصار والظفر مما يتمناها كل مظلوم أو مضطهد ولكن ليعرف أنه لم يحصل عليها إلّا بفضل الله سبحانه فلينشغل بشكره وذكره عما تحدثه نفسه من حالات الغطرسة والتعالي واظهار الشماتة والتنكيل والتبكيت... وبهذا يكسب رضا الله ويحمي نفسه من النار لو اعتدى عليه بما لم يفعله معه فيكون تجاوزاً وظلماً. ويحميها أيضاً من متابعة الهوى الغلّاب فيكون بطلًا في نظر العقلاء لأنه صَرَعَ هواه ولم يصرعه هواه وقد سَيَطر عليه ولم يسيطر عليه هواه.



◀ ١٤ - قال عليه السلام:

إذا وصلت اليكم أطراف النعم فلا تنفروا[١] أقصاها بقلة الشكر.

الدعوة إلى الشكر وحُسن المعاملة مع ما ينعم به الله سبحانه على

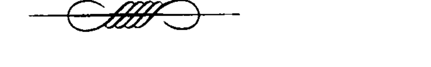
(١) تنفروا: تبعدوا.



عباده لأن ذلك متواصل بفضله ومنّه إلّا أن قلة الشكر فضلًا عن اعدامه يؤثر سلبياً في اعدام النعمة وتحجيمها بما يتناسب وذاك العبد، لأنَّ الله تكفل برزق كل المخلوقات، لكن مَن يُحسن التعامل في الأخذ ويكون أليق من غيره يُزاد ويُغدق عليه عرفاناً بحسن تعامله.

وهذه النقطة الوحيدة التي يتفاوت فيها كل المخلوقين مما ندركه بحواسّنا وما لاندرك، الإنسان والحيوان والنبات والجماد، فكلٌ يعبّر عن شكره بطريقتِهِ الخاصة وبذلك يتفاوتون مما يتيح الفرصة للازدياد وقد قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1] بما يوضح لنا ميزان التعامل في استحقاق المزيد.

نعم، رزقه مضمون لكن زيادتَهُ مشروطةٌ بالشكر وإدامتِهِ لأنه قد تشاء الحكمة الإلهية اختبار عبد معين من خلال زيادة النعمة فاذا لم يتعامل معها بالمناسب سُحبت منه تدريجياً حتى يشعر بتقصيره، وهذا الاسلوب من أنجح الاساليب لتقدير النعمة من المنعِم والمنعَم عليه.

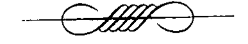


(١) سورة إبراهيم. آية (٧).

◀ ١٥ - قال عليه السلام :

إذا هبْتَ(١) أمراً فَقَعْ(٢) فيه، فإنَّ شدة توقِّيه(٣) أعظم مما تخاف منه.

الدعوة إلى زيادة الثقة بالنفس، وترك التردد الذي يؤدي إلى عدم الاستقرار، واهتزاز الشخصية مما يؤثر في إتخاذ القرار لأنه ينبغي للانسان أن يحسب النتائج ويتوقع للمستقبل لئلا يُفجأ بشيء لم يستعد له، ثم ينفذ ويعمل لأنه جاء أمراً مدروساً مخططاً له، ولابد ألّا تثنيه احتمالات الفشل وتوقعات الخيبة وعدم النجاح وتحسبات الندم والملامة، فان كثيراً من هذه الحالات تهزم الإنسان من الداخل ويكون اتكالياً فلا يتعود الاعتماد على نفسه بل يبقى خاملًا يريد من الآخرين حل مشكلاته والقيام بواجباته وأدواره. وسيتحول بالتالي إلى احباط نفسي لايشعر الفرد لنفسه أية قيمة يمكنه الركون - من خلالها - إلى ما يقرره. وهذا هو المحذور الذي حذّر منه الامام عليه السلام بقوله فان شدة توقّيه أعظم مما تخاف منه، لما يجرّه من تأثير سلبي على شخصية الانسان.



(١) أي خِفْتَ شيئاً.

(٢) (الفاء) جواب (إذا) - ظرف للمستقبل متضمن معنى الشرط - و(قع) فعل أمر من الوقوع.

(٣) التوقي: الحذر والخوف والتجنب.

◀ ١٦ - قال عليه السلام :

اذكروا إنقطاع اللّذات وبقاء التبعات[١].

الدعوة إلى موازنة تصرفات الإنسان وأن يفكر ويتأمل جيداً فيما ينوي القيام به من أعمال ممنوعة شرعاً أوعرفاً أو قانوناً بكل ما لها من لوازم تترتب على ذلك العنوان.

لأنَّ خلاف ذلك يجعل الإنسان في وضع حرج وأمام مساءلة ومحاسبة عن تصرفاته الشخصية، بينما لو توازن في تصرفاته ولم يتجاوز الحدود المرسومة بحدود دائرته كانسان، مسلم، ملتزم، متحضر، مثقف، محافظ على سمعته الاجتماعية..- فاذا لم يتجاوز - كان آمناً من هذه المساءلة.

ولذا فالامام عليه السلام يهتف لكل مَنْ يُقْدِم على عمل غير لائق: ان يحسب للأمر حسابه ولاينساق وراء غضبه، شهوته، رغبته، مصلحته الشخصية، مراهنته... لانه لا تراجع بعد الآن لالتصاق التهمة والتَبِعَة به مهما كان عنوانه الاجتماعي أو محاولاته لسدّ الافواه. والسّر في هذا الشياع بالرغم من التكتم هو تجرؤه على حُرُماتٍ لم يكن مأذوناً له بها فكان جزاؤه الفضيحة وشياع الامر بالشكل الذي لايخدمه في كثير من الحالات والمجالات.

---

(١) جمع التَبِعة: ما يترتب على الفعل من الخير أو الشر إلاّ أنَّ استعماله في الشر أكثر. يقال: «لهذا الفعل تبعة» أي لحوق شرٍ وضرر. المنجد ص٥٩. مادة (تبع).

ومن هذه الدعوة نعرف مدى حرص الامام عليه السلام على صيانة المؤمن وحفظه عن كل ما يشينه فاستعمل معه اسلوباً يُقِرُ به كل عاقل ويتجنب تبعاته كل انسان يلتزم بمبادئ.

ومن أجل ان نكون أمام الواقع علينا أن نفكر ونحسب المردود والمكسب من أي عمل محظور نقوم به، ثم نقارنه مع المردود السلبي من جرائه كالمساءلة الإلهية، أو القانونية، أو الاجتماعية. . . لنعرف الناتج بأنفسنا.



◀ ١٧ - قال عليه السلام:

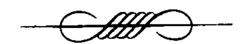
أُزْجُرْ المسيء بثواب المحسن.

الدعوة إلى التعوّد على إشاعة الاحسان والمداومة على فعل الخير وتعميم سُبُلِهِ وطرقه وموارد الانتفاع به لكل أحد لما يتضمن هذا التصرف من كسبٍ للمعتدي لأنه سيرتدع عن عمله عندما يقابله خصمه بالاحسان ولو لمرات متعددة حتى يُؤّثر فيه عمل الاحسان وفعل الخير لانه بالتالي يؤثر ولو نسبياً.

وأيضاً فيه كسب للصديق لأنه عمل يحبّه ويرضاه مما يجعله أكثر تمسكاً وتآخياً واحتراماً وهذه امور ينشدها الجميع أو الأغلبية في صداقاتهم لينتفعوا من ورائها مادياً أو معنوياً.

وأما على خلافه فالخسارة الفادحة حتمية لأنه موقف حساس تتغلب فيه العاطفة والعصبية والمنافع والاطماع. فلابُدَّ من أن نبقي الطريق مع الله سالكة لأننا ننتفع من خلالِهِ كثيرا.

والالتزام بهذه الدعوة يحقق مكاسب مربحة على صعيد الحياة الاجتماعية لمن يهمه اصلاح المجتمع وتقليل فرص الفساد والتخريب فيه ومنه. وبالطبع الامام عليه السلام في مقدمة المهتمين بذلك ولنكن معه في هذه الخطوة الرائدة.



◀ ١٨ - قال عليه السلام :

أزرى(١) بنفسه مَن استشعر(٢) الطمع، ورضي بالذل مَنْ كشف عن ضُرِّه، وهانت عليه نفسه مَنْ أمَّرَ عليها لسانه.

يحذر عليه السلام من عدة أمور:

١ - الطمع وهو الحرص على الشيء فإنّ مَنْ تكن عادته في الحياة الحرص على تحصيل كل شيء وَاجَهَ في سبيل ذلك المهانة والمقت لأن ذلك لايلائم الآخرين فيُزجر ويُحتقر. والسبب في ذلك

---

(١) أي عابها ووضع من حقها.

(٢) أستشعر: لبس الشعار وهو ما يلبس تحت الثياب على الجسد مباشرة. لاحظ المنجد ص٣٩١ مادة شعر (بتصرف).



عدم سيطرة الإنسان على رغباته. فينبغي أن يتعود المسلم القناعة والاكتفاء بالميسور والسعي وراء المفقود فيكافح ويحصل عليه بطبيعة الحال وهو أمر مستساغ جداً لأنه مقتضى الطموح. والمعروف لدى كل عاقل أن الكرامة والمحافظة على الرصيد الاجتماعي أثمن من كل شيء ولذا نلاحظ الدفاع عن ذلك حتىٰ بالنفس والمال العزيز. فهو أمرٌ غريزيٌ فلا بُدَّ أن لايضيعه الإنسان نتيجة حرصه على تحصيل ملذة أو مراد.

ويحذر عليه السلام من:

٢ - الكشف عن الضر الذي هو الشدة والضيق وسوء الحال كما هو معروف لأن ذلك يؤدي إلى الامتهان من قبل الآخرين لاطلاعهم على واقع الحال مما لايجعله في الدرجة الاولى في الترتيب الاجتماعي سواء أكان المكشوف عنه الضر في البدن أم في المال. فان الإنسان عموماً وبحسب طبيعته (يطغىٰ) وينسىٰ نفسه وأن من الممكن جداً أنْ يصاب بمثل ذلك فيعمد إلى التشفي ان كان حاقداً أو تحديث الغير ممن لا يُرغب باطلاعهم - عادة - لأن ذلك من الاسرار الشخصية فاللازم عدم كشف الضر، والصبر على البلوى مع السير في طريق حلِّها بالسبل الصحيحة لأن الإنسان في الدنيا يُمتحن ليظهر جوهره ويتبين معدنه فيُعرف حاله، لانقسام الناس - عادة - إلى جيّد ورديء، مؤمن وغير مؤمن، صبور وجزوع، مَنْ يتجاوز العقبات بسهولة ومَنْ يتوقف عند أول عَقَبَة، . . . إذاً نحن بحاجة إلى

اكتشاف المواهب وكشف الحقائق لنتعامل مع كلٍ وفق المناسب واللائق لئلا يضيع حق احدٍ.

ويُحذر عليه السلام من :-

٣ - اللسان الذي هو آلة النطق والذوق والبلع أو تناول الغذاء[١]. فلما كان هو آلة النطق ولاطريق للنطق واصدار الاصوات المفهومة إلّا من خلاله فكانت المخاوف منه والمحاذير مجتمعة من جرّائه لئلا يفلت عن وثاقه ويكون المحذور. وهذا المحذور يتشكل بأشكال مختلفة باختلاف الاشخاص والحالات الزمانية والمكانية.

ولذا قد ورد الحثّ الاكيد الكثير على ضبطه وتقييده بضابطة: مراقبة الله تعالى ومراعاة الآخرين وإلّا فيؤدي بصاحبه إلى أصعب المواقف وأحرج الحالات.

فلذا نجد أنّه عليه السلام يؤكد أنَّ مَنْ يترك لسانه ينطق بما جرى عليه وبما اشتهى فنفسه عليه هيّنة غير محترمة وإلّا لانعكس ذلك الاحترام والصون على تصرفاته.



(١) المنجد ص٧٢١. مادة (لسن).

◀ ١٩ - قال عليه السلام :

أزهد في الدنيا يُبَصّرْكَ الله عوراتِها ولاتغفل فلستَ بمغفول عنك.

الدعوة إلى الحذر وأخذ الاحتياطات اللازمة لخطرٍ يحدق بالإنسان - مهما كان - فينبغي التيقظ والعمل دائماً على مدافعته لئلا يأخذ فرصته في التمكن من الإنسان والاستيلاء عليه.. وذلك هو الاغترار بالدنيا والوثوق بوعودها وزخرفها وما تزيّنه من ملاذ وبهارج تخطف الابصار بل القلوب أيضا، ولايقتصر ذلك على مجال أو وسيلة بل يغترّ كلٌ بحسب توجهه فلا ينجو إلّا مَن اعتصم بالله فعصمه وحماه منها لأنها مزلقة تؤدي إلى الهاوية.. ولايُعلم لها منتهى أو غاية فالمدى بعيد حتى يخرج الإنسان عن طاعة الله، وحتى يندم حيث لاينفع فيتركه الشيطان وشأنه يوم لاينفعه ترُكه، فهو لم يتركه في الوقت الذي يمكنه التدارك... ولم يخلّصه كما كان يغريه في الدنيا...

ولذا يشعر الإنسان بالندم والذلة والانكسار والفشل خصوصاً إذا رأى مَن اعتصم بالله فعصمه ويرى نجاته فيعضّ اصبعه من الندم وما هو بنافعِهِ. لأن الآخرة دار جزاء ولاعمل والدنيا دار عمل، ولاجزاء.

والمتأمل في دعوته عليه السلام هذه يجده يدلّه على أمرٍ خفي وهو: أنَّ الزاهد في الدنيا والتارك لها والمعرِض والمتجافي منها وحامل

الثاني: أن الله تعالى الذي يجزي فلا نتوقع الشكر المكافئ من الآخذ وإنما كان الدفع توقعاً لزيادة الرزق، فإذا عرفنا اننا الرابحون قبل الآخذ فسيزداد العطاء ونسيطر - نسبياً - على حاجة الفقراء وهذا أمر يحرص عليه الإمام عليه السلام بل كل المصلحين بمختلف مراتبهم لأنه يسدّ ثغرة كبيرة من الصعب السيطرة عليها لولا (الصدقة) وفي المقابل يضمن عليه السلام للدافع المتصدق زيادة الرزق وسعته، وهذا ما يسعى اليه الجميع لأن شغلهم في الحياة الدنيا توسيع مصادر التموين وتكثير الربح فقد هيأ الإمام عليه السلام ذلك ببدل بسيط حيث ان الدافع إنما يدفع القليل - مهما كثر - إزاء عطاء الله تعالى، إذن فالرابح هو المتصدق أكثر من الآخذ الفقير.

فاذا توفرنا على هذين الأمرين كان من الممكن ان تسخو نفوسنا بالدفع لننتشل شريحة كبيرة في المجتمع من واقع الفقر ولنساعدهم على تكوين وضع مناسب فيتساوى الجميع في العمل وإن لم يتساووا في الرزق لأن ذلك بتقدير الحكيم الخبير.

وعندئذ نضمن عدم الفتنة بكل اشكالها: السرقة، القتل، الاحتيال والتزوير، أكل أموال الغير بلا وجه شرعي.. فإن كل واحدة من هذه ونحوها كفيل باسقاط الإنسان في الهاوية وتعريضه للمساءلة الالهية وهذا ما نتعوذ منه.



◀ ٢٢ - قال عليه السلام :

أشد الذنوب ما استهان به صاحبه.

التنبيه على أمر كثيراً ما يصدر من الناس عامة ولا يقدِّرون عواقبه السيئة، وذلك هو الاستهانة بالذنب فان الإنسان قد يذنب لأن المعصومين من البشر معدودون وهم: الأنبياء والأئمة الاثنا عشر مضافاً إلى الصديقة فاطمة الزهراء عليهم السلام ومَنْ عداهم فمعرض للخطأ وارتكاب الذنب.

فاذا صدر منه ذلك فان تاب منه واستغفر فتشمله رحمة الله تعالى ويسعه عفوه ومغفرته أما إذا استهان ولم يعتبره ذنباً يستحق الاستغفار لأنه لم يدرك أنه تجاوزٌ وتقصيرٌ ينبغي التراجع عنه وعدم الاصرار عليه، على أساس إنّ غيره يذنب ما هو أكبر من هذا وما هو أشد ونحو ذلك من المقايسات التي ورد النهي عنها لأن كل ذنب - مهما صغر - كبيرٌ ازاء الخالق تعالى لأنه انعم على الإنسان بالوجود وبما يستفيد منه في الحياة من حيوان أو نبات أو جماد فلا يناسب ان يقابل ذلك بالجحود والتضييع وعدم المبالاة لأن ذلك مما يسبب - حتماً- الحرمان والضياع وهو ما يخشاه كل عاقل.

اذن علينا ان نَعِي هذا التحذير جيداً فنستغفر من ذنوبنا ولا نصر عليها وكأنها أمر نعتز به، إنما ذلك من تسويلات وتصويرات الشيطان والنفس الأمّارة بالسوء.

وإنّا نعلم جميعاً أنّ كل تجاوز ومخالفة يُعاقب عليه في القوانين السماوية أو الوضعية إلّا أن يستسمح، بعدما يشعر الإنسان بسوء عمله فتعطى له فرصة تصحيح خطئه لكن ذلك على نطاق محدود مثل: الجاهل الذي لايعلم بالتشريع ولم يسعه التعلم بحكم طبيعة وضعه الاجتماعي أو الجغرافي وهو ما يسمى بـ(القاصر) ومَنْ عداه فيترك الأمر لتقدير المقنِّن والمشرِّع فإن رأى أنَّ من المصلحة والحكمة العفو عنه، عفا عنه ليكسبه لصف المبدأ الذي يتخذه ويدعو اليه، وإلّا فيطبق عليه القانون بحذافيره ليرتدع هو وغيره.

والذنْب لغة: الجُرم[1]، ويستعمل في كل فعل يُستوخم عقباه اعتباراً بذَنَب الشيء ولهذا يسمى الذّنْبُ تَبِعَةً اعتباراً لما يحصل من عاقبته[2].

ومن هذا التعريف اللغوي نعرف ان الذنب حالة تأخر تحصل عند الإنسان ولا يشعر بذلك الكثير إذ ذَنَبُ الحيوان يكون في مؤخرة جسده كما هو معروف وقد أُخِذَ الذَنْبُ من ذلك كما عرفنا فيما تقدم ولا أحسب أنّ عاقلاً أيةً كانت ثقافته يرضى بأن يكون بهذه الحالة التي تعتبر جُرماً يعرضه للمساءلة والمحاسبة كما تعتبر مؤشراً على تأخره في مستوى تفكيره وعمله، لأن الله تعالى عندما خلق الإنسان

(١) المنجد ص٢٣٩ مادة (ذنب).

(٢) المفردات في غريب القرآن ص١٨١.

اختار له أحسن مستوى إذ جعله عاقلًا فاذا لم يحافظ على ميزان عقله الصحيح نعرف أنه متأخر عن هذا المستوى المتقدم.

اذن فنخلص إلى لزوم الحذر من الوقوع في الذنب واذا ما حصل ذلك فيلزم الاعتراف والاستغفار وعدم الاصرار عليه لأنه يشكِّل حالة سلبية.



◀ ٢٣ - قال عليه السلام:

إضاعةُ الفرصةِ غصةٌ.

التنبيه لأمر يهم كل أحد لأننا نتسابق في مضمار الحياة لتحقيق الأهداف والأماني والغايات، وربما يتجاوز البعض فيحاول ويسعى لتحقيق ما لا رخصة فيه، كل ذلك تحقيقاً للذات.

لكن قد تفوت على الإنسان مجالات لتحقيق الذات والإبداع كثيرة وكان هو من أسباب الفوات فالإمام عليه السلام يركّز على هذا الشأن حتى لا يبقى الإنسان متخلفاً عن ركب الحضارة والتقدم أو عن مسار أقرانه ثم يندب حظه، أو أنّ هذا هو (المقسوم) له من الله تعالى.

نعم كل أحد له (مقسوم) لكن الله تعالى لم يلجئنا إلى عمل أو اختيار أي شيء مهما كان بل ترك الأمر واضحاً جلياً لنختار وفق

راية السلبية ومعلن الحرب ضدها[1] يجد عورات وعيوباً ومفاسد ومساوئ ومخازي.. مما لم يكن يتوقع فيحمد الله تعالى أنْ نجّاه وأبعده عن ذلك كله. وما ذلك إلا بمتابعة النظام الصحيح للحياة الفُضلى التي أرادها الاسلام للمسلمين، ولأنه عرف أنه مراقَب مرصود لايُغفل عنه فلا يمكن التستر لأن المراقِب مطّلع على السرائر.

وهذه الحالة تجعل من الانسان، انساناً تقياً ورعاً مبتعداً عن الحرام والشبهات وهو ما يسعى لتحصيله العاقل بشتى الطرق ومختلف الوسائل لأنه الطريق المُرضي والمَرضي.



◄ ٢٠ - قال عليه السلام:

الاستغناء عن العذر أعزّ من الصدق به.

التنبيه إلى أمر يكثر استعماله في المجتمع وهو كثرة الاعتذار مع

---

(١) بما أنّها مجرد لّذات ومتابعة الهوىٰ، وإلاّ فيمكن للعامل أن ينعم ويستفيد فيها لنفسه ولآخرته بلا تقديم خسائر تذكر وذلك لأنه أتّبع برنامجاً أعّده له الله ورسوله والذين آمنوا، فنجىٰ وجاوز الأزمة بسلام. وقد نقل المفسّر الرازي عن سعيد بن جبير أنّه قال: (الدنيا متاع الغرور إذا ألهتك عن طلب الآخرة، فأما إذا دعتك إلى طلب رضوان وطلب الآخرة فنعم الوسيلة). يلاحظ التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٩ ص٢٣٤ ونقلها عنه في تفسير الكاشف ج٧ ص٢٥٢.

أنّ الفرصة كانت مواتية لأن لايحتاج الإنسان إلى ذلك بل يبقى عزيزاً كريماً لايشعر بحاجته إلى إصلاح شيء تجاوز فيه.

ولو تنبه الإنسان لذلك و وعى هذه الفكرة جيداً فسيساعد-حتماً- على تقليص حالاتٍ سلبية كثيرة في المجتمع من حواليه: خلف الوعد، عدم الصدق، الاحتيال، التجاوز على حق الغير، الاعتداء وعدم احترام الغير، عدم الأمانة...

مما يكثر حدوثها في مختلف المجتمعات إلّا ما قلّ حتى عُدنا نستغرب له لو سمعنا بأنَّ انساناً في مجتمع ما يلتزم بمواعيده أو لايتجاوز على حق غيره أو يصدق في تعامله أو لايحتال أو أو مما تفتقده بعض المجتمعات ولا نتجاوز لو قلنا منها المجتمع المسلم وللأسف، مع اننا محصنون حيث بُرمجت حياتنا العملية - خصوصاً - ببرنامج دقيق يضمن لكل الاطراف حقوقها المعنوية والمادية وذلك من خلال النصوص الشرعية، ولكن حدثت بعض التراجعات نتيجة الانشداد، والاعجاب، والاصغاء إلى مَنْ لايستحق كل ذلك فآمنوا بوعود كلامية وهمية وتركوا ضمانات فعلية حقيقية، ألا يسمع هؤلاء قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾[1] وهم يرون بعقولهم وعيونهم صدق وعده تعالى إنّه: ﴿لَا

(١) سورة الجن. آية (١٦).

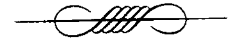


يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾[1] لأن كل ما حول الإنسان يؤكد هذه الحقيقة.

فيرى الإنسان المسلم ماذا حلّ ويحل بالكافر والمنحرف عن طريق الله تعالى.

كما يرى الإنسان الكافر ماذا يتم ويحصل للمسلم الذي حسُن اسلامه بل ومَنْ لم يحسن، لأن نِعَم الله تعالى، ودفع الله تعالى، وتدبيره، وتسديده، وتهيئته، كل ذلك مما يعجز عنه عقل عاقل بل وغيره من وسائل العصر الحديث الموصوفة بالدقة. وذلك لأمر بسيط جداً لأنه ترك سرّ ذلك إليه لا يعلمه غيره مهما كان فاننا نشاهد ونسمع ونقرأ عن اختراعات متطورة سواء أكان في بناء البشرية أم في تدميرها إلّا أننا علمنا في ذات الوقت عجز المخترعين عن إيجاد سر الحياة وعن اعطاء حالة تشابه في مفعولها الروح لأن ذلك مما اختص الله تعالى به. وهذا كله يدل على عظمته وقدرته مما يدعو إلى الإيمان بالله وعدم الإبتعاد عنه.

فالمقصود من هذه الحكمة دعوة الإنسان إلى أن يستغني عن العذر والاعتذار بالالتزام وعدم التفريط لكي يبقى في موقع الرفعة ليحافظ على عزته. وهو أمرٌ يحرص على تحقيقه كل عاقل.



(١) سورة آل عمران. آية (٩).

◀ ٢١ - قال عليه السلام :

إستنزلوا الرزق بالصدقة.

الدعوة إلى أمر اجتماعي بالغ الأهمية حيث يكفل حاجة شريحة ليست بالقليلة في اغلب المجتمعات وذلك هو الصدقة، وطبيعي ان تستفيد منها شريحة الفقراء والمعوزين.

والصَدَقة: عطية يُراد بها المثوبة لا المكرمة[١]. وبتعبير آخر: ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة[٢].

فاذا عرفنا أنَّ الصدقة تعطى طلباً للأجر والثواب وتقرباً لله تعالى فسنعرف أمرين :

الأول: انْ لايصاحبها استعلاء وامتنان على المدفوع له لأن الدفع كان لأجل فائدة ينتظرها الإنسان وهي توسعة الرزق، وحالة الاستعلاء تنافي ذلك - تماماً - بل يلزم التواضع وعدم اشعار الآخذ بكل ما فيه حساسية بحيث تخجله ويحس بوضعه المتدني إزاء غيره فتُحْدِث له عقدة يسعى للتخلص منها ولا نضمن صحة الطريق الذي يسلكه للتخلص، فقد يستولي على أموال الغير بدون وجه صحيح كالسرقة والاحتيال والقتل والغش و.. و.. فنخسر بذلك عنصراً صالحاً - بحسب طبيعته - ضاع منّا بسبب حب الأنا والتسلط الذي يجر الإنسان إلى مواقف غير محمودة.

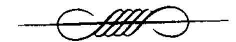
---

(١) المنجد ص٤٢٠ مادة (صدق).

(٢) المفردات في غريب القرآن ص٢٧٨.

قناعتنا ورغبتنا بلا مؤثر خارجي لعلمه تعالى بوجود شريحة اجتماعية تُحَمِّل نتائج فشلها في الحياة وعدم تحقيق الأهداف: الآخرين، ولو بأنْ يتظاهروا بالتسليم لأمر الله تعالى مع أنه فسح المجال وهيّأ السُبل للجميع ولم يختص أحداً بفرصة على حساب غيره بل أعطى كلّاً حسب كفاءته وانسجامه مع الحالة الصحيحة التي تدعم مسيرة الحياة.

فعلينا جميعاً أن نتهيأ لما نريد وذلك ببذل الجهد المطلوب لتحقيق المراد وإعداد السُبل الكفيلة بانجاز الغرض. لئلا نكون مقصرين وتفوتنا فرص الحياة فتبقى غصة ذلك مدى العمر، كما علينا أن نحسن استخدام العقل الذي وهبنا تعالى لنضمن الحصول على أفضل النتائج.



◄ ٢٤ - قال عليه السلام:

اعتصموا[١] بالذمم[٢] في أوتادها[٣].

---

(١) أعتصم من الشر والمكروه: التجأ وأمتنع. المنجد ص٥١٠. مادة (عصم).

(٢) الذمم جمع الذِمَّة: الأمان والعهد. الضمان.. ويقال أنت في ذمة الله أي في كنفه وجواره. المنجد ص٢٣٧. مادة (ذم).

(٣) أوتاد جمع الوَتَد :ما رُكِّزَ - أي ثُبِّت- في الحائط أو الأرض من خشب ونحوه.المنجد ص٨٨٥. مادة (وتد).

يبين عليه السلام في هذه الحكمة أمراً يحتاج اليه غالب الناس. فإن الإنسان محتاج إلى سند وقوة وضمان يرتكز عليه عند الحاجة وكانت هذه الأمور كثيرة شائعة في زمنه ولم تقل أهميتها في زمننا إلّا نسبياً للتفكك الأسري الحاصل في بعض المجتمعات خصوصاً المتمدنة والمنشغفة بحب التطور السريع المفاجئ والتي تحسب كلَّ دعوة إلى التروي والتمهل وأداً لفكرتهم وعرقلة لخطواتهم.

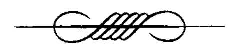
وهذه الحاجة تحتم على الفرد أو المجتمع أن يتكتل ويجتمع مع الآخرين. وهؤلاء - الآخرين - ليسوا على نسق واحد ولا نسج متماسك فقد يلتجيء الإنسان إلى مَنْ لا عهد عنده ولا صدق ولا وفاء ولا إيمان بكل هذه المبادئ فيخسر نفسه لأنه اما أن يفشل في محاولته أو يؤثر ذاك الطرف فيه، وفي كلتا الحالتين يترك الأمر ثقلًا على نفسيته وتوجهه الفكري.

فهي دعوة إلى اختيار الجهة المناسبة ليكون الإستناد إلى ركن وثيق ومأوى أمين، وذلك محافظة على الأخلاق الصحيحة والمبادئ الراسخة في النفوس لئلا تتأثر بالاحتكاك خصوصاً إذا أخذنا بنظر الإعتبار ما يفرضه الإلتجاء والتعاهد من تبعية فكرية، ثقافية، سياسية، اجتماعية، وحتى اقتصادية فيكون المعاهِد المعتصم تحت الشعاع لا يستطيع التغيير أو التغير. فنخسر المبادئ الصحيحة وهذا أمر صعب جداً لأنه يؤدي إلى انهيار في الأخلاق مما يعني التنازل وعدم الأهمية لما نشأنا عليه من أخلاق صحيحة طيبة.

وغالباً ما يحتاج إلى التعاهد الغريبُ، قليلُ العُدة والعدد، ضعيفُ الجانب وإنْ كثر عدده أو عُدته، فإذا لم تلاحق هؤلاء التعاليمُ الإسلامية فيعني ذلك ضياعهم خصوصاً وأنهم يعانون من أزمات نفسية تجعلهم مهزوزي الشخصية قليلي الإرادة فينصاعون لما يفرض عليهم من شروط فيكون المقابل للحماية - احياناً - هو التخلي عن الأخلاق والمبادئ وهو أمر خطير جداً يُخشى من عواقبه الوخيمة على المسلمين كافة فينبغي حُسن الاختيار والاعتصام بأهل الصدق والأمانة والوفاء لو دعت الحاجة الملحة بحكم الظروف إلى ذلك الاختيار.

كما يمكن أن نستشف من الحكمة بعض ما ينفع في هذه المرحلة التي كثر الاغتراب فيها، لتبرز قضايا ما كانت على الساحة بشكلها الواضح، من تلك القضايا: الالتزام بقانون بلد اللجوء والاقامة حيث يفترض قانونياً عندما يُمنح حق الدخول والإقامة لشخص - أن يحترم القانون ويطبقه ما دام في الحدود الدولية للبلد وبعكسه فيتعرض للمساءلة أو المعاقبة، فيلاحظ أن ما قاله الإمام عليه السلام، يمكن تطبيقه على هذا المورد الجديد لنتعرف على أن الإنسان ليس له أن يتعدى المسموح به لأن تأشيرة الدخول أو اللجوء أو بطاقة الاقامة ونحو ذلك من الوثائق الرسمية الممنوحة تساوي الذمم التي عبّر بها عليه السلام، فلا بد لمَنْ يريد الإفادة منها أن يكون دقيقاً في تعامله معها فلا يتجاوز ولا يزوّر ولا يخالف، ولو لم يَرُقْ له الحال فيمكنه

الاستبدال ببلد آخر، وما عدا الالتزام فيُعدّ ناقضاً للذمة وهو ما لا يجوز ولا يسوغ شرعاً وقانوناً وذوقاً.



◀ ٢٥ - قال عليه السلام:

الإعجاب يمنع من الأزدياد.

الإعجاب مشتق من العُجْب وهو لغة: الزهو، الكِبْر. والزهو: الفخر، التيه والكِبْر: الظلم[١]، وبحصول أحد هذين الأمرين يقصر الإنسان عن تحقيق المزيد من الطموحات وعن تعديل مستواه النتاجي والاجتماعي لأنه تصوَّر في حالة معينة أنه حقق ما لم يحققه غيره مما يعني التقدم فهو غير محتاج إلى المواصلة والعطاء.

وهنا يكمن الخطر لأن روح التقاعس متى سرت في جسد الإنسان سوف تُثْنِيه عن تقديم الأفضل أو البحث عن الأفضل لظنه أن ما أنجزه هوالأفضل فلا داعي لاستكشاف غيره.

ولما كانت مسئولية تنظيم دور الإنسان في الحياة من المسئوليات المنوطة بالقادة المصلحين الموجهين، نجد أن الإمام عليه السلام يشير إلى أهمية الطموح والتطور والمواصلة وبذل الوسع في إيجاد المزيد وعدم الاقتصار على المنجزات السابقة.

(١) المنجد ص٤٨٨، ص٣١٠. مادة (عجب) و (زها).

فيريد أن يجعل حالة تسابق مشروع وشريف لدى الأفراد إذ كثيراً ما يندفع الفرد إلى الإنتاج إنْ شعر بمساواة غيره له فيحاول التقدم، وأيضاً يندفع إنْ وجد التشجيع سواء المعنوي أو المادي.

واعتقد أن هذه المتابعة من الإمام عليه السلام تعتبر دافعاً ومحفزاً نحو الأمام ليتطور وضعنا ومِن ثَمَّ الوضع المحيط بنا فننجح في خلق جوّ حماسي ناتج، مثمر، يتقدم فيه البعض على البعض الآخر بمقدار ما ينجزه وبما يرفد به غيره من خدمات تُحَسّن وضع المواطنين له.

ولعل مما يشير إلى هذا التسابق والجو للحماس ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من النصوص التي تؤكد على هذا المعنى ضمن إطار قضيتها الخاصة.

فمثلًا قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(١) الذي يثير في الإنسان حالة الارتقاء والسمو بنفسه وسلوكه واختياراته وانفعالاته ضمن حالة التقوى التي يهتم بها الكثير بل الغالب إلّا أنها متفاوتة الدرجات فكلٌ بمقدار جهده وما يتوافر عليه من عوامل ضبط النفس - بمفهومها العام الشامل لمصاديق متعددة متكثرة - يحصل على درجة مناسبة.

ومثلًا ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله (خَيِّركم خَيِّركم

(١) سورة الحجرات. آية (١٣).

لأهله وأنا خَيِّركم لأهلي)[1] الذي يحفز نحو حالة تسعد وترضي كل الأطراف وتبعث على ارتياح النفوس لأن الإنسان المسئول عن إدارة البيت إنْ سعى لمعاملة عياله - سواء الزوجة أو الأولاد ذكوراً وإناثاً أو غيرهم ممن يعاشر - معاملة طيبة حسنة سيحصل على مبادلة مرضية - إلا ما شذ وندر من المبتلين بأهل سوء - وإذا حققنا هذا العامل المهم في حياة الرجل ضمنّا حالات تقدم في مسيرة الحياة كثيرة، لإستقراره النفسي وإرتياحه العائلي فيكافحَ من إجل تحقيق الأفضل وهذا هو الهدف. إذن تلتقي كل التوجيهات الإصلاحية ضمن خط تحسين النتاج وتقديم الأفضل.

ونحو هذين المثالين غيرهما أيضاً مما يكون حاثاً على كيفية معيّنة تتكفل بجانب من جوانب الحياة الاجتماعية سواء الفردية أو العائلية.

ومما ينبغي فهمه ان العُجبَ يختلف عن العَجَب، فان العَجَب: (إنفعال نفساني يعتري الإنسان عند استعظامه أو استطرافه أو إنكاره ما يَرِد عليه)[2] فهو أمر طبيعي، بينما العُجب أمرٌ مذموم لأنه يُعوّد الإنسان على ما لا ينفعه بل يحّجمه ولا ينمّيه وهو مع ذلك يخسّره الكثير من الاصدقاء أو النتاج.

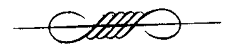
---

(١) وسائل الشيعة ج١٤ ص١٢٢. أقول: يمكن قراءة الحديث بصيغتين، الأولى: المتقدمة. والأخرى: خَيْركم خَيْركم لأهلِهِ وأنا خَيْركم لأهلي. فلاحظ.

(٢) المنجد ص٤٨٨ مادة (عجب).

فلذا ينبغي للإنسان العاقل إذا دخله شيء من العُجب أن يتعوذ بالله تعالى من شر الشيطان والنفس الأمّارة بالسوء. ويواظب على ذكر الله تعالى. ويتذكر اعمال ومنجزات غيره ليعرف أنه سوف يكون كغيره. وأهم شيء في معالجة داء العُجب أن يتواضع للغير لتتعادل لديه الكفّتان: كفة الإعجاب بالنفس، وكفة استصغار المنجزات وأنها بجنب عظمة الله تعالى وما خلقه شيء ضئيل.

فالدعوة إذن إلى الجد والاجتهاد ومواصلة النتاج لأنّ حالة الرضا عمّا أنجز مع التكاسل عن أداء المزيد تؤثر في خفض معدل النتاج ونوعيته وهو ما يضر مرافق الحياة كافة، لأن كل فرد في المجتمع هو عضو مساعد على تنمية روح الحياة والتفاعل فتعمر الارض وتدوم الحياة.



◀ ٢٦ - قال عليه السلام:

أعجز الناس مَنْ عجز عن اكتساب الإخوان، وأعجز منه مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظفر به منهم.

الدعوة إلى المحافظة على العلاقة القائمة بين أفراد المجتمع والتي تسمى (الصداقة) وهو معنى له مدلوله الخاص المشتق من الصدق. الصدق في المشاعر، الصدق في المعاشرة، الصدق في المواساة، الصدق في الارتباط...

لأن الإنسان قد يقيم علاقة مع انسان آخر لكنها لا تعدو أكثر من كونها تعارفاً تمّ بين اثنين يؤطره وجود المصلحة وهي في ذات الوقت عمود العلاقة ولذا نرى كثيراً ما تفشل علاقات اجتماعية كانوا يبالغون في وصفها بالاخوة والصداقة الحميمة والحب و. . و. . . إلّا أنها أول ما تعرضت لحالة اختبار فشلت ولم تقف صامدة بوجه المصالح لتجعل العلاقة وما تحتمه من وفاء وإخلاص وتضحية فوق كل مصلحة. ولعل من اسباب ذلك هو الإنخداع وعدم الانتقاء المناسب للاصدقاء.

فهي دعوة لأمرين يحتاج اليهما المجتمع كثيراً لأنهما يساعدان على تكميل نواة المجتمع الصالح، إذ بدونهما يعوزه الكثير فلا يكون المجتمع متكاملًا:

الأول: الانفتاح على إقامة علاقات اجتماعية مفيدة لما في ذلك من مكاسب روحية ومادية، أخروياً ودنيوياً: فإنّ الإنسان قد ينفتح على صديقه فيفضي بهمومه وشجونه فيشعر عندئذ براحة نفسية، وقد ينصلح بصلاح صديقه لأنه تأثر به فاستفاد معنوياً وروحياً فسمت روحه وارتفع عن الحضيض وهو مكسب مهم في تاريخ العلاقة قد يعجز عن تحقيقه الكثير وهو إذا تحقق يحوز على رضوان الله تعالى ورضاه وهو غاية ما يتمناه الإنسان المؤمن في حياته وعلاقاته. وقد ينتفع معه بشركة في عملٍ أو غير ذلك في مجالات الاستثمار والعمل فيستفيد من جراء إقامة العلاقة مادياً فيتحسن وضعه المادي والاقتصادي والاجتماعي.

الثاني: المحافظة على بقاء العلاقة وادامتها بما يضمن وجودها وتركيزها حتى تدوم المحبة والالفة لتكون قرابة وقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام أن (صحبة عشرين سنة قرابة)[1] وما ذلك إلّا لعمق العلاقة التي مرت بمختلف الأحوال التي تُظهر الإنسان الصديق على واقعه ويُعرف معدنه.

فلا بد من الوفاء للاصدقاء والاخلاص معهم فلا تكون العلاقة مربوطة بالمصالح المؤقتة بل لتثمر ما هو أنفع وهو تكثير عدد الإخوان الذين يحتاج اليهم الإنسان بحسب طبيعته فيتكثر بإخوانه ويتعزز بهم وينتصر بهم ليشعر بالاطمئنان والراحة النفسية من هذه الناحية وهي مهمة جداً.

ومن استعمال الإمام عليه السلام كلمة (الإخوان) بدلًا من (الأصدقاء) نعرف السّر وراء الاختيار فان الأخ هو (مَنْ جمعك وإياه صُلب أو بطن)[2] ثم استعمل في الصديق الذي لا يرتبط به في صُلب أو بطن وإنما ربطتهما معانٍ سامية تقيّد كلٌّ منهما بها فأخذت بهما إلى حيث الانفتاح والانشداد والحب والوفاء فيجد في لقائه وصحبته متنفَّساً من الهموم المحيطة به فيرتاح إليه.



(١) تحف العقول ص٢١٤، ط النجف.

(٢) المنجد ص٥. مادة (أخا).

◀ ٢٧ - قال عليه السلام :

اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية فإنّ رواة العلم كثير ورعاته قليل.

الدعوة إلى التأمل والتدبر عند نقل الأخبار وخصوصاً تلك الواردة عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام عليهم السلام لأن الهدف الأسمى الذي لا بُدَّ من السعي نحوه هو الاستفادة العملية من الأخبار لا مجرد الحفظ والترديد بل مضافاً للحفظ والترديد يكون الاستيعاب والفهم ليكون الناقل واعياً لما ينقله مستفيداً منه معتبراً مما فيه متوقفاً عند المحطات التي تستحق التوقف عندها والتفكر فيها ليتطبع على الخير ويتأثر به في مجاله العملي.

وأما لو اكتفى الناقل بالحفظ والترديد فيكون حاله حال الاجهزة الصوتية التي تحفظ الصوت وتكرره عند الطلب من دون استيعاب لأنها معدَّة أساساً لهذا الغرض التوثيقي بينما الإنسان - بما أُعدّ له من تراث إسلامي ضخم - قد هُيّء له أن يكون عضواً صالحاً في المجتمع من خلال تأثيره فيمن حواليه من خلال قراءآته ومعلوماته المكتسبة التي تنفعه وتنفع غيره فيرتفع المستوى الثقافي والفكري والديني للمجتمع من خلال هذه البداية البسيطة التي تبتني على الوعي التام لما يقرأه أو يسمعه فينقله ليتعلم تدريجياً الدقة والالتزام.

ومما يساعدنا على فهم هذه الحكمة أكثر والإيمان باهميتها وجدواها ما نعايشه في حياتنا اليومية من إخبارات الاشخاص الذين

لم يتفهموا الخبر بل كان نصيبهم الترديد كالببغاء أو المسجل من دون حساب للنتائج التي يمكن أن تحدث إيجابية أو سلبية.

ومن المؤكد أنّا لانعتمد على هؤلاء بل نترك باب الاحتمال مفتوحاً فيمكن صحة الخبر كما يمكن العكس بينما لو التثبت والتفهم هما الأساس لكان من السهل جداً الاعتماد على إخبارات الاشخاص لأنهم قد استوعبوا ما نقلوا ووعوه وعياً صحيحاً وعندها فلا مانع.

فلا بد أن نسعى لنكون من الرعاة للعلم والحافظين لمحتواه لأن بذلك يتحسن حال الناس ولا نكتفي بأن نكون من الرواة للعلم والناقلين لألفاظه لأنّ ذلك لا يغيّر كثيراً من الواقع. إذ لو كان الغرض يتم بالنقل لكان التعبير بـ(انقلوا) وليس (اعقلوا) فمن التأكيد على اعقلوا يعلم أهمية التركيز والتفهم لينشأ جيل علماء ومثقفين واعين ليتكامل الناس ويتحسن وضعهم لأن عدد العلماء دائماً أقل من غيرهم بينما عدد غيرهم أكثر فلا حاجة إلى تكثيرهم.



◀ ٢٨ - قال عليه السلام:

إغضِ على القذى(١) وإلاّ لم ترضَ أبداً.

الدعوة إلى الاغضاء والتغاضي عما يواجهه الإنسان من مواقف

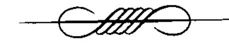
(١) القَذَىٰ لغة: ما يقع في العين وفي الشراب من تبنة أو غيرها... و(هو يغضي على القذىٰ) أي يحتمل الذلّ والضيم ولا يشكو. لاحظ (اقرب الموارد) ج٢ ص٩٧٦.

المواجهات التي تتشنج فيها العلاقات وبذلك يكسب الإنسان الغاضي - الذي تحلّم - الحالة فقد تجاوزها بالصبر عليها وتحمّل متاعبها النفسية - المؤلمة - ليصفو العيش من المنغصات والمكدرات لأن الحياة بطبيعتها لا تخلو من ذلك إذ لايجد الإنسان مَنْ يصافيه تماماً.

فلابد من استيعاب المشكلات وامتصاصها وأن لا يتوقف الواحد منّا عند كل صغيرة وكبيرة وإلّا فلا يهنأ أبداً ولا يرضى عن أحد بل ولا يرضى أحدٌ عنه لأنّ الناس يميلون إلى مَنْ يتناسى الاساءة ويحاول مسايرتهم بالشكل المقبول لديهم وإلّا لانعزل وتحجّم اجتماعياً، وينبغي للانسان أن يحاول ذلك لكن من دون مساس بالثوابت الإسلامية والإنسانية التي يجب أن تسود ولا يصلها الاهمال والتناسي، ومن الخير أنْ لا ننسى قول النابغة الذُبياني:

ولست بمُستَبْقٍ أخاً لا تَلُمُّهُ على شَعَثٍ ايُّ الرجال المهذب

فلابد من الإغضاء، والتحمّل، والتحلّم مع القدرة على المواجهة والرد، لأنه لو خسر الإنسان فرداً وفرّط به، فليس بمعلوم إمكان البديل المناسب، المرضي من جميع الجهات، وإلّا لم يكن إنساناً عادياً.



◀ ٢٩ - قال عليه السلام :

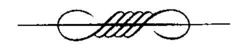
أفضل الأعمال ما أكرهت نفسك عليه.

مما لا شك فيه أن عملية الترويض بمختلف اشكاله ومستوياته تثمر نتائج جيدة تنفع في مجالات عديدة، والدعوة من الإمام عليه السلام موجهة لممارسة هذه العملية مع النفس وهو أمر يجمع بين السهولة والصعوبة.

فمن منطلق القرب فالنفس أقرب شيء إلى بدن الإنسان لإحتوائه لها وإدراكه الأشياء عن طريقها فيسهل الترويض.

ومن منطلق التباين بين النفس الإنسانية والتعاليم السماوية تبدأ مرحلة الصعوبة لأن التعاليم تتضمن مجموعة من الأوامر والنواهي التي يصعب على الإنسان الاستجابة لها إلّا بالترويض والتعويد تدريجياً لأن الفعل المستعجل تكون ردة فعله قوية جداً على مختلف التقادير، فالتدرج ومحاولة الاقناع بالفائدة المرجوّة من العمل أمرٌ ضروري في هذه العملية، فإذا عرف الإنسان أن هذه التعاليم لمصلحته وتدور حول فائدته الدنيوية أو الأُخروية، المادية، أو المعنوية، آمن بضرورة الامتثال، أو الانتهاء. ومن الضروري إيجاد وسائل دعم وتشجيع للمواصلة فكان منها هذه الحكمة منه عليه السلام ليتحفز الإنسان في إداء العمل المطلوب ولو لم يتلائم مع هواه، مادام أنه الأفضل وكلنا يسعى نحو الأفضل، فلا بُدَّ من استيعاب هذه الحكمة جيّداً لئلا يقع الإنسان في مطبّات المخالفة والمعصية على

أساس أن العمل المنهي عنه من الأمور الشخصية الطبيعية فلا حق أحدٍ في تحجيم هذه الحرية، أو أنَّ العمل المأمور به مما لايرغب به. لأن القضية غير متروكة للاختيار بعد الالتزام بموجب الميثاق الإسلامي. ولا بُدَّ من المخالفة للاهواء الباطلة التي تبتعد بصاحبها عن طريق الحق والصراط المستقيم. وأيضاً لا بُدَّ من تحمّل المتاعب الجسمية إنتظاراً لما أَعَدَّه الله تعالى في الدنيا والآخرة من الثواب الجزيل بمختلف أشكاله.



◀ ٣٠ - قال عليه السلام:

أفضل الزهد[١] إخفاء الزهد.

الزُهد من الخصال الحميدة التي ينبغي التحلي بها والاتصاف بها مهما أمكن لأنه يهيء للإنسان فرصة التوافر على حالات نفسية عالية يبحث عنها الإنسان - غالباً - لأنها تريحه من عناء الدنيا والحياة المادية المتعبة بتطورها وتقنياتها وما تستوجبه من مظاهر تثقل روح الإنسان قبل جسده وتبعده عن ساحة رضوان الله - إلا مَنْ عصم الله تعالى-.

(١) الزهد لغة: الإعراض عن الشيء إحتقاراً له، وهو من قولهم (شيء زهيد) أي قليل. لاحظ المنجد ص٣٠٨ مادة (زهد).

إذن فالإمام عليه السلام يدعو إلى التحلي بهذه الخصلة الحميدة ويؤكد على أمر مهم يكتسب أهمية بالغة وهو ضرورة عدم التظاهر والتجاهر بهذا الشيء لئلا يصاب الإنسان الزاهد بداء الغرور والاعجاب الذي تقل معه فرصة المواصلة والمتابعة على نفس الخطى على أساس أنه واصلٌ إلى هذه المرحلة المتقدمة فلا يلمّ بذنب أو لا يضره شيء إتكالًا على الزهد فلا بُدَّ من الحذر من مصيدة الشيطان لئلا يقع الزاهد فيها لأنه بمرصد ومرقب من شياطين الجن والانس فلأنه بدأ اولى خطواته على طريق الله تعالى وبدأ فعلًا بمخالفة هواه ونفسه الأمّارة بالسوء، وهذا أمرٌ لا يروق لأعداء الله تعالى فيحاولون طرح العثرات وتكثير العراقيل فيكون العُجب والاعجاب، استكثار العمل، استقلال عمل الآخرين، عدم الاعتناء بالغير، سوء المعاملة، المجابهة الحادّة. . .

مما لا يتلاءم مع تعريف الزهد لأن مَنْ أعرض عن الدنيا - التي هي موضوع الزهد هنا في المصطلح الأخلاقي - عليه أن يحتقر عملياً كل المغريات والصوارف الطبيعية والمصطنعة لأجل أن يتقرب من ساحة عفو الله تعالى ورحمته. ولا يكتفي برفع الشعارات لكسب الثقة مع أن الواقع بعيد و متفاوت مع الظاهر.

فالإمام عليه السلام دلّنا على أفضل الطرق الموصلة إلى الإعراض عن الدنيا بأن يجاهد الإنسان نفسه واقعياً ومن منطلق الداخل والضمير قبل منطلق المظهر الخارجي، فالزاهد حق الزهد مَن ابتعد عن

الحرام ليتوفر بعد ذلك كله على ما يؤهله للارتقاء في سلالم الكمال. إذ الأمر غير مقتصر على لبس الخشن أو أكل الخشن أو المعاملة الخشنة بل الأمر يتسم بعمق أصيل ومرتكز متجذر - أو يجب أن يتجذّر - في الإنسان ليستقر في الاعماق فتنطلق التصرفات عن قناعة لا تقليد وعن وعي لا محاكاة... نعم لا يُنكر تأثير المحاكاة - أحياناً - إلّا أن لها مرحلتها و تأثيرها المؤقت بكل تأكيد بينما يريد الإمام عليه السلام منّا أن نتعود ذلك و نتصف به لنكسب الاصدقاء على طريق الله تعالى المتمثل في الدعوة إلى الإسلام ومبادئه ومُثله العليا التي تحقق للانسانية ما تحلم به وتوفر لها كل وسائل التحضر والتقدم بكل أشكاله ومراحله - لكن بالشرط المذكور - أعني تجذّر الإيمان وانطلاق الفكرة من الاعماق.



◀ ٣١ - قال عليه السلام :

افعلوا الخير ولا تحقّروا منه شيئاً، فأنَّ صغيره كبير وقليله كثير، ولا يقولن أحدكم إنَّ احداً أولى بفعل الخير مني فيكون - والله - كذلك، إنَّ للخير والشر أهلاً فما تركتموه منهما كفاكموه أهله.

إنّ من العوامل المؤثرة في بث الروح الحماسية للقيام بالمهمات هو: عامل التشجيع والدعم على أساس - انْ ليس أحد أحق بالأمر منك - مما يدفع نحو القيام بالمهمة مع الشعور بالأهمية والكفاءة مما يؤثر - حتماً - على تحسين الناتج.

ومن الواضح أن دعوة الإمام عليه السلام تضمنت هذا الأسلوب في الحث: فقد بيّن عليه السلام أهمية الخير وضرورة إبراز مظاهرِهِ الحياتية بمختلف صنوفها. و عدم إهمال أيِّ مقدار منه مهما تضاءل حجمه التقديري - الحسي - أو الاعتباري لئلا يُحْرَمْ افراد المجتمع من ذلك الخير.

ثم بيّن عليه السلام أن للخير أفراداً عديدة وصوراً مختلفة لا يمكن حصرها لإتساع الدائرة بحسب الزمان والمكان والاشخاص. فيجب أنْ لا يحتقر صغير الحجم من هذه الافراد لأنه كبير بمقياس أنه خير. وكذلك لا يستهان بقليل المقدار منه لأنه كثير بمقياس أنه خير، وقد راعى عليه السلام التناسب في المقابلة بين الصغير والكبير، وبين القليل والكثير. وهو أمر مهم من الناحية الأدبية، البيانية، الادائية.

ثم بيّن عليه السلام أنه لا ينبغي التواكل في عمل الخير بل لا بُدَّ من المبادرة والمسارعة مهما أمكن لأن ذلك فرصة يصعب تعويضها فقد لا تتاح مرة ثانية، وأنّ الإنسان إذا تعوّد التواكل والاكتفاء بمبادرة الآخرين فسيكونون أولى وأحق منه دائماً لأنه لم يترك الفرصة لنفسه بالعمل ولو مرة واحدة وإنما كان من المتماهلين فحتماً سيتقدم غيره ويتأخر هو، ولا يتصور الإنسان أن العمل المطلوب إنجازه إذا لم ينجزه هو تتوقف عجلة الحياة بل هناك الكثير ممن يبحث عنه ويسعى للحظوة به فيتلقف الفرصة بسرعة، وهنا قد تحدَّث الإمام عليه السلام بشمول، فإنّ للخير أهلًا وكذلك للشر فلابُدَّ للإنسان

أن يتباعد عن الشر لئلا يكون من أهله و يترك الأمر لمن سخط الله عليه لأن المهم الاقلاع عن الشر والتقدم نحو الخير الذي هو كل فعل إيجابي لا يضر أحداً بما يكون مقصوداً - وإلا فكل فعلٍ يتصف بموافقته لأحد ومخالفته لآخر -.



◀ ٣٢ - قال عليه السلام :

أقل ما يلزمكم لله أنْ لا تستعينوا بنعمِهِ على معاصيه.

الدعوة والتنبيه إلى أمر مهم جداً يغفل أو يتغافل عنه كثير من العباد وهو أنّ الإنسان يتمتع بما أنعم الله تعالى عليه من صحة وعافية وجاه ومال وقوة ونفوذ و. . و. . . إلّا أنه قد يستعملها فيما لا يرضي الله تعالى بصرف هذه النِعَم فيه كالمحرمات التي نهى تعالى عن اقترافها والاقتراب من حدودها وأمَرَ عزّ وجلّ بالابتعاد عنها والانزجار النفسي عن ممارستها، بينما أنّ الواقع يفرض مقابلة النِعَم بالتعامل المناسب من الشكر والثناء وعدم التوصل بها إلى ما يغضب المنعِم - أياً كان - وهذا شيء أساسي تفرضه قواعد الآداب الاجتماعية العامة فكيف - إذن - إذا كان المنعِم هو خالق السماوات والارض، المحيط بكل شيء، الذي لا يعجزه شيء، الذي لا تضره معصية مَنْ عصاه كما لا تنفعه طاعة مَنْ أطاعه وإنما المتضرر والمنتفع بالدرجة الأولى هو العبد. فالإمام عليه السلام يؤكد على هذه النقطة المهمة في استدامة الالطاف الالهية واستمرار الامدادات الربانية والتي يحتاجها كل

مخلوق مهما كان حجمه أو شأنه، فلو لم نلتزم بهذه الحكمة لحَكَمْنا على انفسنا بالحرمان وزوال النِعم فإنها تزول إذا لم تجد الجو الملائم والظرف المناسب والتعامل اللائق. فلا بُدَّ للانسان العاقل ان يُحسن التعامل مع ما يرزقه الله من متطلبات الحياة ومهمات البقاء في الدنيا من الأمور المعنوية والاعتبارية أو المادية والشأنية، فلا يقابل هذا كله بالتمادي في الطغيان والتمرد بل يلزمه - بحكم الدليل العقلي - أن يشكر ولا أقل من عدم الاستعانة بالنِعَم على ما لا يرضى به تعالى.



◄ ٣٣ - قال عليه السلام:

أقيلوا ذوي المروءات[1] عثراتهم، فما يعثر عاثر إلاّ ويدُ الله بيده ترفعه.

إهتمام واضح بالمتصف بصفة المروءة وفي ذلك تشجيع وتحبيذ ودعوة لاتصافنا بها ولتكاملنا ضمن خطها لما فيها من معانٍ سامية يهتم بها الإمام عليه السلام لأنها من أهداف الإسلام.

فإذا كان الإنسان متصفاً بهذه الصفة الكريمة فالإمام عليه السلام يدعونا للصفح والغض عن خطئه ويحبِّب لنا التسامح وقبول العذر - لو اعتذر - تكريماً لهذه الصفة وتعزيزاً لها في النفوس وتبياناً بأن

(١) المروءات جمع المروءة، وهي لغة النخوة. كمال الرجولة المنجد ص٧٥٤ - مادة مرء - أساس البلاغة ص٥٨٧. آداب نفسانية تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات. أقرب الموارد ج٢ ص١١٩٦.

الإنسان معرّضٌ للتجاوز والخطأ، فلا بُدَّ للآخرين أن يساعدوه - على تلافي التكرار وعدم الوقوع مرة أخرى - بقبول العذر بل وابتغاء العذر له - لو امكن - لأن هذا الجانب الأخلاقي مهم جداً في تسيير عجلة الحياة الاجتماعية وإلّا لتعطلت وتكثرت الحواجز والمعرقلات لأن الإنسان معرضٌ دائماً بحكم طبيعته إلى التورط من خلال تصرف أو كلام، وفي الغالب يعتذر ويندم على ما صدر منه.

فحريٌّ بنا - نحن المسلمين - الاصغاء لهذه الدعوة الكريمة والامتثال والتطبيق لموادّها كي نضمن تبادل التسامح والتغاضي والصفح عنا لو بدرت أخطاء من أي فرد منّا.

وقد عبّر عليه السلام عن الاخطاء بالعثرة التي هي (السقطة، الزلة)[1] ولعل صدورها من الإنسان إنما هو لتنبيهه إلى أمر يتغافل عنه - خصوصاً لو بلغ مرتبة تُوهِمُهُ بالكمال - وهو الطبيعة البشرية القائمة على صدور الخطأ قولا أو فعلًا وأن المعصومين من الخطأ معيّنون مخصوصون ومَنْ عداهم فهم يتفاوتون في درجات الكمال فلا داعي لأن يشمخ بعضنا على البعض الآخر.

ومما هو جدير بالاهتمام أن الإنسان المسلم الملتزم المتمسك بحبل الله ورسوله وأوليائِهِ مدعوم بدعم الهي لئلا تتعرقل سيرته الحياتية، وذلك بعدة صور و أشكال إما بأن يبادر للاعتذار، وإما بأن يرق له قلب الطرف الآخر - المعتدى عليه -، وإما بالاعتراف

(١) المنجد ص٤٨٦ مادة عثر.



بالخطأ فيعطى فرصة التراجع، وإما بعدم الإصرار على الخطأ و الندم القلبي على ما صدر منه. . .، وإما بالتوبة والاستغفار أيضاً. . .

مما يساعد على عدم توقف الحالة أو تشنج الوضع بل تسير الأمور كجاري العادة الطبيعية، كل ذلك بتأييد الله تعالى وتسديده ومنّته وقوته فأن (اليد) بمعنى النعمة والرحمة والقدرة، فأنه تعالى ينعم عليه بتلافي الحالة ويرحمه بأن لا يصّر على الخطأ لأنه عز وجل القادر على العباد وكل ذلك من دون إلجاء أو تأثير مباشر وإنما يهديه للتي هي أقوم وأحسن وأليق بحال هكذا إنسان تتمثل فيه الإنسانية وكل صفات الرجل القوي الذي عوّد نفسه على جيد الأفعال والأقوال الذي يبالي بما قال وبما قيل له وهذه الحالة لا تترسخ إلّا بالممارسة والمجاهدة للهوى الغلّاب وإلّا فمن السهل جداً إطلاق العنان وعدم السيطرة فيتفوه أو يتصرف بما شاء من دون مراقبة.

ومن الجدير بالذكر أنه قد جاء في المَثَل (اقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم)[1].



◀ ٣٤ - قال عليه السلام:

أكبر العيب انْ تعيبَ ما فيك مثلُه.

الدعوة إلى أن يهذب الإنسان نفسه ويحاسبها بكل دقة لئلا ينتقد

(١) قال في مجمع الأمثال ج٢ ص٦٨ أراد بذوي الهيئات أصحاب المروءة.

أحداً بعيب هو متصف بمثله فأن هذا من العيب على العاقل لأنه سوف يفسح المجال لانتقاده أيضاً.

فلا بد من كف اللسان وتعويده على التحفظ وإلّا كَثُرَ الخصوم والعيّابون لأنك لو نطقت فلك لسان واحد بينما لغيرك ممن حواليك وممن يبلغهم عيبك ألسن متعددة بعددهم ومن المؤكد أن الإنسان الواحد لا يستطيع مقاومة العدد الكثير لأنه متى حاول سدّ جهة انفتحت له جهات أخرى. فحبذا مراعاة هذا الجانب الأخلاقي وانشغال الإنسان بعيوبه عن عيوب غيره اللهم إلّا إذا كان من إسداء النصيحة وبيانها فلا مانع لكن بعد التأكد من عدم الاتصاف لتكون نصيحته أكثر قبولًا وأوقع في النفوس وإلّا لقيل له إذا كان ما تقول حسناً أو سيئاً فلماذا لا تطّبقه أنت؟! كما قال المتوكل الليثي:

لاتنه عن خُلُقٍ وتأتي مثله عارٌ عليك إذا فعلت عظيم



◀ ٣٥ - قال عليه السلام:

الأمر قريب[١] والاصطحاب قليل.

الدعوة إلى الاستعداد للقاء الله تعالى وعدم الركون التام إلى بهارج الدنيا وملذاتها لأنها زائلة يفارقها الإنسان إلى حيث السؤال

(١) الأمر كناية عن مفارقة الحياة وانتهائها الذي يعبّر عنه أحياناً بالموت، وأحياناً بيوم القيامة.



والجزاء فلا بد للإنسان العاقل أن يستعد لذلك فلا يقطع حبل الصلة بينه وبين الآخرة ومتعلقاتها في الدنيا بل عليه أن يعيش دنياه في الدنيا وأن يعيش آخرته في الدنيا وذلك بأن يوفي كل واحدة حقها - قدر الإمكان - ولا يجري مع الدنيا على أساس أنها الدائمة فإنه مهما بقي فيها فسيرحل حتماً. إذ انّ الموت منه قريب بحيث يفاجأه في أية لحظة يقدّرها الله تعالى، وكل آت قريب فيعني ذلك أن موعد الحساب وهو يوم القيامة قريب أيضاً فلا مجال للتراخي في تأدية الواجبات والتزود بزاد الآخرة والخروج عن التبعات التي تثقله أُخروياً والتخفف عن الاوزار التي ترهقه لدى المساءلة الالهية.

ثم أنه من الطبيعي جداً قلة المكث في الدنيا إذا كان الموت قريباً، فمَنْ يعمَّر في الدنيا مهما بلغ عمره فهو كضيف في الدار لا بُدَّ له - يوماً ما - من الرحيل والانتقال إلى حيث البقاء الأبدي.

فالدعوة تتضمن تحذيراً وتذكيراً :

فالتحذير من الاغترار بالدنيا والتصديق بوعودها فأنها إذا تشوفت وتبسمت لأحد ظنّ صدْقَها وأنها على هذا الحال دائماً بينما الأمر مختلف تماماً إذ إنها خدعة يصطاد بها الغافل والمغفّل فعمّا قريب يترك الإنسان كل ما يعّز عليه من أولاد، مال، منصب، زوجة، جاه... فان اصطحابها وكينونتها معه أمر موقوت فليحذر العاقل.

والتذكير بقرب موعد الرحيل إلى دار البقاء ليتهيأ الإنسان ويستعد لسفر طويل لا يمكنه معرفة جهته فإما إلى الجنة إن أعّد نفسه أو إلى النار - والعياذ بالله - إن غفل واطمأن للدنيا.

◀ ٣٦ - قال عليه السلام:

إمشِ بدائِكَ ما مشى بك.

الدعوة إلى تحمّل الداء (المرض والعلة)[١] وعدم اللجوء إلى استعمال الدواء - والتركيب الكيمياوي - إلّا في الحالات القصوى التي لا ينفع معها العلاج بالراحة والنوم وتقليل الطعام (المضر).

وهذه الحكمة تتفق مع التجارب العديدة لفئة المعمَّرين فإنّ سر طول العمر أ غالباً - وبعد إرادة الله تعالى طبعاً، هو التقييد بنظام معتدل في الطعام والشراب والنوم وسائر ما يستعمله الإنسان أو يحتاجه. وقد أثبتت التقارير العلمية أن الاسراف في استعمال الادوية خصوصاً تلك المرّكبة المصنّعة، يعود بالضرر المباشر على المستعمِل أو بعض الاضرار الجانبية التي تظهر تدريجياً والتي تكون - في كثير من الحالات والتجارب - سبباً كافياً للوفاة أو الاصابة بمرض يؤدي إليها.

فلابد للإنسان أن يعالج نفسه بنفسه وذلك من خلال وسائل طبيعية كالراحة وتقليل الطعام أو استعمال بعض النباتات التي يضمن عدم ضررها ليكون قد مشى بمرضه ما أمكنه ذلك حتى إذا استعصى العلاج من خلال ذلك فعليه الاستعانة بالخبير الطبي لوصف الدواء.

وإذا تذكرنا بعض المسموعات السابقة عن نسبة الخطأ والاشتباه

(١) المنجد ص٢٢٨ مادة (داء).

للمختصين ممن يشخص الداء أو يصف الدواء ، لَعَلِمْنا ان الإمام عليه السلام حريص أشد الحرص على سلامتنا ووقايتنا من الاعراض الجانبية المضرة التي تفقدنا الصحة ، وقد دلّت التجارب أن اولئك الذين يبادرون ويسرفون في استعمال الدواء ولايتحوطون لسلامتهم يصابون بانتكاسة صحية غير متوقعة .

وقد أشار عليه السلام لذلك في وصيته لولده الحسن عليه السلام بقوله : (ربما كان الدواء داءً والداءُ دواءً)[1] فلا يتعجّل الإنسان باستعمال الدواء وأيضاً لا يضجر إذا مرِض لأنه قد يبعد عنه بذلك شر شيء أكبر ، كما يلاحظ في كثير من الحالات السريرية اكتشاف مرض لم يكن يعلم أو يشعر به المريض - نفسه- ، إذن الداء دواء . كما أنه قد يكمن الداء في استعمال ما أُعدَّ ليكون دواءاً والشواهد الكثيرة دالة على ذلك .



◀ ٣٧ - قال عليه السلام :

إنَّ للقلوب إقبالاً وإدباراً، فإذا أقبلت فاحملوها على النوافل، وإذا أدبرت فاقتصروا بها على الفرائض.

من المعلوم إن الإنسان لا تتساوى حالاته وتوجهاته النفسانية بل تؤثر عليه عوامل الزمان والمكان والاصدقاء والبيئة والفقر والغنى والصحة والمرض والأمن والخوف والانفتاح وعدمه والمداومة على

---

(١) نهج البلاغة ج٣ ص٥٢.

العمل وعدمها وكبر السن وصغره. . . وهذا بشكل عام فيشمل بطبيعة الحال اتصاله بالله تعالى حال العبادة فقد ينشّد تماماً فيؤدي المفروض ويتطلع نحو المزيد لأنه ممن ذاق حلاوة مناجاة الله تعالى وفاز بالاتصال الروحي معه فتعلّقت روحه بباريها وتخففت من أدران المادة وتبعاتها.

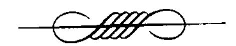
وقد يتخفف من كل ذلك فلا يجد من نفسه الاقبال على عمل المزيد وإنما يحاول أن يوجد فرصة لإنجاز المفروض. وهذا كشيء طبيعي لا غبار عليه ولا يمكن إنكاره لأنه يتماشى وتركيبة الإنسان الفسلجية والاجتماعية، لأن العوامل الجسدية والنفسية والبيئية تترك تأثيرات قوية عليه.

فالإمام عليه السلام يدعونا لأن نكون أكثر واقعية ونتجرد من نمطية أداء طقوس وممارسة اعمال وقراءة سطور أو صفحات مما يشكل دائرة روتين، بل لا بُدَّ من أن نتعايش روحياً بكل ما يشدّنا بالخالق تعالى لأنه أنعم علينا بكل مواهبنا ومراكز القوة فينا فلا يناسب أن نأتي إلى رحابهِ متناعسين متكاسلين متثاقلين، بل المطلوب أن نأتي بكل انفتاح وشوق وشعور بأنه سبيل الراحة والتنفيس اللذين يطلبهما الإنسان بعد إثقاله بمتاعب الحياة المادية وما تقتضيه من تقيّدات وملاحظات سياقية.

ومن غير الصحيح أن ننكر اتصافنا بذلك وإلا لفقدنا موقعنا المناسب في المحيط الإنساني الطبيعي، وكنا مؤدين لمظاهر لا تتسم بالمصداقية الصحيحة وإنما مجرد ترديد ولقلقة لسان أو قيام وقعود

بلا وعي، بلا حس صادق، بلا شعور حقيقي، بلا تفاعل مع الممارسة، لينعكس من ذلك إشعاع على مؤديها ليسمو به إلى حيث الكمال أو التكامل المنشود.

ولا بد أن ننتبه إلى ان الشيطان يترصدنا فلا مناص من الحذر منه وإلا لحاربنا بسلاح إقبال النفس وإدبارها بل اللازم أن نرّبي أنفسنا ونجاهد أهواءها ونحاول السير إلى مدارج الرقي الأخلاقي ضمن درب العبادة لنضمن محلًا كريماً في منازل الآخرة يتناسب مع طموح الواحد منّا وإلا لكنّا ممن يطلب الآخرة بلا عمل.



◀ ٣٨ - قال عليه السلام:

إنَّ للقلوب شهوةً وإقبالاً وإدباراً، فأتوها من قِبَل شهوتها وإقبالها، فانَّ القلبَ إذا أُكره عمي.

من المعلوم أن قسر النفس وإلجائها إلى القيام بعمل لا ترغبه ولا تتفاعل معه يأتي بنتائج عكسية أو أقل من مستوى الأمل والطموح، وهذا أمر يتفق فيه جميع بني الإنسان ولذا كانت مجاهدة النفس ومغالبة الهوى ومحاولات الترويض والتهذيب ليتمكن الإنسان من مسك زمام النفس والسيطرة عليها والتحكم فيها والتمكن المريح منها.

فالإمام عليه السلام يدعونا لأنْ نختار الأوقات المناسبة - أو لنهيء الحالات الملائمة - ولا نترك القياد للنفس التي تحب الراحة

والكسل فإذا توفرنا على ذلك أحرزنا النتيجة المرجوة المأمولة من العمل وكسبنا الجزاء الموعود دنيوياً أو أخروياً.

وهذا التوجه القلبي أو الانصراف أمر سائد في كل المجالات، الدينية والدنيوية فإنه يحكم تصرفات الإنسان ولا يمكنه السيطرة والتغلب على إظهاره - إلا نادراً - إذ يبيّن على صفحات الوجوه ويُقرأ من العيون - كما يقولون-.

فلنسر على خطى الإمام عليه السلام في توجيهه السامي ضمن هذه الحكمة لتكون اعمالنا وانجازاتنا مثمرة مقبولة بعيدة عن القسر والنمطية والروتين والعادة الموروثة وإنما تنبض بروح الجديّة والشوق والسعي نحو التكامل.



◄ ٣٩ - قال عليه السلام:

إنَّ الله افترض عليكم فرائض فلا تضيّعوها وحدَّ لكم حدوداً فلا تعتدوها[١] ونهاكم عن اشياء فلا تنتهكوها[٢] وسكت عن اشياء ولم يدعها نسياناً فلا تتكفلوها .

---

(١) أي فلا تجاوزوها.

(٢) الانتهاك لغة: يعم تناول ما لا يحل واذهاب حرمة المنهي عنه وتضييعها. يلاحظ المنجد ص٨٤٣. مادة (نهك).

بيّن عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الحكمة عدة نقاط مهمة يعوزنا الإلتزام بها إذ الكثير يسأل عمّا وراء التكليف، أو يتساهل في تنفيذ احكام إلهيّة بقسميها الآمر والناهي.

وهو أمر يشق كثيراً على الموجهين إذ يبعِّد المسافة ويخلق جواً من التعللات العليلة في ذاتها كعدم الاقتناع بالأثر، بالاهمية والجدوى، بالسبب. . . وهذا ما يدركه المصلحون الموجهون فانّه يخرب خطة الإصلاح ومنهاج الإرشاد ويعطل القدرات المتهيأة لذلك. وعندئذ تنحرف المسيرة عن خطها الأساس إلى فروع جانبية لا تكتسب أهميةَ بل هي من صوارف الشيطان.

فلهذا ونحوه دعانا عَلَيْهِ السَّلَامُ للالتزام بالتعاليم والتوجيهات والسير على منهاجها، والاهتمام بتنفيذها، وترك التطلع إلى المزيد من العمل لأنه لو كان مناسباً لما أغفله خالق السماوات والارض العالِم بالسرائر والخفيات الذي لا يعجزه شيء.

فأمّا إذ سكت عنه ولم يكلّف به فما هو إلّا وفق المصلحة والحكمة التي لا تدركها عقول المخلوقين مهما كانت قواها لسبب بسيط جداً لأن العقول واصحابها مخلوقة له فهو الموجد لها والمودع فيها القدرة والقابلية على التفكير والإبداع فهو - بالطبع - أقوى إدراكاً وأنفذ رأياً وأحزم وأحكم وأعلم. . .

فلا موجب بعدئذ للسؤال والاستفسار عن أمور متروكة لمصلحة عُليا، وإنما الواجب التوجه نحو امتثال الأوامر والانزجار عن

النواهي وعدم التعرض لما لم يبيّن من وجهة تشريعية، فان التشريع القائم يغطي مساحة عمر الإنسان ووقته فقد بُرمج وفق المناسب لحال كل فرد بحسب اختلاف جنس وزمان ومكان وفئة وحالة كل إنسان بما للكلمة من شمولية.



◀ ٤٠ - قال عليه السلام:

إنَّ الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقواتَ الفقراء، فما جاع فقيرٌ إلاّ بما مُتِّعَ به غني والله تعالى سائِلهُم عن ذلك.

إنّ مما يدركه كل عاقل صغيراً أم كبيراً هو التفاوت الطبقي والمادي والاقتصادي بين أفراد الناس فإنه أمر تقتضيه المصلحة العامة لنظام العالم وإلا لتعطلت كثير من المصالح والاعمال، ولما طُبِّقت بعض الفقرات المهمة في نظام التشريع، وفوق هذا وذاك الحكمة الالهية التي لا يدركها البشر.

فإذا كان هذا أمراً طبيعياً فهل يُترك جانباً ويُقبَل كأمر واقع أو يُبحث عن وسائل تتفادى الوقوع في الازمات والمشكلات المترتبة على ذلك التفاوت؟ وهذا ما اختاره عليه السلام ضمن هذه الحكمة فهو يدعونا إلى التواسي والتراحم فيما بيننا وأن نحقق مبدأ التكافل الاجتماعي بأدق صورة ممكنة وقد هيّء لنا فرصة تحقيق ذلك عن طريق تأمين قوت الفقير لأنه المهم فان الإنسان إذا أمَّنَ هذا الجانب

فقد أمِنَ المجتمعُ غوائلَهُ وتفكيره الإجرامي الفتاك الذي يثيره الحقد على الغني والضغينة المتأججة على مَنْ حواليه لأنه يشعر بأنه وصل إلى الفقر نتيجة غنى مَنْ حواليه، أما إذا وفّرنا للفقير لقمة العيش وتعاونا في سبيل ذلك ولم نُصَبْ بداء الاتكالية، فقد أحرزنا بقاءه ضمن شريحة المجتمع الصالح نستفيد منه ويستفيد منّا، ونعيش جميعاً بسلام لا ينغصنا سؤال الفقير وصراخ الصغار الجياع.

ولو اقتفينا أثر الإمام عليه السلام في هذه الحكمة لما بلغ حال جياع العالم ما بلغه من المجاعة الغالبة في كثير من البلدان أو المجاعة النسبية في البعض الآخر.

ولو ألقينا نظرة فاحصة لأبرز عوامل التكافل الاجتماعي في النظام الإسلامي لوجدنا أنه أمّنَ للفقير نصيبه الذي يسعف حاجته ويكفل حاجاته من لوازم الحياة المختلفة، فمن ذلك الزكاة بقسميها للأموال وللأبدان - الفطرة - والكفارات بأقسامها المتنوعة عند المخالفات في الصيام والحج والنذر واليمين والعهد والنكاح[1] وهي تتشكل بشكل الإطعام والإكساء في بعض مواردها بما يسد الحاجة - غالباً -. ثم الصدقات المندوبة وردّ المظالم والتصدق بمجهول المالك واللقطة والحث على الهدية والوصية وغيرها.

---

(١) في موارد الظهار والايلاء والوطئ أيام العادة الشهرية والتزوج بامرأة ذات بعل أو في أثناء العدة من الطلاق الرجعي بعد الحكم بلزوم المفارقة ثم التكفير، على تفصيل في جميع الموارد يطلب في محله من المصادر الفقهية.

وهذه المواد متعددة الموارد والمناسبات إلّا أنها تتحد في صرفها على الفقراء الذين لا يملكون قوت سنة كاملة لأنفسهم أو متعلقيهم ممن يجب الإنفاق عليهم كالزوجة والأولاد والأبوين أو الارحام أحياناً.

ومن هنا يتجلى لنا أنه تعالى قد اعطى كل أحد حقه المناسب من الرزق - المادي - إن بسعي العبد مباشرة أو بواسطة الأُمناء كما ورد فيما روي عن الإمام الصادق عليه السلام التعبير بـ(الأمناء) عن الأغنياء[1].



◀ ٤١ - قال عليه السلام :

إنَّ الحقَ ثقيلٌ مريء، وإنَّ الباطل خفيف وَبِئ.

الدعوة إلى اتباع الحق ومناصرته والدفاع عنه والوقوف إلى صفه، سواء كان - الحق - قولًا أو فعلًا، والدعوة إلى ترك الباطل ومناهضته قولًا أو فعلًا.

فاللازم متابعة الحق وان كان يثقل في كثير من الحالات لكنه مستساغ مهما كان، يرضاه كل أحد - حتى الغاضب في قرارة نفسه وان تأباه ظاهراً.

(١) روي في أصول الكافي ج٢ باب (فضل فقراء المسلمين) ح٢١ أنّه (قال أبو عبد الله عليه السلام: مياسير شيعتنا أمناؤنا على محاويجهم فاحفظوها فيهم يحفظكم الله).

وأيضاً يلزم مجانبة الباطل بصوره واشكاله كافة ولأيّ سبب كان ومهما كان الظرف فانّه وإنْ خفت مؤنته وكلفة مواقفه إلّا أنه موبوء - يكثر فيه الوباء[1] - ولاتحمد عاقبة أمره، ويكفينا في محاولة الاقناع أو الاقتناع الشخصي أنْ نعرف انّ الله ورسوله والإمام إلى صف الحق في كافة مواقفه يساندونه قولًا وفعلًا و بمختلف الوسائل والاساليب إعلاءً لشأن الحق وترسيخاً لقواعدِهِ في النفوس لئلا يهزم أو ينخذل - بتخاذل الناس عنه -.

ونجدهم جميعاً مناوئين للباطل في مواقفه كافة وبمختلف الوسائل والاساليب لئلا ينخدع به أحد. فالإمام عليه السلام في هذه الحكمة يبيّن حقيقة كل من الحق والباطل ليتضح الأمر لذي عينين ولا يتذرع أحد بالجهل وعدم المعرفة، وهو عليه السلام في ذات الوقت يدعونا - ضمناً - للتمسك بحبل الحق لأنه يمثل إرادة الله، وينهانا عن الاغترار بصورة الباطل وما يحققه من مواقف لأنه يمثل الجهة المغضوب عليها على مرّ الدهور.



◀ ٤٢ - قال عليه السلام :

إنَّ اعظم الحسراتِ يوم القيامة حسرةُ رجلٍ كَسَبَ مالاً في غير

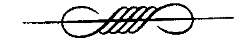
(١) لاحظ المنجد ص٨٤٤. مادة (وبأ).

طاعة الله فورِثَه رجلٌ فأنفقه في طاعة الله سبحانه فدخل به الجنة ودخلَ الأولُ به في النار.

الدعوة إلى التوازن في كسب الثروة فلا داعي للتعجل أو الإغماض في تكوين الرصيد وتجميع المال لأن الإنسان مسؤول غداً عن تقديم لائحة بما ورد إليه وبما صدر عنه معززةً بالمعلومات الصحيحة وإلّا نال العقاب وربما يوجد مَنْ لاينفع معه هذا الاسلوب من الإقناع في الإبتعاد عن الحرام فنجده عليه السلام يبيّن حالة أخرى وهي أن الإنسان الذي يشقى بجمع الثروة من الطرق الملتوية وغير المشروعة سوف يفارق المال فإذا وَرَّثَ المال لمن هداه الله تعالى ليستعمله في الحلال وفيما يرضاه عزّ وجلّ من سبل الخير - سواء لنفسه أو لعياله أو الآخرين - فحتماً سيكون الثواب والجزاء الأوفى للمنفق المباشر لا للمورِّث صاحب المال.

وفي هذه النتيجة من الحسرة والتألم النفسي على المكتسِب الذي لم يبال في جهة كسب المال وإنما كان المهم عنده جمع المال والاستحواذ عليه بأي شكل كان ومهما كانت نسبة الخطر فيه ومن جرّائه لمجرد تحقيق رغبته في تحصيل المال وليُعَدّ من اصحابه، ولا ينفقه في سُبُل الانفاق المرضية لله تعالى، ولابد أن لا ننسى الحكم الشرعي ولو كنا في مجال أخذ العبرة والموعظة وذلك لأنه يجب على الوارث أن يؤدي ما يعلم بأنه حرام على مورِّثِه إلى اصحابه فإن لم يمكنه ذلك لفقْدهم وتعذّر التعرف على احوالهم ومَنْ يتعلق بهم

فيتصدق بالمال عنهم ليكون بذلك مخففاً من بعض الثقل على مورِّثِه أيضاً ليكون ما يأخذه حلالًا له وإلّا فإذا كان يعلم بوجود حق للآخرين لا يجوز له التصرف حتى يؤديه لاصحابه ولا ينفعه التصدق لو لم يفعل إتكالًا على الحكمة لأن الإمام عليه السلام لا يغيّر حكماً شرعياً بل يؤكّده ويحث على امتثاله وكما لا بُدَّ أن لا ننسى ان المال الذي نجمعه ونسعى في تحصيله بجهودنا الشخصية الذاتية هو منحة من الله تعالى تفضل بها علينا وكان دورنا منحصراً بالوصول اليها والحصول عليها. فالمال ننتفع منه ونملكه ما دمنا في الدنيا فإذا فارقناها فارقنا المال وانتقل إلى غيرنا، فلا يتعلل البعض بِأن هذا المال حصلت عليه من تعبي وكدي؛ لانّهما ينحصران في استخراجه والوصول إليه فقط لأن الدنيا وما فيها ومَنْ فيها مخلوقة لله تعالى رب العالمين لا نملك منها إلّا ما أَذِنَ لنا فيه.



◄ ٤٣ - قال عليه السلام:

إنَّ مع كل إنسان مَلَكَين يحفظانه، فإذا جاء القَدَر خلّيا بينه وبينه، وإنَّ الأجلَ جُنّةٌ حصينة.

إنّ من المؤكد الطبيعي لدى الجميع - إلّا مَنْ قلّ - الخوف من المستقبل والتوجس خيفة مما يقع وإتخاذ إجراءات السلامة والاحتياط لاجل الحفظ والحراسة. وسبب ذلك واضح لأن الجميع

يريد البقاء وطول المدة في الحياة فيدفع بجهده كل ما يحول دون ذلك وربما في غمرة هذه الإجراءات الاحتياطية ينسى الإنسان وجود قوة تحفظه ولا يؤثر في ديمومتها وبقائها سلاح - مهما كان متقدماً - وإنما يخضع السلاح في تأثيره اليها، وتلك القوة هي قوة الحماية والسلامة التي يهيئها الله تعالى للمخلوقين على اختلافهم وتعددهم وتوزعهم الجغرافي وانتشارهم في الآفاق الكونية، بحيث لا يعجزها حفظ أحد مهما كان حجمه وموقعه ومصدر الخطر عليه وحجم قوة الحفظ والسلامة له لأنّه تعالى خالق كل شيء وبيده مقاليد الأمور فإنه خلقَ ملائكةً حَفَظَةً تقوم بهذه الواجبات يمكنها اختراق الحواجز مهما قويت وسُلّحت، إذ الملائكة أرواح مجردة شفافة لا تحتل مساحة أو حيِّزاً فمن السهولة جداً رعايتها المكثفة لكل مخلوق حتى يبلغ الكتابُ أَجَلَه ويأذن تعالى بقبض روح المخلوق فتتركه وقدَره كيما تجري إرادة الله تعالى بشكل طبيعي من دون ما معارضة أو محاجزة.

والإمام عليه السلام يدعونا للتنبه إلى هذا الأمر والوثوق بحفظ الله تعالى ورعايته للجميع فلا بُدَّ ان لا نخشى سواه لأنه تكفل بحفظنا مضافاً إلى أنه محيط بكل شيء علماً فإذا توجه نحونا مصدرُ الخطر دفعه عنّا وحال بيننا وبينه بقوته وتدبيره وليس بالضرورة إدراكنا لشكل مصدر الوقاية أو نوعه.

فالوقت المحدد لرحيل المخلوق هو الكفيل ببقائه حتى يحين،

فلا بُدَّ من التخفف من القلق والخوف وإنما الأجدى إتخاذ الاحتياطات المناسبة مع التوكل على الله تعالى والإلتجاء إلى حفظه وحياطته لا الاعتماد على تلك الاحتياطات فإنها مهما كانت فهي محدودة ومتناهية.



◀ ٤٤ - قال عليه السلام:

أوضَعُ العلم ما وقف على اللسان، وأرفَعُهُ ما ظهر في الجوارح[(١)] والأركان[(٢)].

في هذه الحكمة يقسّم الإمام عليه السلام العلم إلى قسمين:

قسم يتصف بالضعة والتسافل وعدم التأثير وهو ما كان حصة اللسان من دون ان يستوعبه القلب ويحتويه الفكر استيعاباً واحتواءً مناسباً لجلالة قدر العلم.

وقسم يتسم بالرفعة وعلو الشأن والتأثير على الإنسان من جميع جوانبه الجسدية والفكرية، فلا يتصرف إلّا وهو محتفظ بما علِمَه

---

(١) الجوارح جمع الجارحة: العضو من الإنسان. المنجد ص٨٦ مادة (جرح).

(٢) الأركان : الأطراف، ويغلب استعمالها في اليدين والرجلين والرأس بينما الجوارح تشمل حتى القلب. أقرب الموارد ج١ ص٤٢٩. المنجد ص٤٦٤، مادة (طرف).

فكأن العلم دليله في طريق الحياة فلا يصدر تصرف مشين يتنافى والعلم من أيٍّ جارحة من جوارح بدنه ولا من أي طرف كان. لأن الإنسان عندئذ على مستويين:

إما أن تتعمق المعلومة في داخله ويعيشها فكرة ومعنى فيطبّقها في حياته وتكون جوارحه واطرافه الجسمانية مستجيبة له في ذلك، فلا يتخلف قولُهُ عن فعلِهِ ولا فعلُهُ عن قولِهِ بل يتطابقان دائماً لكونه قد اقتنع بالفكرة فجذَّرها في نفسه، وساعدته على ذلك جميع متعلقاته الفكرية والبدنية.

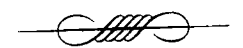
وإما أن يكون على العكس فلا تأخذ المعلومة طريقها إلى داخله بل تظل حكراً على لسانه يرددها عند اللزوم ويستخدمها عند الحاجة فلا تعطيه ما يرومه منها من استخدامات في مجالات النفاق الاجتماعي والتمويه والخداع، بل تتعطل عند حدود المظاهر فينكشف أمره ويعرف الجميع من ضحايا التمويه والخداع بأنه مفترٍ في ادعائِهِ وما يردده فلا تنجح خطته.

ولذلك كله دعانا عليه السلام إلى التحلي بصفة الواقعية والصدق فلا نحمل العلم للدعاية والاعلام ليقال اننا على علم وإنما نحمله للاستفادة الشخصية والتحلّي به لينعكس بالتالي على تصرفاتنا وتمتزج الفكرة بحيث تنطلق من حيث الصدق لتكون مؤثرة، لها رونقها وجاذبيتها.

وقد بيّن عليه السلام هذه النصيحة عن طريق الموازنة بين الأشياء ومن

المعلوم أن الجميع يرغب في الأحسن ويبتعد عن الأسوء - على الغالب-. وعسى ان نتأثر بقوله عليه السلام فنقتلع جذور: الرياء، النفاق، المباهاة الممقوتة، المجاملة الكاذبة... من المجتمع لنكون صادقين وبالتالي مصدَّقين.

ولابُدَّ من الانتباه إلى أن المقصود بالعلم ما كان منجياً ومستعملًا في طاعة الرحمن تعالى، وأما ما كان مستعملًا بخلاف ذلك فهو من العلم الممقوت.



◀ ٤٥ - قال عليه السلام:

أولُّ عوض الحليم من حلمه[١] انَّ الناس أنصاره على الجاهل.

دعوة كريمة ونصيحة ثمينة تدل على حرص أكيد على مستقبل بني الانسان. فان من المعلوم تركّب الإنسان من قوى متضادة بحيث تسيطر على افعالِهِ، وتصرفاته تكون منبعثة عنها، منها القوة الغضبية الناشئة من استحكام السَبُعِيّة وتغلّبها فيصير الإنسان شبيهاً بالسباع في حب الانتقام والتغلب على المعتدي.

---

(١) الحلم لغة: ضد الطيش، الصبر والأناة والسكون مع القدرة والقوة والعقل. المنجد ص١٥٠ مادة (حلم).

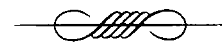
فاذا تمكن الإنسان من أن يتوازن فيتحكم في درجة تلك القوة لينخفض لديه معدل الخسارة إلى أدنى نسبة ممكنة فيتغلب على نفسه ويتغاضى فيسامح ويغفر ولا يعيش السلبية المطلقة مع الطرف المعتدي - فاذا أمكنه ذلك - صار حليماً، وشرط الحلم ان يكون العفو من موقع القدرة وقاعدة القوة لا من الضعف وعدم امكان المواجهة.

فإذا تحلّم الإنسان فماذا سيحصل؟ بعد انْ ذهب حقه وهُدرت كرامته... الجواب: إنّ الناس المعايشين للحالة سيتولون تلقائياً الدفاع عن الحليم ومقاضاة المعتدي باسلوبهم الخاص ولو باللوم والتأنيب، وقد ينتج ذلك أن يأتي المعتدي معتذراً معترفاً بتقصيره.

ويكفينا لو حاولنا التحلّم ان نكون في موقع الوعي والقوة، ويكون الآخر جاهلًا.

وهذا منطق العقل الذي يجب ان يحكم الامور إذا اردنا لأنفسنا وللآخرين العيش بسلام.

وينبغي لمتبعي الإمام عليه السلام أن لا يفكروا في لحظة ما أنّ ذلك من موقع التخاذل وعدم القوة، فعليٌّ قوي ويتعلم منه الناس القوة وما عرف التخاذل منذ خلقه الله، لكنه منطق الحكمة ولسان السياسة الاجتماعية التي توفر الأمان للرعية الذين يشعر ازاءهم بالمسئولية.



◀ ٤٦ - قال عليه السلام :

أهل الدنيا كركبٍ يُسارُ بهم وهم نيام.

الدعوة إلى التيقظ وعدم الركون التام للدنيا والاغترار بها فانها زائلة فانية لم تخلق إلّا كمرحلة موقتة يُختبر فيها الإنسان ليسعى ويحصّل ما ينفعه في الدار الآخرة الباقية فهي محطة توقف يتزوّد منها الإنسان من الخيرات التي تنفعه بعدئذ وقت فقره وفاقته.

وتنقضي أيامه فيها وهو لايشعر فلابد من الاهتمام بمستقبله لئلا يُغْلَب وتفوت الفرصة إذ لامجال للرجوع.

فهذه الدعوة لأجل التنبه لئلا يُستغفل الإنسان العاقل فيخرج الامر عن يده بالموت وقد مثّل عليه السلام حال أهل الدنيا بالمسافرين النائمين في واسطة نقل تقطع بهم المسافات الكبيرة من دون أن يشعروا، وعدمُ شعورهم لا يبرر شيئاً ولا يغيّر من الواقع شيئاً لأن الواسطة تسير وتقطع المسافة وتتحول من منطقة إلى اخرى.

ومن هنا جاء تشبيه حال الإنسان في الدنيا بمَنْ ركب واسطة نقل ليصل إلى محطة اخرى فسارت به وهو نائم، فحتماً ستنقضي المسافة وينتقل عن المكان الاول بمجرد مرور الواسطة، ولا دخل لكونه غير ملتفت لذلك. فالحثّ على التزوّد بما ينفع عند لقاء الله تعالى وعدم الغفلة عن الحالة الموعودة، المرتقبة، والتي يتعرض لها الخلق كافة، وهي انقضاء الدنيا وبقاء الآخرة.

ومن المعلوم أنّ كل احد يأخذ نصيبه من الجزاء المناسب لأعماله، فعلى الإنسان أن لا يقّصر في هذا الجانب فيخسر يوم القيامة فيكون قد حكم على نفسه بالخسارة الابدية.

◀ ٤٧ - قال عليه السلام:

الايمانُ أن تُؤثِرَ[(١)] الصدقَ حيثُ يضرّك على الكذب حيث ينفعك، وأنْ لايكون في حديثك فضلٌ[(٢)] عن عملك، وأن تتقي[(٣)] الله في حديث غيرك.

يصوّر الإمام عليه السلام الإيمان وهو قائم على ثلاث ركائز:

الاولى: الصدق.

الثانية: مطابقة القول للعمل، والواقعية.

الثالثة: تقوى الله وخوفه في الغير.

وهذه الركائز الثلاث اسس مهمة لبناء شخصية الإنسان المسلم بالمعنى الصحيح. لأن الكثير ممن ينطق الشهادتين يتساهل في تطبيق ما يفرضان عليه من التزامات.

فالله ورسوله يحثان على الصدق وتجنب الكذب وتبديل الواقع وتزوير الحقيقة مهما كان الموقف، وإن دلّ هذا على شيء فانما يدلّ

---

(١) أي تختار.

(٢) الفَضْل: الزيادة. المنجد ص٥٨٧ مادة (فضل).

(٣) أي تخشى وتخاف وتحذر. لاحظ المنجد ص٩١٥ مادة (وقي).

على ضرورة الصدق في استقامة حياة المسلم وإلّا لتعثرت بالباطل الذي تكون الخسارة فيه أعظم من الربح المنظور.

وكذلك يحثان على عدم التخلف عما يرفعه المسلم من شعارات بل عليه أن يطبق ذلك إن كان مؤمناً بجدواه وواثقاً من أثره الايجابي. فالتوافق بين الحديث والتطبيق أمر هام للغاية و إلّا لاختل ميزان حياة المسلم فلا يستطيع ان يفعل شيئاً أو يحقق هدفاً كان يصبو إلى تحقيقه لأن المشكلة تكمن في عدم صدق و عدم واقعية المتكلم فلا يدري الإنسان بأنه في أي اتجاه يسير و أيَّ شيء يصدّق القول، أم الفعل؟ فهذا التذبذب في المواقف وعدم الانتظام يخلق حالة من التوتر والتسيّب لا تضيف شيئاً سوى المشكلات.

وكذلك يحثان على الدقة في اداء الحديث وعدم الإضافة فيه مما يضرّ بالغير وأن ينصفه فلا يبخسه حقه. فقد يتصرف الإنسان - الناقل - فيما سمعه وتترتب على ذلك المشاكل أو يكون في حالة يسعه أن يتكلم بما شاء عن الغير ولكن يترتب على ذلك تلويث السمعة أو الخسارة بأي نحو كانت. فلابد من التقوى سواء في اجتناب الكذب أو في اجتناب تخلّف القول عن العمل أو في النقل عن الغير إن كان بصورة التحدث عن شخصيته أو نقل حديثه وهذا تحديد دقيق لهوية الايمان يلزمنا الالتزام التّام به.





حرف الباء

◀ ٤٨ - قال عليه السلام :

بئس[١] الزاد إلى المعاد[٢] العدوان[٣] على العباد.

الدعوة إلى الابتعاد عن الظلم والتعدي على حقوق الغير، وان ذلك من أدنى وأخس ما يحمله العبد في سفره إلى الآخرة عند مساءلته أمام جبّار السماوات والارض.

ففيها تزهيد للإنسان لئلا يظلم، وذمّ للظلم بصوره ومجالاته كافة والظروف المبررة له. وتتضمن - طبعاً - الدعوة إلى التعامل وفقاً لميزان الحق وعدم بخس غيره حقه لئلا يكون معتدياً فيكون قد تزّود بالعدوان والظلم الصُرَاح للعباد فلابد لنا ان تتسامى أرواحنا ولا نقابل مَنْ ظلم بالظلم حتى لا نساويه وانما علينا استنقاذ الحق - واثبات الوجود - من دون اللجوء إلى اساليب التعنت والتعدي.



(١) بئس: فعل ماض جامد يستعمل للذم.

(٢) المعاد: الآخرة. المنجد ص٥٣٦ مادة (عود).

(٣) العدوان: الظلم الصُرَاح. المنجد ص٤٩٣ مادة (عدا).

◀ ٤٩ - قال عليه السلام :

البخلُ جامعٌ لمساوئ[١] العيوب، وهو زمامٌ[٢] يُقاد به إلى كل سوء.

الدعوة إلى تعويد الإنسان نفسه على التّرفع عن البخل لأنه حالة مذمومة وسيئة التأثير لأن الامساك والشح عن الانفاق والصرف يولّد:

(١) الحرص على جمع المال، والتقتير في الصرف على النفس أو العيال.

(٢) والتجري على التسامح في اخراج الحق الشرعي المترتب بحسب نوعية المال.

(٣) والظهور بمظهر البائس المُعْدَم فكأنه يشكو ربَّه إلى الناس بينما قد تفضل تعالى عليه بما يرفع عنه هذه الضائقة المصطنعة.

(٤) والتكلم على الآخرين بالباطل واتهامهم بالاتلاف والاسراف وعدم العقلانية في التصرف.

(٥) والحسد.

(٦) والحقد.

---

(١) المساوِئ جمع المُسَاءَة: القبيح من الفعل أو القول. المنجد ص٣٦١ مادة (ساء).

(٢) الزِمَام: المِقْوَد. المنجد ص٣٠٥ مادة (زمّ).



(٧) والتفتيش وراء الناس بما لا يُحبُّوا أن يعلمه أحد من صرف وإنفاق، و...، و...

فالامساك والشِح بجمعهما لهذه الخصال وغيرها صارا مجمعاً لقبائح الافعال والاقوال التي هي مساوئ العيوب، ولابُدَّ من التمعن عند قوله عليه السلام (مساوئ العيوب) فإنه أتى بالمضاف و المضاف اليه مع أنّ العيوب لوحدها منقصة يبتعد عنها العاقل المتدين فكيف إذا كان العيب سيئاً إلى هذه الدرجة لأن غالب بني الإنسان متصف بعيب - وهو لغة (النقيصة)[1] - سواء في الخَلْق والمظهر الخارجي أو الاخلاق والطبايع ولكن مع تفاوت في درجات العيب فقد تتضاءل نسبة العيب في حالةٍ بينما تتركز في حالةٍ أخرى فتكون عندئذ من مساوئ العيوب كما في البخل.

ثم أضاف عليه السلام وصفاً آخرللبخل لنبتعد عنه ونتعوّد الترفع عنه والاحتراز منه وهو أنّ البخل يقود صاحبه إلى السوء. ولذا نجد البخيل مذموماً اجتماعياً بدءاً من بيته ومروراً بالمحيط القريب له وانتهاءً بمن يعرف عنه هذه الخصلة ولو بعيداً عنه.

وأيضاً نجده مُحتقَراً ومنبوذاً ومُستهزَءاً به ومُهاناً - في أغلب الحالات إلّا إذا كان عنوانه الاجتماعي يحفظه مؤقتاً وإلّا فهو في

(١) المنجد. ص٥٤٠ مادة (عيب).

معرض الاهانة في غيابه - ولا يُرتاح إلى وجوده، ولا يُقَدّر، ولا يُصغى لقوله لأنه متهم فيه بأنه تحت تأثير البخل.

هذا كميزان عام وان وجدت استثناءات فهي موقوتة ومحدودة جداً لوجود الحالة الاجتماعية المعيّنة وإلّا فالناس عموماً لا يرتاحون للبخيل ويذمونه ولا ينفتحون عليه مهما كان قدره إلّا بمقدار الضرورة التي يحتّمها - التنافق الاجتماعي - والمجاملات العرفية.



◀ ٥٠ - قال عَلَيْهِ السَّلَامُ:

البخلُ عارٌ، والجُبْنُ منقصةٌ، والفقرُ يُخرسُ الفَطِنْ[١] عن حجتِهِ (حاجته خ)، والمُقِلُّ[٢] غريب في بلدتِهِ، والعَجْزُ[٣] آفةٌ[٤]، والصبرُ شجاعةٌ، والزهدُ ثروةٌ، والورعُ جُنّةٌ[٥].

قد حوت هذه الحكمة مجموعة من التوجيهات المهمة والتي تثمر

(١) الفَطِنْ: صاحب الفِطْنَة وهي الحذق والفهم. المنجد ص٥٨٨ مادة (فطن).
(٢) المُقِلّ: الفقير وفيه بقية. المنجد ص٦٤٨ مادة (قلّ).
(٣) العَجْز: الضعف. القاموس ج٢ ص١٨٠.
(٤) الآفة: العاهة أو عَرَضٌ مفسد لما اصابهُ. القاموس المحيط ج٣ ص١٢٠.
(٥) الجُنَّة: كلُّ ما وَقَى. القاموس ج٤ ص٢١٠.

بمجموعها شخصيةً متوازنةً للانسان في اطار المجتمع، فيحسن أن نتسلسل في شرحها والاستظهار منها على شكل نقاط :

١ - تقدم في الحكمة السابقة بيان أنّ البخل جامع لمساوئ العيوب ويؤدي إلى كل سوء مما يوجب التخلي عنه لو ابتلي به الانسان، أو الابتعاد عنه ابتداءً.

٢- **الجبن**: ضد الشجاعة ومن المعلوم أنّ القدرة على المواجهة والمدافعة ومغالبة النفس في حبّ السلامة من صفات الكمال للانسان، بينما نجد أنّ العكس بالعكس أي إنّ ضعف النفس وخورها والخوف والهلع من صفات النقص والذم للانسان لأن الكامل عليه أن يتحلى بالقدرة على مواجهة الازمات والتغلب عليها والتجاوز عنها إلى مرحلة السلامة والنجاة.

فالإمام عليه السلام يحَذِّر من الجبن لأنه مما يُنتقص به الإنسان فلا بُدَّ من التخلي عنه والتحلي بالشجاعة والمواجهة لتكتمل شخصية الانسان.

٣ - من الامور التي يهرب منها الإنسان في حياته حالة (الفقر) لأنه من المصائب العظيمة التي تترك آثاراً سلبية كثيرة ومنها أنّ الإنسان الذي له القدرة الكاملة على فهم الامور بالشكل الصحيح والسريع والمباشر - فهو يتصف بالكمال من حيث الفهم - لكنه إذا شعر بفقره فلا يكون قوي الحجة، واضح البيان بل يتلكأ ويتعثر

ويتلعثم فكأن الفقر يكون حاجزاً دون افصاحِهِ عما يريد. هذا على نسخة (حجته) وأما على النسخة الأخرى (حاجته) فهو يخرس ويقف موقف المتحيّر لو اصابه الفقر لشعوره بالحرج من الداخل فلا يمكن ابداء حاجته ولا السيطرة على وضعه المالي ولذا يعيش الضنك والفاقة بشكل يدعو للشفقة خصوصاً إذا كان ممن يتحلى بصفات كريمة سواء كانت علمية أو عملية فالوطأة عليه اثقل والخجل من ابداء الحاجة اشد، ولعل من الممكن أن نستظهر دعوة الإمام عليه السلام إلى احترام صاحب الفهم والفطنة وعدم الازدراء به لعدم امكانيته على تأدية مراده وايضاً إلى رعاية حال الفقراء ومعاونتهم على مجاوزة المحنة.

٤ - ثم أردف عليه السلام الجملة السابقة (الفقر يُخرس الفَطِن عن حجته «حاجته خ») بقوله (المُقِلُّ غريب في بلدته) للتأكيد على الاهتمام بشأن مشكلة الفقر وانه مما يتساوى فيه الجميع، وأنّه لا (تأمين) ضده، ولا يتعالى عنه أحد مهما كان مركزه الاجتماعي، الاقتصادي، الديني...

فاذا كان كذلك فمن الضروري جداً أن يتعاون الإنسان الميسور الحال مع أخيه الإنسان الذي أَقَلَّ - بمعنى اشرف على اعلان الفقر التام والاحتياج لكنه في وقته الحاضر لديه بعض الشيء - والدعوة لمساعدته ومعونته لرفع وحشة الغربة عنه ولو كان في بلده لأن المال يحيط الإنسان بما يرفع الوحشة، ويهيئ له مَنْ يصحبه ولو لماله،

وهذا أمر مهم يعاني منه الكثير، فلابد ان لانستوحش من فقير أو مشرف على الفقر أو نبتعد عنه أو نقللّ من احترامنا له واهتمامنا به. لأنّ المال ليس كل شيء في الحياة ولا يعني شيئاً كبيراً سوى أنّه معونة الله تعالى لعباده في الدنيا لتمشية أمور معاشهم وحياتهم، فبقاؤه غير أكيد، ووجوده محتمل غير متيقن، فلا بد أن لا يُعتمد عليه وأن لا يُجعل حاجزاً بين الإنسان وأخيه الإنسان لأنه سرعان ما يزول فيتمنى الإنسان - العاقل - أنْ لو لم يكن قد وضعه بينه وبين أخيه الانسان.

٥ - إنّ الشعور بعدم القدرة على شيء - أياً كان - يتعب الإنسان نفسياً وربما جسدياً ولذلك عدة مظاهر: كعدم القدرة على التعلم أو الغنى أو الارتقاء إلى مستوى اعلى يحلم به أو الحلول في مكان مّا أو الحصول على أُمنية مّا أو.. أو... مما يثير في الإنسان مشاعر المعاناة والتألم الداخلي ولذا أخبر عليه السلام عن أنّ العجز في أية مرحلة من مراحله وأي مستوى من مستوياته وفي أي ظرف يقع، يعتبر مفسداً لما اصابه وآفة تنذر بالخطر لأنها تستولي عليه في يوم مّا وتقضي عليه.

فالدعوة اذن إلى التحلي بروح الانفتاح ومحاولة التشبث والاعادة وعدم الاكتفاء بالمرة حتى لا تحصل حالة تسمى بالعجز فانه إذا عرف الإنسان نفسه بانه عاجز عن شيء فإنّ شعوره هذا كفيل بالحيلولة دونه ودون المواصلة في الحياة.

فلا بُدَّ من المواصلة وعدم الاستسلام لأول الحوادث الحاجزة أو المعرقلات الموضوعة، بل على المؤمن أن يتسم بروح تفاؤلية عالية توصله إلى مطلوبه المشروع - طبعاً - وإن طال الزمان لئلا يتحقق العجز فيصاب بالآفة.

٦ - لاشك أنّ الإنسان معرَّضُ للابتلاء وحلول المصائب به فهو والحالة هذه إما أن يستسلم وينهار كما هو حال الضعيف، أو يواجه المشكلة باحثاً عن حلها ويتجلد ولايشكو مما أُبتلي به ليكون بذلك شجاعاً لأنّ روح المقاومة وعدم الاستسلام للمصائب تعتبر روحاً عالية لا تقل في أهمية الاتصاف بها عن تلك الروح (القتالية) العالية لأنّ الإنسان يكون في كلتا الحالتين قد تعرض لضغط حاد وحاول التخلص من وطأته والنجاة بأقل الخسائر.

فالدعوة للتحلي بصفة الشجاعة عبر مواجهة الطوارئ والتجلد امامها وعدم الاهتمام البالغ (المميت) بها أو بث الاحزان والشكوى مما اصاب من خلال تلكم الطوارئ لئلا يُوَاجَه من قبل الآخرين بالرفض أو الاشمئزاز فانها حالة خاصة، لا يتسع صدر كل أحد لتحمل بعض اعبائها ولو الكلامية من خلال الشكوى. . .

٧- إذا عرفنا أنّ اللغة تحدد الزهد بأنّه (الاعراض عن الشيء احتقاراً له)[١] عرفنا أنّ الزاهد ثريٌ غني بما سيطر على نفسه وهواه فلم يذل لأحد لأجل الحصول على شيء.

(١) المنجد. ص٣٠٨ مادة (زهد).

وعرفنا ايضاً أنّ الزاهد مترفع عما في ايدي الناس لاتجاهِهِ خَطّاً غير ما سلكوه من خط التلهف وراء الاشياء المادية والاستماتة في سبيل الحصول عليها.

وعرفنا ايضاً أن الزاهد له رصيد دائم لا ينضب في يوم ما، ولا تعرض عليه عوارض النفاد والاستهلاك لأن رصيده يستمدّ من ايمانه وثقته بان الدنيا وما فيها لله تعالى وبأنّ الدنيا وما فيها زائل وأنّ مَنْ يحوي شيئاً مادياً لابد أن يفارقه في يوم ما فهذا الايمان العميق بالفكرة يجعله يتخفف من كثير مما يتمسك باهدابه الآخرون بل ويستميتون في ذلك.

فاذا كان المقصود للناس التغلب على صعاب الدنيا بالمال وبالكمية الكثيرة منه ليطمئنوا إلى حفظ مستقبلهم فالزاهد قد حفظ مستقبله بالاستعانة بالله والتوكل عليه وتدبير شئونه الدنيوية بما لا تتوقف معه العجلة من دون طلب المزيد الذي يذهب وتبقى تبعته.

فحقاً إنّ الزاهد بحصوله على هذه السيطرة النفسية العظيمة ثريٌّ لايحتاج إلى معونة أحد.

٨ - إنّ الورع يحصل للانسان إذا اجتنب المعاصي والشبهات وبذلك يكون قد احاطت به سترة واقية من العَوادي والآفات التي يحتمي منها الإنسان غالباً، المرض، الفقر، عدم الاستقرار، الفشل

في الحياة بانواعه، عدم المصداقية والموضوعية بين افراد طبقته، لأن المعاصي أو الأمور - المشتبهة التي تكون في خطٍ بين الوضوح والغموض فلا يجزم بأنها نقية - إذا ابتعد عنها الإنسان سوف يتخلص من (عُقَد) ومزالق ومطبّات ومشاكل يتعرض لها غيره كثيراً نتيجة عدم التورع والاجتناب بحيث يصلح هذا أن يكون خطاً تقاس عليه الأمور كما دلّت التجربة عليه واكدته الروايات. فالدعوة في هذه الحكمة إلى التخلي عن البخل وعن الجبن وعن حالة الهلع وعدم المواجهة وعن الاقتحام في الشبهات وعن عدم التورّع وهي دعوة في ذات الوقت إلى التحلي بالسماحة والقوة والصبر والزهد في ماحَرّم الله والتورع عما فيه شبهه فضلًا عن الحرام. لتكتمل بالتالي شخصية الإنسان متوازنة قوية.



◄ ٥١ - قال عليه السلام:

بَقيّةُ السيفِ ابقى عدداً وأكثر ولداً.

إنّ من العادات السيئة لدى بعض الناس ازدراء الآخرين وعدم الاهتمام بهم لبعض الامور التي لاتشكّل بمجموعها مصدر اهتمام أو أهمية وانما تعود إلى الشكلية والمظاهر اكثر منها إلى الواقعية.

ومنها استفراد الشخص إذا كان وحيداً أو قليل العدد على اساسٍ من عصبية القبليات الممقوتة المذمومة من: ان الأكثر هم الاقوى، وهذا أمر - وللاسف - يتحكم في الكثير فيكون عاملًا مهماً عندهم في التقييم والاحترام أو العكس، بينما نجد الإمام عليه السلام يؤكد أنه ليس امراً اساسياً، فلا يصلح لأن يحكم علاقات الإنسان في مجتمعه بل لا بُدَّ من ملاحظة صفات أُخر إذا توفرت أمكن تقييم المقابل من خلالها ولو كان قليل العدد أو وحيداً منفرداً. وكان توجيهه من خلال هذه الحكمة - التي استبهم امرها على كثير - متماشياً والسائد في عصره من كثرة الحروب بين القبائل فعبّر عن ذلك بما يفهمه أهل العصر من أنّه إذا وقعت حرب بين جماعة وقُتِل بعضُهم مع متعلقيه و بقي فرد واحد يمتُّ اليه بصلة يكون وجوده نافعاً في إبقاء الاسم والحماية والاخذ بالثأر والتذكير بالراحلين ومحاولة تعديد الأولاد حتى يشكّل جبهة مقاومة ضد القاتل وجماعته. اذن ما ابقاه السيف وفَلَت منه كان حضوره مشهوداً وفعاليته اكثر من الجماعة إذ صدور هذه المهمات من الجماعة غير مستغرب بينما هي من الواحد أغرب. فيمكن استظهار الدعوة إلى احترام الآخرين وعدم الاستهانة بأحد بسبب وحدته أو قلة عدد مَنْ معه فإنّ العدد لايشكل مصدر القوة دائماً بل تتحقق بالعدد القليل ايضاً وتكون البركة في ذلك العدد القليل أو الفرد الواحد.

وجاء الحث على نبذ هذه العادة القَبلية ليعيش الإنسان بما يقدمه وبما يبذله وبتضحيته لا بكثرة عدده وعشيرته ولنتخفف من هذه التحكُمات الفارغة التي لا تقوم على أساس التقى والدين.



◀ ٥٢ - قال عليه السلام:

بكثرة الصمت تكون الهيبة، وبالنَصَفَة يكثر المواصلون، وبالإفضال تعظُم الاقدار، وبالتواضع تتم النعمة، وباحتمال المؤن يجبُ السؤدد، وبالسيرة العادلة يُقهرُ المناوي، وبالحلم عن السفيه تكثر الانصار عليه.

الدعوة إلى التحلي بصفات..

١ - **الصمت**: السكوت وهو ضروري في كثير من الحالات الاجتماعية والعكس يسبِّب - احياناً - آلاماً ومشاكل للمتكلم أو للغير. وهو منجاة من الخَطَر، إذ كثيراً ما يقع الإنسان في ورطة نتيجة تكلمه. وهو موجب لقلة الخطأ لان كثرة الكلام قد تجر للخطأ.

وهو مما يساعد على إضفاء الوقار والهيبة على الصامت فيقلِّل من حالات التعدي عليه ولا يُقْتَحَم بسهولة فينجو صاحبه من كثير من حالات الاذى والشر.

٢ - **النَصَفَة**: الانصاف والعدل[١] وهو مطلب عام يبحث عنه الجميع ولو لم يمارسوه من موقع التنفيذ إلاّ أنّه محبب للنفوس عموماً فاذا تحلّى الإنسان بذلك كَثُرَ مَنْ يوادّه ويواصله رغبة في سيرته وترجيحاً له على غيره لهذه الصفة المهمة التي تسيطر على النفوس. فالدعوة إلى الانصاف والعدل لأنه يحقق الامان والاستقرار ويقيم أمر الله تعالى في الارض وعندئذ تقل فرص وقوع الظلم المقيت.

٣ - **الافضال**: (الاحسان المتعدي إلى الغير)[٢] والاقدار: جمع القَدْر: (الحرمة والوقار، الشأن)[٣] الاحسان يحتل موقعاً مهماً في القلوب فبِهِ تتأكد المحبة وتتجذر المودة ويعلو شأن الإنسان المحسن ويكثر محبّوه وموقروه، لأنّ كل أحد يرغب في التكريم وايصال النفع اليه ولو كان مستغنياً عنه لأنّ النفس قد فُطِرَت على حب مَنْ أحسن اليها إذ يجد الإنسان أنّ المحسن محبٌ له وصادق في محبته ولذا أوصل اليه الاحسان. واذا ساد هذا الجو فستعم الصلة بين الإنسان وأخيه الإنسان مهما كان المقابل في مستوياته المختلفة: الاجتماعية، العلمية، الاقتصادية، المذهبية... لأن مفتاح القلوب -

(١) المنجد. ص٨١٣ مادة (نصف).
(٢) مجمع البحرين. ج٥ ص٤٤٣.
(٣) المنجد. ص٦١٢ مادة (قدر).

السوية - هو الاحسان فالدعوة منه عليه السلام إلى الاحسان إلى الغير ليعم الاستقرار وانفتاح البعض على البعض الآخر. ويكون كلٌّ من فاعل الاحسان ومتلقيه منتفعاً، فإنّ الفاعل للاحسان يزداد احترامه وتوقيره ويعلو شأنه وحظه بين الناس. وكذلك الواصل اليه الاحسان ينتفع بوصول الاحسان فيسد حاجته بذلك سواء كان الاحسان مادياً ام معنوياً.

٤ - **التواضع**: (ضد التكبر) فهو صفة مطلوبة محبوبة تساعد على تكوين الشخصية الاجتماعية لأن تعويد النفس على احترام الآخرين وتوقيرهم والتعامل معهم بطيب يؤثر أثراً بالغاً في نفوسهم فيتعلقون بالمتواضع تعلقاً نفسياً عجيباً لأنه وصل إلى قلوبهم بالتقدير والتوقير وهذان امران يطلبهما كل أحد حتى الصغير أو الوضيع اجتماعياً.

فالدعوة للتواضع باعتباره عاملًا مهماً للكسب الاخلاقي في المجتمع وعنصراً مهماً في التأثير على القلوب وجعلها في صف المتواضع فيكثر الاصدقاء والمعاونون. وبهذا الخُلُق الفاضل يعرف الإنسان انه محل عناية الله تعالى وفضله إذ العمل بما يحب الله تعالى يدل على رضاه وانعامه على العبد.

٥ - المؤن جمع المؤنة: (القوت، الشدة والثقل)[١]، السؤدد

---

(١) المنجد. ص٧٤٥ مادة (مأن).

(كَرَم المنصب، السيادة، القَدْر الرفيع)[1] إذا خفف الإنسان من اثقال غيره أوجب ذلك ان يعترف له بالجميل وحسن الصنيع ويكون محلّاً للثقة والاحترام والمتابعة. لأنّ أيَّ شيء يفعله الإنسان من شأنه مساعدة الآخرين يترك اثراً طيباً في نفوسهم ويكون سيدهم بلا منازع لأنه قدّم لهم يد المعونة والمساعدة في ظرفهم الخاص، فالدعوة إلى ان يتحلى الإنسان بهذا الخُلق مع ما فيه من التعب الجسمي أو النفسي - أحياناً - إلّا أنّه يُكثِّر الاصدقاء والمحبين ويُعلي قدر صاحبه ويرتفع به حتى يجعله مسموع الكلمة بلا منازع وفي هذا عزة اجتماعية وكرامة ينشدها الإنسان للرفعة في الدنيا والآخرة.

٦ - التعامل الطيب والسيرة الحسنة يكسب الإنسان اخواناً واعواناً ومحبين فيكونوا معه على عدوه، ويستطيع تحقيق أمانيه، ومما لايخلو منه أحد - من الناجحين في الحياة - هو وجود المناوئ وهو المفاخر المعادي[2] فلدفع عاديّة المعادي ينبغي للانسان ان يتعامل ايجابياً مع غيره ليكثر انصاره عند الحاجة.

٧ - تقدم في شرح الحكمة (٤٥) «أول عوض الحليم من حلمه أنّ الناس انصاره على الجاهل» بيان أهمية التغاضي عن اساءة الآخرين والسيطرة على الغضب وعدم انزال العقوبة مع القدرة التامة

---

(١) المنجد. ص١٧٦١ مادة (ساد).

(٢) المنجد. ص٨٤٤ مادة (نوأ).

عليها حتى يكون الناس هم الكافيّن اذى المعتدي. مضافاً إلى ذلك أنّ الإنسان إذا اراد ان يصدّ اعتداء كل أحد فعليه ان يتنازل عن منزلته الاجتماعية الاخلاقية ويكون في مستوى المعتدي الجاهل ليرد عليه، فالدعوة إلى الاغضاء عنه والعفو عن اساءته ولعل الله تعالى يبارك في خطوته هذه فيكسب الجاهل إلى صفه فيكون قد أنقذ جاهلًا من الضلالة.



حرف التاء

◄ ٥٣ - قال عليه السلام :

تذلُّ الامور للمقادير حتى يكون الحتف في التدبير.

يحاول الإنسان أن يتحفظ على سلامته بمختلف الاساليب الواقية، وهو بهذا يتجاوب مع نداء غريزي يجده كل انسان من نفسه للسيطرة على منافذ الخطر اليه، ولكن الإمام عليه السلام أراد أن ينبه إلى وجوب أن يعتقد الإنسان بأنّ الله تعالى بيده كل شيء فاذا أراد شيئاً لا يدفعه ايُّ اسلوب وقائي دفاعي مهما كان متطوراً.

إذن فلا بُدَّ من التسليم لتقدير الله تعالى والاعتراف بعظيم قدرته والاذعان بأنّه النافع الضار وبأنه لايصيبنا إلّا ما كتب الله لنا. نعم من الامور التي يأمر بها العقل هو إيجاد الوسائل الوقائية المناسبة لكن بشرط أن لايأمنها الإنسان مطلقاً على اساسٍ من الانقياد لقوة السيطرة والتحكم فيها بل يتعامل مع الموضوع على اساس أنّه يفعل ما يناسبه كمخلوق ويعترف لخالقه تعالى بالقدرة. وأنّ ما اتخذه من اجراءات الأمن والحماية لا تقي دون أمر الله، بل إذا اراد الله تعالى امراً كانت نهاية الإنسان عن طريق ما أعدّه من وسائل وقائية لحمايته، كما هو

مُشاهد بأن يكون السلاح الذي أعدّه الإنسان لحمايته هو الذي يقضي عليه، وكذلك الدواء أو غيره مما يتعامل معه الإنسان في حياته مما تكون نهايته فيه وإنْ دلّ هذا على شيء فإنما يدل على أنّ الله تعالى وحده القادر على حفظ حياة المخلوق دون سواه.



◀ ٥٤ - قال عليه السلام:

تركُ الذنبِ أهون مِنْ طلبِ التوبة.

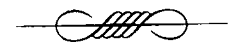
معادلة صحيحة بكل المقاييس، يرشدنا الإمام عليه السلام إلى أن نتذكرها دائماً في تعاملنا اليومي لأن الإنسان يذنب ويستغفر، ويتجاوز ويطلب السماح، ويخطئ ويعتذر...

فالدعوة إلى حفظ كيان الإنسان وكرامته بأن لايتجاوز الحدود المسموح بها خصوصاً وأنّ الإنسان لا يتحمل أيَّ عبء إذا ترك شيئاً لكنه بطبيعة الحال يتحمل اعباء ثقيلة إذا صدر منه أيُّ شيء لأنه يفكر في طريقة طلب العفو، وفي الوقت المناسب، وفي الحالة اللائقة، وفي قبول الاستغفار والاعتذار أو عدم قبوله و...

كل ذلك إذا صدر الذنب أو تجاوز الإنسان حدوده سواء مع ربه، أو مع أخيه الانسان. لأنّ الإمام عليه السلام يعلّمنا من خلال تعاملنا مع الخالق تعالى كيفية التعامل مع المخلوق الذي يصعب التعامل معه كثيراً لتركبه من اهواء وحالات انفعالية غير محدودة مما يجعل طريق

التعامل معه شاقاً، بينما نجد أنّ الخالق تعالى هو ولي العفو والقادر عليه وكل المخلوقين يطمع في رحمته وعفوه.

ومن الواضح أنّ الإنسان لو استقام ولم يذنب ولم يتجاوز في خط تعامله مع ربه تعالى أو أخيه الإنسان، لَما ذلّ، ولَما احتاج إلى الاعتذار. لأن كثيراً من هذه الحالات إنّما هو خذلان الله للعاصين والتخلية بينهم وبين انفسهم التي لا يستطيعون لها تدبيراً من دون رعاية الله تعالى.



◀ ٥٥ - قال عليه السلام:

التُقى رئيسُ الاخلاق.

الدعوة إلى مخافة الله تعالى ومراقبته والعمل بطاعته واجتناب معاصيه ونواهيه لأنّ ذلك كفيل بتعويد الإنسان على محاسن الاخلاق وتمرسه في ذلك بحيث يمدحه كل أحد ويكون مأمون الجانب محبوباً.

بعكس مَنْ لم يتصف بذلك فالله يبغضه لأنه من المتجرئين عليه بارتكاب المعاصي والناس أيضاً يكرهونه لأنه لا يرتدع عن ايذائهم ومغاضبتهم سواء باللسان أو باليد لأنّ الإنسان إذا نزع منه الخوف من الله ومراقبته تحول إلى مخلوق عادي اجتمعت فيه القوة الغضبية والبهيمية وغيرها فلا يهمه إلّا اشباع بطنه وغريزته الجنسية والبطش

بمن يتعدى عليه بل ومَنْ لايتعدى لابراز العضلات وإثبات وجوده القوي بين مَنْ حواليه.

فلابُدَّ للانسان من أن يلتزم جانب التقى ليحفظ نفسه من عذاب النار واساءة الناس.



◀ ٥٦ - قال عليه السلام:

تكلّموا تُعرفوا، فأنَّ المرء مخبوء[١] تحت لسانِهِ.

أنعم الله تعالى على الإنسان بنعمة النطق ليبدي مقاصده وما يريده من مطالب وحوائج لأنه لولا اللسان لما أمكنه الوصول إلى أهدافه بالطريقة التي يصل اليها فعلًا، فإنَّ الاشارة أو الكتابة أو الرسم مهما كانت نتيجته لا يقوم بنفس الدور الذي يقوم به اللسان في التعبير عن المراد. واللسان طبعاً بالاشتراك مع التجويف الفموي وجهاز التنفس بكل محتوياتها يؤدي هذه الخدمة الجليلة.

فلابُدَّ أن يحسن الإنسان - العاقل - استخدام ذلك لمصلحته الشخصية ومَنْ حواليه لتعم الفائدة ويتكامل بنو الانسان. فاللسان وما يؤديه من الكلام تُعرف قدرات الإنسان ومستوى عقله فيُقيّم على اساس ذلك لا على أساس الرصيد المالي أو الجاه الاجتماعي أو

(١) أي مستور ومخفي.

أو الملابس والمظاهر الأخرى لأنّ كل هذا يمكن للانسان أن يتظاهر فيه بما هو غير الواقع، ولكن الكلام إنّما هو نتيجة مستوى التفكير ومقدار العقل والاستيعاب وتحليل المواقف المواجهة فهو أدق ما يكشف عن شخصية الانسان.

هذا كله في المواقف الطبيعية لا الادوار التي يحتاج الإنسان للقيام بها لغاية معينة مع المحافظة التامة على أن لا تخرج به عن الإطار الصحيح للإنسان الملتزم.



◄ ٥٧ - قال عليه السلام:

تنـزل المعونة على قدر المؤنة.

عندما خلق الله تعالى الإنسان تكفّل برزقه وما يحتاجه للبقاء والعيش كانسان، كل ذلك وفق حاجته من دون ما تقتير أو تبذير لأنّه تعالى أعلم بما يُصلح عبده وبما يحتاجه العبد، فيسعفه بالنجدة المطلوبة وقت الحاجة. ولذلك عدة طرق ووسائل تُعِينُ العبد على انجاز مهماته وقضاء لوازمه.

فالدعوة إلى التوكل على الله والقناعة بما يقسمه لعبده والاطمئنان لضمانه تعالى.

فحبذا لو قنع الإنسان بالذي يكفيه من دون ما زيادة لأنّها تشقيه دنياً وآخرة ويبقى مُحاسباً عنها مع ان غيره يهنأ بها.

ويحتاج الإنسان إلى التمرن لكي يقتنع بأنّ الله تعالى قسّم بين العباد ارزاقهم فلا ينقص من أحد شيء إذا كان من حصته، والشواهد على هذا كثيرة جداً، ولكن مع ذلك لا يكون غالب الناس مقتنعين عملياً بذلك ولذا نجد حالات الاعتراض والنقمة أو السرقة ومحاولة الازدياد غير المشروع.

ولله تعالى حكمة لا يدركها الإنسان بحسب فهمه المحدود فلا بُدَّ من أنّ يسعى الإنسان لرزقه بالشكل الملائم لوضعه الاجتماعي مع الثقة بالله تعالى، لا بما يبذله من جهد.

وسوف يجد أنّ الله تعالى يكفيه ما يحتاجه لكن بالاسلوب المناسب والملائم للحكمة الالهية لا بما يشتهيه الإنسان ويقترحه من حالات وامدادات.



◀ ٥٨ - قال عليه السلام:

التوحيدُ: أنْ لاتتوهمه، والعدلُ: أنْ لا تتهمه.

من اصول الدين الاسلامي التي يجب على الإنسان أن يعتقد بها اعتقاداً قلبياً راسخاً عن قناعة شخصية لا متابعة لأحدٍ - لمجرد المتابعة - هو: أنّ الله تعالى واحد لا شريك له و لا مثال له و لايصل إلى معرفة ذاته المقدسة أحدٌ مهما بلغ في مستواه العلمي.

وأنّ الله تعالى لا يظلم و لا يحتاج إلى أن يتعدى على أحد من المخلوقين لأنّه الغني وهم الفقراء اليه ولأنّه الخالق لهم وهم المخلوقون المحتاجون اليه.

فالدعوة إلى أن يوحد الإنسان ربَّه و لا يتصور في لحظة ما أنّ معه شريكاً، وأن ينزّه الإنسان ربَّه عن الظلم والتعدي والتجاوز على حق أحد مهما كان.

وبذلك يكون مسلماً موحِّداً ويبقى عليه أن يحافظ على ذلك عملياً فلا ينخدع باضاليل المضلِّلين الذين يبغون جرف الناس للتوجهات المعادية مما ينتج الانحراف وتوهم التجسيم أو الكينونة في مكان مّا كما يفعل عبدة الاصنام الذين يتوهمون تجسيد الاله فيما يعبدون بحيث يتصورون أنه هو الاله ولا يكون غيره مما يدخله تحت عنوان المشرك بالله والذي تترتب عليه احكام كثيرة.

كما عليه أن يحافظ على ذلك الانتماء عملياً فلا يترك مجالًا للتشكيكات المطروحة بمختلف الوسائل لاتهام الحكمة الآلهية بالظلم والحيف وانزال الغضب بلا موجب ونحو ذلك مما يروج له أو يتصوره بعض الفاشلين في الحياة ممن لم يكافحوا في الحياة أو ممن ظنوا أن الحياة تكون بلا تعب فيحاولون سدّ النقص الذي يشعرون به ويحسون أَثَرَهُ من خلال اتهام الخالق عزّ وجلّ في عدله.

وأجد أننا اليوم أحوج ما نكون إلى استيعاب هذه الحكمة - كغيرها من الحِكَم طبعاً - لما فيها من توجيه عقائدي يسد حاجة

فكرية وفراغاً روحياً عند شرائح في المجتمعات الاسلامية وغيرها ممن لم يعوا النظام الكوني الدقيق بكل مايشير إلى عدل الله وحكمته بل ووجوده تعالى مما يقرّبهم إلى الصواب ويجنبهم الكفر والعصيان.



حرف الثاء

◀ ٥٩ - قال عليه السلام :

ثمرةُ التفريطِ[١] الندامةُ، وثمرةُ الحزمِ[٢] السلامةُ.

الدعوة إلى أن يتعود الانسانُ النظامَ والدقة في حياته فيمارس ذلك في مجالات الحياة كافة حتى لا تفوته فرصة قد تنفعه لو كان حَافَظَ عليها. لأن ممارسة النظام تحفظ الإنسان وتقيه كثيراً من المكاره إذ أنّ الخطر يكمن في التقصير والاهمال.

وعلى الإنسان أن يعتبر بهذا في المجالات كافة فلا يترك مجالًا إلى نفسه ليدبّ اليه حب التقاعس والتماهل بل عليه أن يمارس ما يحتاجه ويوفر ما يريده كلٌ وفق المشروع - طبعاً - فإنّه لو قصّر ولم يبادر سوف يندم وقد لا تواتي الفرصة مرة أخرى فتكون الخسارة

(١) التفريط: التضييع والتقصير في الشيء. يلاحظ القاموس المحيط ج٢ ص٣٧٧. والمنجد ص٥٧٧. مادة (فَرَطَ).
(٢) الحَزْم: ضبط الامر والأخذ فيه بالثقة. القاموس ج٤ ص٩٥.

أكبر بينما إذا ضبط الأمر وكان حازماً في اتخاذ القرار في الوقت المناسب فإنه يحوز ما تمنى ويصل إلى الهدف المنشود.



◄ ٦٠ - قال عَلَيْهِ السَّلَامُ:

الثناء بأكثر من الاستحقاق ملق، والتقصير عن الاستحقاق عيّ وحسد.

الدعوة إلى التوازن والأخذ بالوسط لئلا ينجرف الإنسان وراء مؤثرات العاطفة والاعجاب الشخصي أو الجفاء الشخصي فيخسر المعادلة الصحيحة في تعامله مع الناس فلا بُدَّ من أن يتعلم جيداً كيف يعايش الناس ويُحسِن عشرتهم فلا يسترسل ولا يُحْجِم وانما يتوازن في عملية الحب والبغض مع ملاحظة القواعد السليمة والمستقيمة في العلاقات الاجتماعية. فيمدح ويثني على مستحق الحمد بلا إسراف لئلا يكون تملقاً وتزلفاً لأنّ ذلك من أسباب النفور الاجتماعي عن الفرد إذا عُرف بالتملق لأنه يؤشر على تذبذبٍ في شخصيته وتكوينه العاطفي فلا يركن إلى أساس مستقر وإنّما يبغي الفائدة ويحاول الوصول إلى الغاية.

كما ويحاول أن لا يبخس أحداً حقه ولو كان مختلفاً معه في بعض النقاط، إذا عرف أنّه على حق لأن التقصير وعدم الانصاف

يؤشر سلباً عن حالة حسد وعدم حب وعدم رغبة في ظهور وتميّز الآخرين. وكلّنا يهرب من التصاق هذه التهمة به فلا بُدَّ لئلا نوصم بالحسد وعدم توفية الآخرين حقوقهم ولئلا نكون متجاوزين متملقين - علينا - أن نأخذ بالمقاييس السليمة في تعاملنا في المجتمع المحيط الذي نحتاج إلى ابداء آرائنا فيه فلا بُدَّ من التحفظ لئلا نتجاوز الحد ولئلا نقصّر عن الحق.



حرف الجيم

◄ ٦١ - قال عليه السلام:

الجود حارس الأعراض[١]، والحلم فِدام[٢] السفيه، والعفو زكاة الظفر، والسُّلو[٣] عوضك ممن غدر، والاستشارة عين الهداية، وقد خاطر مَن استغنى برأيه، والصبر يناضل الحَدَثان[٤]، والجزع من أعوان الزمان، وأشرف الغنى ترك المُنى[٥]، وكم من عقلٍ أسيرٍ تحت هوى أمير، ومن التوفيق حفظ التجربة، والمودة قرابة مستفادة، ولا تأمنن ملولاً.

---

(١) الأعراض: جمع العِرْض وهو ما يصونه الإنسان من نفسه أو سلفه أو مَنْ يلزمه أمره. المنجد ص٤٩٧ مادة (عَرَضَ).

(٢) الفدام: مصفاة صغيرة أو خرقة تُجعل على فم الابريق ليُصفّى بها ما فيه. المنجد ص٥٧٢. مادة (فدَمَ).

(٣) السُّلُو والسَّلْوْ: نسيان الشيء والذهول عن ذكره. لاحظ المنجد ص٣٤٨. مادة (سلا).

(٤) الحِدْثان و الحَدَثان: نوائب الدهر. لاحظ المنجد ص١٢١. مادة (حَدَثَ).

(٥) المُنى جمع المُنية: (البُغْيَة، ما يُتَمنَّىٰ). المنجد ص٧٧٧. مادة (مَنَىٰ).

الدعوة إلى الأخذ بمجموعة نصائح تهم كل فرد يريد العيش بسلام ويهدف إلى بناء أساس متين في علاقاته الاجتماعية فإنّه لو التزم هذا الخط المرسوم سيصل إلى ما يريده وما يهدف اليه بجدارة واستحقاق ويكون انموذجاً يحتذى ويقتدى به.

النصيحة الاولى: تبيّن أن الكرم وبذل المال أو الجاه مما يوفر للانسان حصانة تحميه من عاديات الناس - بالقول أو الفعل - لأن الناس بطبيعتهم يحبون مَنْ أكرمهم ويألفون جانبه وينتصرون له، وهذا ما لا ينكره أحد - غالباً-. إذن بذل المال بما يسمى كرماً وجوداً يحرس الإنسان ومَنْ يتعلق به.

النصيحة الثانية: تبيّن إن الاغضاء عن إساءة الغير والتسامح وعدم الرد مع القدرة عليه يمنع الإنسان الجاهل عديم الخُلُق من الاعتداء مرة اخرى لأن عدم المقابلة والصفح مع القدرة يعني السيطرة على النفس وضبطها لتمرير الموقف بسلام وبدون خسارة أحد، وينبغي للمؤمن أن لا يعتبر الاغضاء وعدم المجابهة ضعفاً ورضوخاً للمعتدي السفيه وأنّه سيكرر الاساءة بل عليه اتباع النصيحة ليكسب بذلك انساناً مغروراً بنفسه فيصلحه.

النصيحة الثالثة: تبيّن أنّ الإنسان إذا تعرض لحالة مواجهة مع أحد وانتصر عليه وكَسَبَ الجولة وتغلّب عليه، ولم ينكِّل به ولم يعاقبه على ما أساء اليه وعفا عن جرمه فان ذلك سينمّي وسيكثّر انتصاراته ويكون النصر حليفه في مواجهاته وهو ما يتمناه كل أحد عندما يدخل في مجابهة مع الآخرين فعليه أن يعفو ليزيد الله تعالى

عليه فتوحه وانجازاته لأنّه تعالى عفوّ كريم يحب العفو وقد أمر به فاذا رأى أنّ أحداً من عباده التزم جانب العفو فيعوضه عن ذلك الموقف بالنصر والفتح.

النصيحة الرابعة: تبيّن أنّ نسيان نقض العهد وتراجع الاشخاص عن مواقفهم ومحاولة عدم تذكر ذلكَ ينفع في حل مشكلةٍ إذا تعمقت في الإنسان أُصيب بصدمة نفسية وحالة عصبية قد تقضي على مستقبله - احياناً - مع أنّ هذا ليس ختام الأمور أو نهاية العالم بل على الإنسان أن يعالج الموقف بالصبر وتناسي كل ما يذكّره بالإساءة ليمكنه مواصلة الحياة، وليكتشف في نفسه قابليات التحمل والتجاوز للمصاعب والقدرة على المواجهة.

إذن فالسلو وعدم التذكر تعويض عن التفكر في الماضي واستجماع الذكريات المحزنة التي تؤجج نار الضغينة في داخل النفس وقد تصل الأمور إلى ما لا تحمد عقباه ثأراً للكرامة...

النصيحة الخامسة: تبيّن أنّ طلب ابداء الرأي من الآخرين - الذين يأتمنهم الإنسان على مصالحه ويثق بمستوى تفكيرهم ورجاحة عقلهم - مما يعبّر عنه بالاستشارة هو اولى الخطوات نحو الحل الصحيح لما يواجه الإنسان من مصاعب، لأن ذلك يعني أنّه عرف عدم احاطته بجوانب القضية التي تواجهه كافة مما يحتِّم عليه الاستعانة بخبرات الآخرين العارفين ليتجاوز الأمر بلا تقديم خسائر كثيرة.

النصيحة السادسة: تبيّن أنّ عدم المبالاة بآراء الناصحين

والمخاطرة بالإقدام من دون ما استشارة يعني عدم النضج لأن الإنسان - العاقل - انما يُقْدِمُ على الأمر بعد حساب النتائج ولو بالاستعانة بالآخرين الأبصر منه في الأمور ممن لهم تجربة في المجال المطلوب.

فاذا لم يعتن أحدٌ بهذا وتركه وراء ظهره يعني أنّه يرتجل المواقف بلا رويّة ومن دون الرجوع إلى عقله بل يتبع عاطفته وما تحكم به مما لا يكون مضموناً دائماً.

النصيحة السابعة: تبيّن أنّ الصبر وتحمّل المكاره وعدم الجزع أحسن ما يقاوم به الإنسان نوائب الزمان حتى لا تترك أثراً - بالغ العمق - في نفسه إذ حال الدنيا أن يُبتلى فيها الإنسان بل وتكثر عليه المواقف الصعبة فاذا صار يواجه كل حالة بالجزع فحتماً سينهار في النهاية و لايمكنه التوازن في حالات أصعب مما سبق وعندئذ ما العمل هل يتخلى؟! أو يستعيض بغيره ليتحمل عنه أعباء المشكلات؟! أو ماذا؟

فالحل الافضل أن يتشجع ولا يجبن في مواجهة الاحداث، وأن يتجرأ فيكون وجهاً لوجه مع المشكلات فلا يترك الاعباء على غيره، وان يتجلّد فلا يستسلم للهموم، كل ذلك بعد الاستعانة بالله والوثوق بالنفس بلا غرور.

النصيحة الثامنة: تبيّن أنّ الجزع وإظهار التأثر والحزن السريع أمام المصائب التي تواجه الإنسان في الحياة إنّما يساعد على انهزامية

الإنسان وعلى إضعاف قوته الدفاعية التي يحتاج اليها في مثل هكذا مواقف فيكون مصدر المشكلات متعدد المنافذ: المشكلة المواجهة، وعدم الصبر، وإظهار الجزع. . لأنّ لكل منها آثاراً سلبية إلاّ أنّ المشكلة الفعلية المواجهة آثارُها مؤقتة بينما آثار الجزع مستمرة إلى أمد غير محدود.

فعلى العاقل ألّا يعين على نفسه بالجزع بل يلجأ إلى الله تعالى المغيث، ويتّبع الاسلوب الحكيم في المعالجة والمواجهة. ولا يعتبر - ولو للحظة - أنّ الجزع يحل مشكلة أو يخفف من وقع ألم ابداً.

النصيحة التاسعة: تبيّن أنّ أعلى مراتب الغنى وعدم الحاجة هو أن لا يتمنى الإنسان كثيراً وإنّما يتعود ان يعيش الواقع المحيط به من الناحية الاقتصادية فلا يترك خياله يأخذه إلى ما لا يمكنه تحقيقه وعندئذ إمّا الحسرة أو الحقد أو السرقة أو الاحتيال وما شابه هذه الخصال الذميمة التي تؤثر سلباً على الفرد والمجتمع بصورة سواء.

فالأفضل والأجدر بالإنسان أن يكون جادّاً (عملياً) أكثر منه تعلقاً بالاوهام (خيالياً) في مجالات لا يمكنه تحقيقها.

النصيحة العاشرة: تبيّن لزوم متابعة الإنسان عقله وأنّه إذا ما حصل العكس وتابع هواه فسيخسر مواقف مهمة.

فإنّ قيمة الإنسان - مهما كان - بما يحمله من عقل ومستوى متقدم في التفكير ومعالجة الأمور بحكمة ورزانة. وهذا يرفعه إلى مستوى ارقى مما هو فيه

بينما لو جعل عقله تحت إمرة هواه فكان منقاداً لشيء لا ثبات له وانما يتأثر بما يطرأ عليه من حالات متضادة كالرضا والغضب والحب والبغض والرغبة وعدمها والانفتاح النفسي وعدمه. . .، فحتماً لا تكون مواقفه متسقة ولا متناسبة مع وضعه وعندئذ يكون بصورة لا تخدمه اكيداً بل لو راجع عقله سيحاول التهرب من تلك المواقف التي أملاها عليه هواه وعاطفته ومن المعلوم ان الإنسان مرَكَّب من عقل وشهوة، فالمدير الموفَّق دائماً هو: العقل، والمدير الذي لا تضمن نتائج ادارته هو: الهوى أو العاطفة، مما لا يكون ثابتاً بمقياس محدد وإنّما يتبدل بتبدل الظروف والحالات.

النصيحة الحادية عشر: تبيّن أنّ الإنسان الذي يستفيد مما مرّ به من تجارب تحوطه عناية الله تعالى ورعايته وتوفيقه إذ لم يخذله بنسيان المواقف السابقة سواء الايجابية أو السلبية ليتعرف من خلالها على التصرف المناسب في الحالة الراهنة. بينما نجد الذي لا يتعظ بما تقدم و لا يعتني بما سلف من مواقف تكفي لحمايته من تكرر مثلها - نجده - خاسراً ملوماً من قبل الآخرين منتقَداً في تصرفاته ومواقفه.

النصيحة الثانية عشر: تبيّن أنّ التحبب إلى الناس والتقرب منهم بما يكون مضمون الوصول إلى قلوبهم وعواطفهم يتيح للانسان فرصة ثمينة يسعى - الإنسان - لتحقيقها وهي كثرة الانصار والاعوان والذي يكون - غالباً - بكثرة عدد الاقرباء والارحام ممن يتصل بهم الفرد نَسَبيّاً أو سببياً.

فالفرد الواعي يمكنه ضمان ولاء عددٍ كبير عن طريق تقديم الحب اليهم بالشكل المناسب والمسموح به في مختلف القوانين التشريعية والوضعية ليحصل - بالتالي - على تعاطفهم ومودتهم ومصافاتهم ووفائهم. . . مما يجعله مرتاح البال مسالماً، ويكثر نتاجه الذي يخدم به الآخرين ويبتعد عن مواقف التشنج والتأزم أو التصلب.

فالحث على الحب والود لتعمر الحياة بمعاني الخير.

النصيحة الثالثة عشر: تبيّن لزوم الابتعاد عن الإنسان الذي تتبدل مواقفه وعواطفه سريعاً لانه لا يستفاد منه بشيء - مادياً أو معنوياً - وصفة المَلَل من الصفات المنفّرة عن المتصف بها فالتحذير - ضمناً - من الاتصاف بها لأنها تقلل من الاخوان والاصدقاء وتنفّرهم وتفتح على الإنسان منافذ الكلام والانتقاد بما يُفشي عيبه بين الناس فيفتضح أمره وتتغلب هذه الصفة على كل الصفات الايجابية والسلبية.

نعم من حق الإنسان أن يكون له رأيه في كل حادثة تحدث وبالتالي تتبدل مواقفه ولكن عليه ان يلتزم الصبر والحذر والتسامح والتأني والوفاء والصدق و. . و. . . مما يجعله اكثر رزانة واعمق فكراً فلا يرتجل المواقف وانما تكون بين موقف وآخر مدة زمنية كافية لتصحيح هذا التحول مما يوفر المبررات المناسبة.



حرف الحاء

◀ ٦٢ - قال عليه السلام:

الحَجَرُ الغصيب[١] في الدار رهنٌ على خرابها.

الدعوة إلى ممارسة التقوى والتدين بشكل دقيق بعيد عن مجرد المظاهر والروتين الذي يمارسه المتدينون عادة بل على المؤمن أن يستسلم لأوامر الشريعة المقدسة بأشكالها كافة ويطبقها بموجب صيغها المشرَّعة، ومن هذا ان لايتعدى أحدٌ على أحدٍ سواء على نفسه أو عرضه أو ماله قليلًا كان مقدار التعدي أو كثيراً والأثر السلبي المترتب هو الخراب والدمار وهما مما يفرّ منهما الناس.

اذن لابُدَّ من أن لا يُستهان بالمقدار القليل من التعدي والظلم على أساس منظار القلة والكثرة، وإنّما لا بُدَّ من قياس ذلك بانه مخالفة لأوامر الله تعالى والتي يستوجب العبد من جرائها العقوبة، والفرصة متاحة امام مَنْ لم يقتنع فليجرب بالقليل من الاعتداء والتجاوز ليجد

(١) الغصيب بمعنى المغصوب. وقد روي بلفظ (الحجر الغصب) و (الحجر المغصوب) فلاحظ.

ان النهاية مؤلمة ومأساوية إذ القليل يجر الكثير من حالات النكبة والندم و وخز الضمير. . .

ولا أحسب أنّ أحداً يناقش في ذلك مبدئياً لأنّ الله تعالى أراد للناس أن يعيشوا بسلام فشرّع القوانين التي تُؤمِّنُ لهم ذلك فمن الطبيعي أنّ المتجاوز ينكب لأنه متجاوز وعاصٍ: فالحذر الحذر من الغصب، والأخذ بالغلبة، والاستيلاء بلا وجه مشروع لأنّ نتيجة ذلك دنيوياً: الخراب والفناء، ومثّل الإمام عليه السلام لذلك بالحجر وما يمثله من قلة فلا يبالي به أحد بالمقياس الانتاجي الاقتصادي.

الّا أنّه كوثيقة باقية وامانة موضوعة حتى يتم الاداء ويحصل الأثر الذي هو الخراب، وقد يأخذ الخراب اشكالًا متعددة: الخراب المحسوس المادي، الخراب الاعتباري كأن لايوفق ساكنها أو تكثر مصائبه و مشكلاته أو. . . أو. . . من اشكال الخراب مما يترك اثراً لدى الغاصب ليرتدع بعدئذ.



◀ ٦٣ - قال عليه السلام:

الحدّة[١] ضَرْبٌ من الجنون لأنَّ صاحبها يندم، فإنْ لم يندم فجنونه مستحكم.

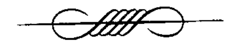
---

(١) الحِدَّة: ما يعتري الإنسان من النزق والغضب. مختار الصحاح ص١٢٦.

إنّ الإنسان معرَّض للغضب بحسب طبيعته، والغضب يأخذ مختلف الاشكال والحالات عنفاً وليناً، وشدة وضعفاً، ومستمراً ومؤقتاً.. و...

وكل ذلك يخضع لسيطرة الإنسان العاقل لأنّه لو لم يسيطر فلا يصح وصفه بالعاقل بعدئذ، فالدعوة إلى التوازن والسيطرة وعدم الانسياق وراء العاطفة وما تمليه من مواقف مرتجلة يندم عليها الإنسان بعد ذلك، إذ ليس من اللائق بالإنسان الذي يسعى نحو التكامل أن يترك المجال مفتوحاً لنفسه وعاطفته في التغلب على عقله ودينه وإنّما بقليل من الصبر والاغضاء ومحاولة التجاوز وعدم التصلّب يخرج الإنسان الغاضب من أسارِ غضبهِ وينجو من عواقبه المشينة.

فاذا تعنَّت أحد ولم يستجب لنداء العقل والدين على أساسٍ من العصبيّة والانفعال الشخصي أو الانفصام في الشخصية فحتماً سيخسر الموقف ويبدأ التعامل معه يختلف شيئاً فشيئاً إلى أن يسقط عن الاعتبار الاجتماعي ولا تناط به أية مسئولية بل تسلب عنه لو كانت لديه لأنه سُجّل في قائمة غير المتوازنين الذين لا يمكنهم - لحالاتهم العصبية - السيطرة واتخاذ المواقف المناسبة، فحمايةً لهم يُعَيّنُ مَنْ يشرف عليهم وهو ما يسمى في المصطلح الفقهي بالولي، فلابُدَّ للانسان من عدم الاصرار على مواقف الغضب لئلا يكون مجنوناً وهو ما لايرضاه أحد عاقل لنفسه.



◀ ٦٤ - قال عليه السلام:

الحذر الحذر فواللهِ لقد ستر حتى كأنه قد غفر.

قد يتصور الإنسان في بعض حالات طيشه وغروره بما لديه من إقبال الدنيا عليه وازدهارها إليه أنّه على صواب وأنّ مسلكه في الحياة هو الصحيح المرضي ولو لم يكن كذلك لما بقي ولما تَمّتْ واستقامت له الأمور، بينما يجد حاله أحسن من حال غيره من الذين استقاموا واحسنوا...

إلّا أنّ هذا مجرد خيال لا أساس له من الصحة إطلاقاً لأنّ المجرَّب الثابت أنْ الله تعالى يمهل عبده العاصي لكنه لايهمله ولايتركه بالمرة بل يعطيه فرصاً للتراجع والتوبة فإذا لم يستفد من ذلك فيأخذه أخذ عزيز مقتدر،إنْ في عاجل الدنيا أو في آجل الآخره.

فالدعوة إلى عدم المواصلة في اقتراف الذنوب لأنّ الله تعالى مطّلع على عبادِهِ عالمٌ بسرائرهم، وإنّما يسامحهم تكرماً منه وستراً عليهم لئلا يفضحهم بين الخلائق، إلّا أنّ هذا لايعني أنّه يُقر كلّ أعمالهم بشكلها العام بل يثيب على الحسنات ويعاقب على السيئات خصوصاً إذا لم يعتبر العبد من حلم الله تعالى الذي بقدرته أن يعاقب من أول مرة إلّا أنّه يغضي ويستر في الدنيا رأفة بعبده فاللازم على العبد مراعاة ذلك لأنه يستشف من تكرار التحذير بقوله عليه السلام (الحذر الحذر) إنّ العاقبة وخيمة لمن لم يتعظ، فإنّ الآخرة هي دار

الجزاء فاذا كان مسيئاً فيعاقبه بما يستحقه ولا يعني ستره في الدنيا أنّه انهى ما عليه بل ستر عليه كأنه غفر له ومن المعلوم - كما عند النحاة - ان (كأنّ) للتشبيه.



◀ ٦٥ - قال عليه السلام:

الحكمة[١] ضالّة[٢] المؤمن، فخذ الحكمة ولو مِنْ أهل النفاق.

الدعوة إلى تلقي المعارف والفضائل وابتغاء ما يقوّم الإنسان ويسدده في حياته، من كل أحد وبغضّ النظر عن مبدئه الفكري والعقيدي فإنّ التكامل وكسب المقوّمات للشخصية الفردية مما يُسعى اليه ويُهدف نحوه فلا يكون حاجز العقيدة مانعاً من الاستفادة بالحدود التي يؤطرها عدم الانسياق وراء الاعجاب الشخصي ليترك الإنسان دينه ومبدأه، بل بحدود التعلم والتوصل إلى ما هو أفضل من دون مساس بالشئون الشخصية وخصوصاً الدينية، فإنّها من أهم ما

(١) الحكمة لغة: الكلام الموافق الحق، المنجد ص١٤٦ مادة (حَكُمَ). العلم الذي يرفع الانسان عن فعل القبيح، مستعار من حكمة اللجام وهي ما احاط بحنك الدابة يمنعها الخروج. مجمع البحرين ج٦ ص٤٥ مادة (حَكَمَ)، وقال ابن دريد: (فكل كلمة وعظتك أو زجرتك أو دعتك إلى مكرمة أو نَهَتْكَ عن قبيح فهي حِكمة وحُكم...)، جمهرة اللغة ج٢ ص١٨٦.

(٢) الضَالة لغة: المفقود الذي تسعى وراءه. المنجد ص٤٥٤ مادة (ضلّ).

يجب الحفاظ عليه والموازنة فيه، ولعل من أحد أسباب الدعوة إلى اكتساب الحكمة أنّها ترفع الإنسان عن فعل القبيح وتؤهله لأن يحتل مركزاً مرموقاً بين الناس، بما يعني انضباطه وتحرّجه عن فعل ما لايليق وهو ما يوفر حماية المجتمع من الاخطار الاخلاقية والانحرافات السلوكية.

ويظهر الحثّ على الاهتمام بشأن الحكمة وعدم التفريط بها من خلال الامر بالأخذ ولو من أهل النفاق، لأنّ الحكمة أمر يتساوى فيه الجميع من دون ما تمييز مذهبي، قومي، اجتماعي، . . . فلذا كان امراً طبيعياً ان تُكْتَسَبَ المعارف والقيم الصحيحة ولو من الاشخاص المبتعدين عن خط الاسلام بكل ما فيه من مُثُل ومبادئ تحث على المكرمات وتنهى عن القبائح والرذائل والذي منها (النفاق) فإنّه يعني الازدواجية في الشخصية والولاء والتوجهات. . . وهو ما يرفضه منطق الاسلام و يذم المتصفين به وقد خصصت سورةٌ في القرآن الكريم لذكر احوال المنافقين و بيان ما يتصفون به، وكفى بذلك شهادة على اتصافهم بذمائم الاخلاق، وعلى انحطاطهم وتردّي مستواهم لأنهم يعيشون التذبذب والمراوغة وعدم الواقعية بشكل علني و مكشوف وهو ما يُتعوذ بالله منه. فكان لزاماً التحذير منهم. . . ولكن ذلك كله لايسلبهم بعض الايجابية - لو كانت - فلا مانع من انتفاع المسلمين الصادقين من تلك الجوانب الايجابية. . .



◀ ٦٦ - قال عليه السلام :

الحلم عشيرة.

ما أروع هذه الدعوة إذ تبني مجتمعاً آمناً مطمئناً تسوده مبادئ الاحترام والتسامح ونبذ الاحقاد والمشاحنات التي تكثر عادة في المجتمعات البشرية. لأنّ الإنسان بطبيعته يأنف من تحمل الضيم والأذى. . . فاذا تجاوز ذلك وتعدّاه إلى فضيلة الاغضاء عن الاساءة مع القدرة على الرد. . . فيكون قد كسب انصاراً واعواناً على شئون الحياة وشجونها حتى ليتكوّن لديه العدد الكثير والجمع الجم الغفير بما يسدّ مسدّ العشيرة ويقوم بوظيفتها المعتادة.

كل ذلك كان بفضل التحمل الموقت للتجاوز لتكون النتيجة اصلاحُ المعتدي، وكسبه إلى الصف، وتخليصُ المجتمع من عضو مضر لايمكن تقدير اضراره التي سيحدثها لو أُهمل على غيّه وطيشه لأنه كان يتجاوز ويُقَابَل بالمثل أو الأشد لئلا يكرر، إلّا أنّه لم يفكر أحد بأنّ هذا لايحل مشكلة ولايقوّم عوجاً.

فلذا يؤكد الإمام عليه السلام على ضرورة الصبر والاناة والسكون وتحكيم العقل واستبعاد العاطفة مؤقتاً وعدم الاستماع لنداء: أنّ السكوت عنه ضعف وذل واستكانة، كل ذلك ليعمر المجتمع ويكثر الخيّرون فيه.



حرف الخاء

◀ ٦٧ - قال عليه السلام:

خالطوا الناسَ مُخالطةً إنْ متُّمْ مَعَهَا بَكَوا عليكم، وإنْ عشتم حَنّوا اليكم.

الدعوة إلى اقامة علاقات اجتماعية حميدة، طيّبة.

بحيث إذا مات الإنسان بكاه الناس لما يجدون من ألم الفراق وحرقة المصاب.

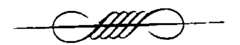
وإن عاش معهم - ولو لم يكن قريباً منهم بجسمه - اشتاقوا اليه واحبّوا لقاءه وودّوا صحبته.

وهذا لايتم بالهيّن بطبيعة الحال بل بجهد جهيد خصوصاً إذا لاحظنا الاختلاف في الطبايع والامزجة والحالات التي يتقلب فيها الإنسان من حسن إلى أحسن أو اسوأ مما يصعب معه المحافظة على نمط في العلاقة ثابت وشكل موحد.

لكن إذا تعوّد الإنسان أول أمره ومبتدأ نشأته التعامل بالمعاني الايجابية التي يأنسون بها فحتماً سيحبونه ويحنّون اليه ويبكون عليه.

وهو مع ذلك لايجد كثير معاناة أو مشقة في ذلك لأنه تدرّج عليه

وتدرب فوجد أثره الطيّب وما اكسبه اياه من حالة طيّبة، وربما يمتد الأمر فيشمل الحنين والشوق إلى المنتسبين اليه أيضاً، كل ذلك تخليداً لذكرى مَنْ خالطهم مخالطة حسنة وعاشرهم معاشرة تتسم بالمحبة والروح الأخوية البعيدة عن رصد المخالفات والوقوف - كثيراً - عندها.



◀ ٦٨ - قال عليه السلام:

خذْ من الدنيا ما أتاك، وتولَّ عما تولّى عنك[١] فإنْ انت لم تفعل فأجملْ في الطلب[٢].

يبيّن عليه السلام في هذه الحكمة ثلاثة امور مهمة في حياة الفرد يلزمه استيعابها ليمارسها من موقع القناعة ومنطلق الوثوق بجدواها وفاعليتها في الحياة لا على اساس النظرية التي لا تلائم روح العصر.

الأمر الأول: عدم الانهماك في طلب الدنيا وعدم التلهف وراءها بما ينسي المتطلبات الاخرى بل على الإنسان أن يأخذ من الدنيا ما أتاه بعدما يكون قد سعى بما يتناسب وحالته لا أن يتقاعس عن العمل بل يؤدي ما عليه فاذا لم يتيسر له المزيد مما يطمع به ويطمح اليه

(١) تَوَلّىٰ عنه: أعرض عنه وتركه. المنجد ص٩١٩ مادة (ولي).
(٢) أجْمَلَ في الطلب: إتَّأَدَ وأعتدل فلم يُفْرِط. القاموس المحيط ج٣ ص٣٥١.

فليقنع به وليعلم أنّه المقدَّر له والمقسوم له وهو الخير بالنسبة له - والخير فيما اختاره الله تعالى طبعاً-، وأنّه لو تحقق المزيد لحدثت بعض المضاعفات والمنغصات الجانبية. اذن فالقناعة بما قُسم وعدم الانسياق وراء طلب المزيد من الدنيا هو الافضل.

الأمر الثاني: عدم السعي الحثيث وراء ما زوي عن الإنسان فلا يكون همه الوحيد، ولا يجعله عقدة حاجزة، بل الرضا بالموجود الميسور لأنه لو كان ذاك من حظه لأتاه، ولما أمكن لأحد أن يصرفه عنه.

الأمر الثالث: أنّه إذا لم تطاوع الإنسان طبيعته الخاصة من الانسياق وراء الدنيا ولم يكن مكتفياً بما يأتيه، وكان طَمُوحاً ومواصلاً السعي في طلب الدنيا فينصحه الإمام عليه السلام بأن لا يفرط ويعتدل في سعيه وطلبه ويراعي الضوابط الشرعية والاخلاقية التي تنظم اعماله بشكل ملحوظ لأنها تحدد مساره التجاري بما يحميه من الآفات والبلايا.

اذن فالدعوة إلى تنظيم الإنسان حياته ليشمل بالتالي تنظيم المجتمع إذ الاولاد هم نواة تكوين المجتمع فلا بُدَّ من الوثوق بالله تعالى وبحكمته في تقسيم الارزاق سواء المادية أو المعنوية كالجاه والحظ والمكانة الاجتماعية وغيرها، فلا يُتطلب ما وراء ذلك بحجة الطموح، وان أصرّ أحدٌ على ذلك فينصحه الإمام عليه السلام بالتوازن لأنّ الدنيا غرّارة تُقبل على الإنسان تخدعه ثم سرعان ما تتحول عنه وتتركه يعاني مما هو فيه لوحده.

حرف الدال

◄ ٦٩ - قال عليه السلام :

الداعي بلا عمل كالرامي بلا وَتَر.

الدعوة إلى أن نكون مطبقين لما نتعلمه من العلوم والمعارف ليتسنى لنا أمْرَ الغير به وإلّا فلا تكون الموعظة مسموعة ولا النصيحة مقبولة.

وقد مُثّلَ مَنْ يدعو غيرَه إلى أمر لا يقوم - هو - به بمَنْ يرمي وآلة رميه ناقصة فلا يمكنه الاصابة ويفشل في - التهديف -.

إذن فالعلم النظري مع العمل التطبيقي ثم مرحلة دعوة الغير ليصح الاقتداء، لأن لذلك الاثر التام في النفوس لأن مطابقة العمل للعلم تكون من الدعاية الصامتة ذات التأثير القوي.

ومن فوائد التطبيق كفّ الالسنة والانتقاد الاجتماعي بأنّه يدعو إلى ما لا يعمل به فيكون إلى التنظير أقرب منه إلى التطبيق فلا يمكنه استقطاب الكثير ممن يمكنه احتواؤهم وحثّهم على المعاني الخيّرة التي ينبغي له الاهتمام بها والتعوّد عليها والوقوف عندها بتأمل وإمعان لينعكس اثرها عليهم ولتتعزز في النفوس اكثر من خلال التطبيق.





◄ ٧٠ - قال عليه السلام:

الدنيا دار ممر إلى دار مقر، والناس فيها رجلان، رجل باع فيها نفسه فأوبقها[١]، ورجل ابتاع نفسه فأعتقها[٢].

في هذه الحكمة تعريف دقيق للدنيا بما يجعل الصورة مكتملة ولا يترك الفرصة لأحد في الاغترار بها، إذ إنّها محل يجتازه الإنسان ثم ينصرف عنه إلى محل آخر هو الأبقى والأدوم وهي كمحطة يتوقف فيها الإنسان ليتزوّد ما يحتاجه لمواصلة سفره الذي هو غايته ومقصده مما يحتّم عليه التعامل بلا مزيد اهتمام بما فيها - مهما كان - لأنه سيفارقه عند موعد المغادرة ولا يمكنه اصطحابه معه. اذن فاللازم أن يتعامل معه معاملة غير جادة بل تتسم بقضاء الضرورة. واللازم لئلا يثقل على نفسه ولا يجهدها بتحمل المسئولية أو مؤنة الحمل والنقل، ولو نظرنا إلى الواقع نظرة فاحصة لوجدنا أنَّ مَنْ لم يتزود للآخرة وأخلد للدنيا قد أثقل نفسه بما عَمِلَهُ من الأعمال التي يُؤاخذ عليها فيطول بسبب ذلك وقوفه عند الحساب، وهو ما يتخوف منه كل عاقل لأن المحاسبة دقيقة ولا تُعرف نتائجها إلّا بعد أن يستقر العبد حيثما يأمر به الله تعالى.

ثم بيّن عليه السلام أنّ تصرفات الإنسان - في الدنيا - محسوبة عليه،

---

(١) أوبقها: أهلكها. المنجد ص٨٨٤ مادة (وَبَقَ).

(٢) ابتاعَ الشيء اشتراه. المنجد ص٥٦ مادة (باع).

وهو - ذاته - الذي يعيّن مصيره في الآخرة من خلال اختياراته الدنيوية، فإن انضم إلى الدنيا وركن اليها واغترّ بها فهو الذي باع نفسه العزيزة للدنيا الدنية فصار سبباً لهلاك نفسه في الآخرة، لأن الدنيا تزيّن له افعالًا وتروكاً لا تنتظم كلها في قائمة المسموح به شرعياً وعندئذ يقع المحذور، وتجب العقوبة فلا يخلّصه أحد لأنه قدّم دليل إدانته بنفسه من خلال ما قام به من اعمال غير محسوبة دينياً.

وإن كان قد اختار تخليص نفسه من شَرَكِ الاهواء المضله وتفادى الوقوع في المنزلق والتزم جانب التقوى وحفظ نفسه من التعدي والتجاوز على الاحكام الشرعية فهو قد حَرّرَ نفسه من ربقة النار. . .



حرف الراء

◄ ٧١ - قال عليه السلام :

رأي الشيخ[١] أحبُّ اليَّ مِنْ جَلَد[٢] الغلام[٣].

الدعوة لاستماع رأي كبير السن الذي جرّب الأمور وعرك الحياة فعرف منها جوانب لم يعرفها مَن هو ادنى منه سناً وخبرة، ومرّت عليه مختلف الحالات، والاستفادة من خبرته وحكمته لأنّ ذلك يعطي تجربةَ الشباب قوةً ورصانة، إذ لم تكن فكرة الشباب مجرد فكرتهم بل عززها توجيه الاكبر سناً بما يطبعها بطابع الوقار وعدم الرد من الآخرين، لأنّ الشيخ قد مارس الحياة اكثر فلا يدخل الميدان تجربةً بل عن دراية، بينما الشاب - الذي بدأ شاربُهُ بالظهور - يدخل الميدان بدافع الحماس والقوة التي تدفعه من الداخل لتحقيق الطموحات وانجاز التمنيات وانه الكفوء واللائق و. . . و. . .

(١) الشيخ لغة: مَنْ استبانت فيه السن وظهر عليه الشيب. المنجد ص٤١٠ مادة (شاخ).

(٢) الجَلَد لغة: القوة، الشدة، الصلابة، الصبر. المنجد ص٩٦ مادة (جَلُدَ).

(٣) الغلام لغة: الطارّ الشارب. المنجد ص٥٥٧ مادة (غَلَمَ).

وهذا وان يخدم كيان المجتمع في بعض الحالات إلّا انه ليس في كلها بينما تجربة الشيخ اهدى سبيلًا في غالب الفرص ولو اخطأت فلا ملامة إذ لم ندفع مقابلًا إلّا التؤدة والتأني فلا خسارة مادية تُذْكَرْ، وانما الفرصة مؤاتية مرة اخرى لخوض الميدان.

ويجد المتأمل في هذه الدعوة أنّ الامام عليه السلام يساند الشباب المؤمن إذ يهيء له مستشاراً ينصحه ويرشده إلى الأصلح والأصوب فيريد منه عليه السلام أن لا يدخل معتركا إلّا عن دراية ولا يُقْدِم على عمل إلّا بعد حسابٍ للعواقب وتقديرٍ للامور بالشكل المعقول.

فليس في هذا أي تقليل من أهمية عنصر الشباب بل محافظة عليهم لئلا تذهب جهودهم العضلية من دون ما فائدة، ومن دون تحقيقٍ لشيء مفيد.



◀ ٧٢ - قال عليه السلام:

الراضي بِفِعْلِ قَومٍ كالدّاخِلِ فيه معهم، وعلى كلّ داخل في باطلٍ إثْمان: إثمُ العمل به وإثمُ الرضا به.

إنّ مَنْ يرضى بفعل شخص أو جماعة يلحقه ما يلحقهم من أجر أو وزر لأنّ التضامن والاتفاق ولو من دون انجاز عمل يعني مباركة المشروع والموافقة عليه والتأييد له وهذه عوامل كافية لأن يحسب الشخص على ملاك الآخرين وإنَّ من السلبيات الاجتماعية: تضامن

بعض الافراد مع آخرين من دون ما دراسة وتحليل لموقفهم وانما بدافع عاطفي او استجلاب مادي او هوى سياسي او اندفاع غير اخلاقي كالعناد والبغض والحسد. . . ، مما يجعل التضامن مجرد دعم لفئة معينة مهما كلّف الامر بلا تحسب للعواقب الناجمة عن ذلك وبلا تفكير بالنتائج وبمدى موافقة العمل للروح الاسلامية التي يفترض أن يعيشها المسلمون بما يعني التخلي عن مبدأ مراقبة الله تعالى والخوف منه، كما يعني الانسياق وراء الهوى والاعتبارات الضيّقة والمواقف المرتجلة المصلحية أو العصبية.

فالدعوة لأن تُتخذ المواقف والانتماءات بعد معرفةٍ تامةٍ بجهة الولاء للفئة المدعومة والمركون اليها إذ لو تبين أنّ العمل معهم يكون على حساب الدين والعقيدة لتعددت التبعة وموارد الادانة على المناصر المتضامن الراضي بالفعل: تبعةُ قيامِهِ بالعمل مع انه غير مقبول، وتبعةُ الرضا والموافقة عليه.

وهذا يجعل الواحد منّا يتأمل في اختياراته في الحياة وتوجهاته وانتماءاته ولا يكون (إمّعَةً) سائراً وراء غيره في دربٍ شائك يأتي عليه بالعقوبة والوزر والإثم. إذ المعادلة واضحة وقائمة على كل حال فمَنْ يوافق على الأعمال الايجابية و النافعة فيحصل على جزء من الأجر لاجل تضامنه، ومَنْ يشترك في الأعمال السلبية والضارة فعليه إثم الموافقة وإثم المشاركة.



◀ ٧٣ - قال عليه السلام :

رُبَّ[١] قول أنْفَذ[٢] من صول[٣].

الدعوة إلى التحفظ جيداً في الكلام وما يواجه به الانسانُ الآخرين من منطق، لأنّ كثيراً ما يكون وَقْعُ الكلمة أشد من الضربة ويبقى أثرها السيء في النفس طويلًا فينبغي له اختيار الكلمة وعدم الانسياق وراء الحالة النفسية والعصبية على أساسٍ من الاعتزاز بالنفس أو الاغترار أحياناً لأنّ ذلك يورّط كثيراً في مسائل غير محسوبة العاقبة، ويترك انطباعاً سلبياً لدى الآخرين، ويؤدي إلى تشنجٍ في العلائق العامة مما يضعف البنية الاجتماعية فيفقدها حالة الود والوئام والصفاء والانسجام.

إذن نحن بحاجة ماسة لأن ننتقي مفردات الكلام ونحسب حساب المقابل بلا تهور أو تسرع، وهذا ما يلزمنا أن نحاول معه لنتعوده مستقبلًا.

---

(١) رُبَّ: حرف جر للتقليل أو التكثير حسبما يستفاد من سياق الكلام، ولا يدخل إلاّ على نكرة وهو في حكم الزائد فلا يتعلق بشيء. المنجد ص٢٤٤ مادة (رُبَّ)، ويحسن مراجعة كتاب مغني اللبيب لابن هشام ج١ ص١٣٤ للاطلاع على المزيد.

(٢) أي أنفع وأكثر تأثيراً.

(٣) الصول: صال عليه استطال وصال عليه وثب..وصولةً أيضاً. مختار الصحاح ص٣٧٣ مادة (صول).

وفي المقابل حبذا لو استعمل القول في حالات لا تنفع المواجهة الحادّة لنكسب كثيراً ماديّاً ومعنوياً ولا نفرط بالارواح أو الأموال مع إمكانية دفع ذلك بالكلمة الطيبة المؤثرة.



◀ ٧٤ - قال عليه السلام:

رُبَّ مستقبِلٍ يوماً[١] ليس بمستدبرِهِ، ومغبوطٍ[٢] في أولِ ليْلِهِ قامت بواكيهِ في آخره.

الدعوة إلى عدم الاغترار بالدنيا وعدم الاعتماد على الصحة الجسمية أو المال أو الجاه...

لأنّ ذلك إلى زوال، إذ كثيراً ما نشاهد شخصاً اصبح وقد استقبل يوماً جديداً كان قد خَطَّط لأن ينجز فيه مهمات معينة ويقضي لوازم خاصة إلّا أنّه لا يُنهيه بتمامه بل يموت قبل آخره، وأيضاً كثيراً ما يكون الشخص مغبوطاً ومعدوداً من الاحياء ذوي الصحة أو المال أو الجاه... في ليلة من الليالي لكنه لا يتمّها وهو حي بل يُبكى عليه في آخرها وقد يتألم لفقده.

---

(١) منصوب على أنّه مفعول به لـ (مستقبل) الذي يعمل عمل فعله.

(٢) مغبوط: اسم مفعول من الغبطة وهي لغة (تمنيّ نعمةٍ على أن لاتحوَّل عن صاحبها). المنجد ص٥٤٤ مادة (غبط).

فاذا كان واقع الحياة هكذا فلا بُدَّ للعاقل أن لايأمنها ولا يخلق لنفسه متاعب في يوم الحساب ويحاول أن يكون مرضياً في افعاله لئلا يُغْضِب أحداً فيُذكر بخير ويُتأسف عليه.

إذن فالإمام عليه السلام يعرض حالتين يشهدهما الكثير من الناس مهما اختلفت مراتبهم أو اماكنهم أو زمانهم لأنّ ذلك أمر طبيعي للمخلوقين مما يجعل العاقل في حالة تأمل ليُقدم على مواقف قد انسحب عنها لحسابات دنيوية، وليتراجع عن مواقف قد أقدم عليها لحسابات دنيوية لأنه قد رأى عياناً المصير المنتظر والحالة التي يؤل اليها كل أحد.



◀ ٧٥ - قال عليه السلام:

رُدّوا الحجر من حيث أتى، فأنَّ الشر لايدفعه إلاّ الشر.

الدعوة إلى المواجهة عندما يقتضي الأمر ذلك وعندما يكون الأصلح دفع الشر بمثله لأنّ على الإنسان في المواقف الحساسة الموازنة بين الربح والخسارة معنوياً ومادياً ليجد هل المهادنة أصلح وانفع لحال الأمة أم المواجهة والمدافعة؟ وليس المفروض دائماً هو الحل الأول بل على المؤمن أن يرد الشر من حيث اتى إذا لم تنفع الحلول السلمية فإنَّ الخير ليس من فصيلة الشر ليدفع به بل يدفع بالشر. نعم، لو كان من الممكن اللجوء إلى حل سلمي بوسائل

الخير الممكنة لكان ذلك حتماً وهو المفضَّل ولكن المفروض أنّ الحالة تأزمت بما لاينفع معها الحل السلمي فيتحتم الدفاع والدفع بالمثل ليأمن عادية الاشرار ولئلا تكون تلك نقطة ضعف ليستفيدوا منها في التغلب على المؤمنين.

وقد يستفاد ضمناً من هذه الحكمة أن على الإنسان أن لا يزيد على مقدار دفع الاعتداء ورد الاساءة للمسيء من دون ما مجاوزة عليه أو على منتسبيه لئلا تكون الاحقاد والاضغان ولئلا تخرج القضية عن مسألة رد الكرامة إلى مسألة معاداة.



◀ ٧٦ - قال عليه السلام:

الرزق رزقان: رزق تطلبه، ورزق يطلبك فانْ لم تأته أتاك، فلا تحمل همَّ سنتك على همّ يومك، كفاك كلَ يومٍ ما فيه، فان تكن السنةُ من عمرك فإنَّ الله تعالى سيؤتيك في كل غدٍ جديد ما قَسَمَ لك، وإن لم تكن السنة من عمرك فما تصنع بالهَمِّ لما ليس لك، ولن يسبقك إلى رزقك طالب، ولن يغلبك عليه غالب، ولن يبطئ عنك ما قد قُدِّرَ لك.

في هذه الحكمة الشريفة مضامين عالية جداً وعلاجات لحالات اقتصادية يعاني منها السوق العالمي عموماً ويحاول الخبراء تقديم

دراسات حولها ومن أجل السيطرة على الحاجة البشرية ولسدّ الاحتياج ولمواجهة التضخم السكاني وازدياد البطالة و. . و. . . مما كثر طرحه على الساحة.

فاننا نجد الإمام عليه السلام يبدأ مع الإنسان بداية مطمئنة يبحث عنها كل واحد وهي ضمان وصول الرزق اليه الذي هو: كل ما ينتفع به الإنسان من لوازم حياتية ضرورية لبقائه كالأكل والشرب والدواء والملبس والسكن والمواصلات و. . و. . .

ثم أكد أنّ ما لاينتبه إليه الإنسان من موارد دخل ومصادر توفر له تلك اللوازم يأتيه بكل تأكيد لأنّ الله تعالى تكفل بذلك للمخلوقين. فلم يكن لتنَبّه الإنسان دورٌ في وصول الرزق إليه بل يصله حتماً.

وبناءً على ذلك - الضمان - فلا داعي للقلق ولا للتحسب للمستقبل وما يحمله من مفاجآت وازدياد في السكان أو البطالة عن العمل. . .

إذ المدة التي يعيشها الإنسان غير معلومة فإذا أراد استباق الاحداث والزمن فكم يخزن؟ والى متى يبقى على تلك الحال؟ وفي أي مكان يبحث أو يطلب؟ . . . وغيرها من الاسئلة التي تتوقف الاجابة الصحيحة عليها على تحديد أمد بقاء الإنسان في الحياة.

إذن لا موجب لأن يهتم الفرد - كبيراً أم صغيراً، رجلًا أم امرأة، مكفولًا أم غير مكفول - ويفكر فيما يأتي لأنه غير مضمون له البقاء حتى ذلك المستقبل.

ثم طَرَحَ عليه السلام مسألة مهمة وهي أنّ كل يوم يعيشه الإنسان يحمل معه عدداً من القضايا التي تشغل وقت الإنسان وتنسيه حرصه على ممارسة طبيعته البشرية مضافاً إلى أنّ ذلك اليوم قد حُدِّد للانسان فيه مقدار معين يكفيه فلماذا استباق الزمن. ويترتب على جميع ذلك أنّ السنة بما أنّها تعني المدة الطويلة التي يفكر الإنسان في ضمان رزقه فيها إن كان مقرراً له البقاء فيها في الحياة فالحالة الطبيعية للضمان الآلهي ستتكرر يومياً وبشكل تلقائي من دونما مداخلة من العبد، واما إذا لم تكن السنة من ضمن المقرر للبقاء فيه فلماذا يهتم الإنسان لشيء قد لا يبلغه ويضيف اليه قلقاً بما يجعله مستوفز الاعصاب دائماً.

ثم بيَّن عليه السلام حقيقة لتطمئن اليها النفوس وليخفف بها عن الإنسان الذي تضغط عليه عوامل نفسية - داخلية - بحسب طبيعته وهو أنّ ما قَسَمَهُ الله تعالى من الرزق لمخلوقٍ لا يكون لغيره ابداً ومهما كان الجهد المبذول لاستخلاصه من المقسوم له - والشواهد على ذلك كثيرة - بحيث لا يحول البُعد المكاني أو الزماني عن الوصول بالوقت المقرر فيه.

فاذا تيقن الإنسان المؤمن بذلك عرف أنّ المستعجل لا يحصّل فوق المقدّر له، والبطيء لا يذهب عنه شئ إلى غيره، نعم على الإنسان أن يبذل الجهد المناسب ومجال العمل الذي يكون رزقه منه لأننا نعرف أنّ لا وسيلة لإمداد المخلوقين بالرزق بشكل محسوس

معاين إلّا بالوسائل الاعتيادية من الاعمال والمهارات التي ينتجها الإنسان بمختلف انحائها المشروعة.

فاللازم على الإنسان أن يؤمن بأنّ الله تعالى خلقه وتكفل برزقه وجعل مفتاح ذلك عند العبد بأن يسعى في سبيل الحياة بما يديم النفع للآخرين ويحصل بالمقابل على ما يسد به حاجته بما يتناسب والزمان أو المكان فقد يكون الرزق بالمال (النقدي) أو العيني من الاعواض والاعيان.

ومن الجدير بالذكر أنه عليه السلام اهتم بهذا الجانب معرفةً منه بأنّه جانب يكثر الاحتياج إلى استيضاحه لأنه يتصل ببقاء الإنسان في الحياة الذي يسعى دائماً اليه.



◀ ٧٧ - قال عليه السلام:

رسولُك[١] ترجمانُ[٢] عقلك، وكتابُك أبلغُ ما ينطق عنك.

يحتاج الإنسان في بعض أدوار حياته إلى مَنْ ينقل افكاره ويؤدي عنه ما يريد بيانه للآخرين ممن لا يمكنه مخاطبتهم فيستعين على ذلك بارسال مبعوث ينقل عنه رسالته المعينة، أو بكتابة ما يريده تحريرياً.

---

(١) الرسول: المرسَل. المنجد ص٢٥٩ مادة (رَسَلَ).

(٢) الترجمان: المبلِّغ. اقرب الموارد ج١ ص٧٥ مادة (ترجم).

ومن هنا نجد أنّ الإمام عليه السلام يدعو:

الى اختيار المبعوث اختياراً دقيقاً لأنّ تصرفاته وأقواله ستكون محسوبة على مَنْ بعثه واختاره وتكشف عن بعض ما للمرسِل من قابليات ومؤهلات مما جعله ينتقي اشخاصاً مؤهلين اكفاء كهذا الرسول.

وأيضاً عندما يكتب شيئاً لا بُدَّ من أن ينتقي كلماته لأنها تعبّر عما بداخله وتبلّغ مكنون ما يريد، وبخلاف ذلك يُحكم عليه سلباً حتى لو كان مقصوده عالي الجودة والمضمون.

لأنّ الناس بطبيعة الحال لا يستكنهون ما بذهنه ولا يكشفون ما في ضميره من مقاصده إلّا من خلال واسطة التعبير الموصلة. اذن فمن الضروري جداً عدم التعجُّل أو الخضوع لعوامل معينة قد تمليها الظروف المحيطة بالشخص، لأن ذلك مما يبقى أثره في النفوس مدة طويلة.

وأخذاً بهذه الحكمة نجد أنّ العقلاء قد اتفقوا على أن يدققوا فيمن يمثلهم في مناسبات تقتضي ذلك، ومن ذلك السفراء المبعوثون ممثلين عن دولهم لأنّ الطرف المقابل يكوّن انطباعاً عن الجهة المرسلة من خلال سفيرها، وكذلك القارئ يكوّن انطباعاً عن الكاتب من خلال كتابه وما حررّه مهما كان قليلًا.



◀ ٧٨ - قال عليه السلام :

الركون[١] إلى الدنيا مع ما تعاين[٢] منها جهلٌ، والتقصير في حسن العمل إذا وثقت بالثواب عليه غبْنٌ[٣]، والطمأنينة[٤] إلى كل أحدٍ قبل الاختبار عجز.

الدعوة إلى الالتزام بثلاثة أمور والعمل في الحياة عليها مع استيعابها لتتركز في القلب فيكون الالتزام بها والعمل على وفقها نابعاً من الصميم مما يعني التصميم والعزم ليكون مترسخاً يساير الإنسان في مراحل حياته كافة فلايغترّ بحالة فيضيّع واحداً من هذه الثلاثة ويخسر ولا ينفع الندم. . .

الأمر الاول: الحذر من الدنيا لأنّ الشواهد على زوالها وفنائها وعدم استدامتها لأحد كثيرة جداً متسلسلة بحسب الزمان ومتعددة بحسب المكان، فلو أمِنَ منها الإنسان فانما يكشف ذلك عن جهله وعدم معرفته لأنّ الواعي مَنْ يعي التجارب ويتعظ بها لئلا يحدث ذات الشيء معه، إما إذا أسس بنياناً وشاده على أساس الثقة بالدنيا وأنّها تدوم ولا تتغير مع الشخص الواحد مرات ومرات. . . فذاك الإنسان هو الجاهل.

---

(١) ركن إليه ركوناً: مال إليه وسكن ووثق به. المنجد ص٢٧٨ مادة (ركن).
(٢) عاين عياناً: رآه بعينه. المنجد ص٥٤١ مادة (عين).
(٣) الغَبْن: ضعف الرأي، الخديعة في البيع والشراء. المنجد ص٥٤٤ مادة (غبن).
(٤) الطمأنينة إليه: سكن وآمن له. المنجد ص٤٧٣ مادة (طَمْأَنَ).

الأمر الثاني: زيادة القدرة في العمل مع توافر الضمانات الكافية للمواصلة من الحوافز والتشجيع وما إلى ذلك مما يُعَبَّر عنه بالثواب الذي هو (الجزاء على الاعمال خيرها وشرها، وأكثر استعماله في الخير)[1] بما يوفر الروح الحماسية لدى العامل ليستمرّ في العمل والانتاج ويتواصل بابداع وتفوقٍ، فاذا كان كل ذلك - الثواب - مضموناً ولم يعمل الإنسان فهو مما يدل على ضعف رأيه وعدم معرفته وانعدام الفكر الصائب لديه لأنّ كل ذلك من المحفزات، والتقاعس عنها يعني الخسارة الناتجة عن الانخداع بامر موهوم.

ونجد أنّ الله تعالى أعدّ للمؤمنين به ثواباً جزيلًا - في الدنيا أو الآخرة - بمختلف الاشكال المناسبة لحالة العبد المؤمن أو المؤمنة فاذا تخلّى عن الاهتمام بما يفيض عليه ذلك الثواب فإنّما يشكّل عليه علامة سلبية لا تخدمه... لأنه ترك المضمون وتابَعَ الموهوم.

الأمر الثالث: لزوم التريث في إقامة العلاقات الاجتماعية على مختلف المستويات: الفردية، الجماعية، العائلية، العملية، ... لأنّ التعجُّل في ذلك يؤدي في كثير من حالاته إلى الندم واكتشاف المساوئ في الطرف الآخر والتي قد تسيء إلى سمعة الإنسان نفسه، ولا يعني هذا التخلي عن قاعدة (حُسن الظن) بل يصلح ان يكون تأكيداً لها ودعماً من جهة مُسانِدَة إذ لو انساق الإنسان وراء ظنه الذي

---

(١) المنجد ص٧٥ مادة (ثاب).

يعتبره حَسَناً لأمكن حدوث مشكلات ومشكلات كان يمكنه تفادي الوقوع فيها. فاللازم اخضاع الطرف المقابل، للفحص والاختبار بالوسائل الطبيعية التي تستظهر سرائره وما ينطوي عليه من روحية وعقلية لهما كبير الاثر في تكوين شخصيته.

فإذا لم يكن ذلك وأقبل الإنسان متلهفاً وراء اقامة المزيد من العلاقات الثنائية أو الاكثر على مختلف المجالات لأصطدم بالواقع المؤلم فيعرف انه كان عاجزاً عن اجراء العمل الطبيعي وهو دراسته تجريبياً بما يكشف قناع المجاملات وقضايا التعارف الاجتماعي.

فالالتزام بالحذر من الدنيا بأن يتوازن في الاقبال اليها والادبار عنها نحو الآخرة التي هي الأبقى. وبالمثابرة والسعي لأن وراء ذلك الثواب المضمون. وبالاختبار قبل اختيار كل أحد، يوفر-هذا الالتزام بالامور الثلاثة - الحماية الكافية للانسان ليعيش خلوّاً من المكدرات والمنغصات.



حرف الزاي

◀ ٧٩ - قال عليه السلام:

زهدُك في راغبٍ فيك نقصان حظٍ، ورغبتك في زاهدٍ فيك ذل نفس.

إنّ على الإنسان الذي يسعى نحو التكامل أن يعيش العقلانية في حبّه وبغضه، ولا يترك الأمر وراء عاطفته وإن كان لها اكبر الأثر، إلّا أن مَنْ يريد السيطرة عليها يمكنه ذلك هذا على مستوى،

ومن مستوى آخر إنّ على الإنسان أن يُخْضِعَ حبّه وبغضه لشخص، لعملية جمع وطرح ليرى الناتج بصالحه أو تكون النتيجة أنّه مغفّل.

فالدعوة لأن نحبّ، ونرغب، ونريد، مَنْ احبنا ورغب بنا وأرادنا وإلّا لكان الإنسان قليل الحظ إذ لو لم يقابل المحب والراغب بالمثل لنَفَرَ عنه تدريجاً وابتعد إلى غيره وبهذا خسر صديقاً صدوقاً.

وأيضاً علينا أن لا نرمي بانفسنا وراء مَن ابتعد عنا ورفض علاقتنا واعرض فاختار الغير بديلًا لأنّ ذلك الاختيار غير المتكافئ يؤدي إلى الذل والهوان وهو ما لا ينبغي للانسان ان يختاره.

وهذه دعوة لو التزمناها وسرنا على ضوئها لقلّ التنافق الاجتماعي والتكاشر بين الافراد.

ثم أن (المكاشرة) وهي من أبرز مصاديق النفاق وتعدد الأوجه مما تضيف للمجتمع داءً وبيلًا نستجير بالله منه، وتلقي بظلالها الثقيلة القاتمة على ارجاء المحيطات كافة التي تتولد فيها سواء الاسرة أو المدرسة أو المؤسسة أو. .أو. . . ولذا كان لزاماً التحذير من مخاطر النفاق والمكاشرة. . .



حرف السين

◀ ٨٠ - قال عليه السلام :

السخاءُ ما كان ابتداءً فأما ما كان عن مسألة فحياءٌ وتذممٌ[١].

الدعوة إلى الجود والعطاء، باسلوب مختلف عما تقدم ويأتي في كلامه عليه السلام ، وهو إنّ العطاء الابتدائي لا عن طلب وسؤال هو الذي يستحق اطلاق وصف السخاء عليه، واما إذا كان العطاء لحفظ الشأن ولئلا يُنبز بالبخل وعدم الكرم فهو حفظ كرامة وابقاء لماء الوجه - كما يقولون - فالآخذ صاحب الفضل حيث اتاح للدافع فرصة أن يكون ذا يد وجميل عليه لأن ذلك صيانة لسمعة الدافع لئلا يقال في حقه ما لا يليق به.

وعلى أيّ حال، فالعطاء من القضايا التي تتسم بطابع انساني واسلامي. أمّا الانساني فعلى الإنسان الغيور أن لا يترك اخاه الإنسان في ضائقة مع امكانه أن يسعف حاجته ويواسيه بما رزقه الله تعالى.

وأمّا الاسلامي فلأنّ الاسلام اهتم كثيراً بأن يكفل حاجة المسلم

(١) تَذَمّمَ منه: استنكف واستحيا. المنجد ص٢٣٧ مادة (ذمَّ).

ويضمن له تأمينها عن طريق المجعولات الشرعية على المال بانواعه كافة وبمختلف اشكال الجعل كالزكاة والكفارات والصدقات والمال مجهول المالك وغير ذلك مما يُتعرض له في المصادر الفقهية.

إذن نحن مدعوون لتحمل المسئولية والتكاتف والتآزر والمعونة لكلٍ حسب وضعه الاقتصادي والاجتماعي فلا نرهق كاهِلَ أحد على حساب أحد.



◀ ٨١ - قال عليه السلام:

سوسوا[١] إيمانكم بالصدقة، وحصنّوا اموالكم بالزكاة، وادفعوا امواج البلاء بالدعاء.

الدعوة إلى الالتزام بثلاثة امور مهمة لديمومة الحياة للفرد وللمجتمع:

الأمر الاول: التصدق على الفقراء وذلك يعني امرين **اولاً**: حفظ الايمان والالتزام بما يمليه من التزامات تجاه الفقراء. **ثانياً**: استدفاع الشر واستجلاب الخير لأنه كما ورد في الحديث أنه (قال رسول

(١) سوسوا: فعل امر مشتق من السياسة والتي تدور معانيها المتعددة حول القيام بالشيء والتزام الاصلح به واستصلاحه بما يحفظه. لاحظ المنجد مادة (ساس) واقرب الموارد ج١ ص٥٥٧.

الله ﷻ الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا مَنْ في الارض يرحمكم مَنْ في السماء)[١].

إذن الصدقة تعني المواصلة على خط الايمان والتفاعل معه روحياً وعملياً بما للمواساة من معنى لايتأتى للكثير تطبيقه.

ومن الجدير بالذكر أنّه قد ورد في بعض المرويات عن الإمام علي عليه السلام أنه (مَرَّ بالسوق فنادى باعلى صوته إنّ أسواقكم هذه يحضرها أيمان فشوبوا[٢] أيمانكم[٣] بالصدقة فان الله لايقدس مَنْ حلف بإسمه كاذباً)[٤] وعلى تقدير صحة النقل وسلامة السند يمكن فهم شيء آخر وهو أنّ الدعوة لاستدفاع الآثار المترتبة على كثرة القَسَم خصوصاً وأنه منهي عنه في عدة روايات[٥]. فلاجل تخفيف التبعات كان الأمر بالصدقة، ولكن لم أجد حسب ما لدي من النسخ المتوفرة فعلًا من نهج البلاغة ما يؤكد هذه الرواية، نعم يوجد تشابه

---

(١) جامع الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذي مج٣ ص١٢٢.

(٢) أي اخلطوا.

(٣) الأيمان جمع اليمين القَسَم.

(٤) الجعفريات ص٥٨ المطبوع مع كتاب قرب الاسناد، ونحوه رواه الشيخ الصدوق مرسلاً في كتابه «من لايحضره الفقيه» ج٣ص١٣١ب٦١ التجارة ح١٤ رقم٥١٨ بلفظ: (وقال عليه السلام: يامعشر التجار شوبوا أموالكم بالصدقة تكفّر عنكم ذنوبكم وأيمانكم التي تحلفون فيها تطيب لكم تجارتكم).

(٥) لاحظ وسائل الشيعة ج١٦، ب١، ص١١٥-١١٧.

بين كتابة (سوسوا) و (شوبوا) كما أن هناك بعض القرائن التي تؤيد الفكرة. ومع ذلك كله يبقى في دائرة الاحتمال والاطروحة.

الأمر الثاني: دفع الزكاة المفروضة... في العملة[1] النقدية ذهباً أو فضة التي كانوا يتعاملون بها سابقاً. والحيوانية (الانعام) ابلاً وبقراً وغنماً.

والغذائية (الغلات) حنطة وشعيراً وتمراً وزبيباً. على تفصيل يذكر في المصادر الفقهية فالالتزام بذلك وعدم التغافل عنه واخراج المقدار اللازم شرعاً يوفر حماية لما بقي، بحيث تُحَصَن الاموال ويُدْفَع عنها ما يُخاف شره كالحرق أو السرقة أو الحسد أو نحو ذلك مما يحذر منه الإنسان إلّا إذا شاء الله تعالى امراً - والذي لا يكون إلّا لسبب - ويمكننا أن نتفهم كيف تكون الحصانة من خلال الفهم الطبيعي للانسان، فنجد أنّ اخراج المقدار الخاص وتوزيعه على الفقراء يوفّر فرصة العيش لهم فلا يهم أحد بسرقة شئ ولا تصيبه حسرة ولا يفكر في اعتداء مهما كان نوعه، لأنّ كل ذي نعمة محسود فاذا أدّى ما عليه من الحق الشرعي بدفع مقدارٍ ليتقوت به الفقير فقد أمّن هذا الجانب إلى حد كبير.

ولا تقاس الامور بالأمر الشاذ فقد يصادف أن يصيب المكروهُ الملتزمَ بتطبيق التعاليم الشرعية بينما غيره لا يصاب، وهذا من خطل

(١) ولا تشمل العملات القديمة المتبقية كالليرة التي لا تستعمل إلاّ للزينة ونحوها وكذلك لا تشمل العملات الورقية الحالية ولو كان غطاؤها الذهب.



التفكير لأن الله تعالى غني عن طاعة من اطاعه كما لا تضره معصية مَنْ عصاه وقد ورد «ان الإنسان لا يبتلى إلّا بذنب عليه»[1].

الأمر الثالث: التوجه إلى الله تعالى والاقبال على الدعاء له تعالى ليصرف بقدرته كل سوء يخافه الانسان، فإنّ انواع السوء كثيرة جداً لا نتصور بعضها مما يستجد يوماً فيوماً ومما يتجدد بحسب المكان والحالة العامة. فالذي يؤمِّن الإنسان من هذه الانواع كلها هو الالتجاء إلى الله تعالى بالدعاء والتوسل ليكون الإنسان قريباً من ساحة عفوه وكرمه فيشمل عبده بحنانه وعطفه. ومن المعلوم أنّه تعالى اقرب الينا من حبل الوريد ولا يحجزه شيء عن شيء ولا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم... ولا...

فلا يظن الإنسان في أية حال كان فيها أنه بمنأى عنه تعالى فلا يسمعه ولا ينجده بل على العكس تماماً هو سميع مجيب لمن دعاه لكن لا بُدَّ من ان يكون الدعاء عن حضور قلب، وتوجه فكر. وليس دعاء الساهي اللاهي الذي يردد كلمات الدعاء وهو غافل عن محتواها أو غير مؤمن به أساساً فمن الطبيعي جداً أن لايستجاب دعاؤه لأنه لم يصِلْ أصلًا ولم يرفع.



(١) لاحظ تفسير مجمع البيان للطبرسي ج٩ ص٣١، وتفسير الدر المنثور للسيوطي ج٦ ص٩.

حرف الشين

◀ ٨٢ - قال عليه السلام:

شاركوا الذي قد اقبل عليه الرزق فإنّه أخلق[١] للغنى واجدر[٢] بإقبال الحظ عليه.

إنّ هذه الحكمة تستوقفنا كثيراً لما نجد فيها من مشاركة الإمام عليه السلام في المجال الاقتصادي بما يعني أنّه لم يكن مقتصراً على العبادة أو الحرب أو. . أو. . . مما يحاول البعض قصرَه عنده بما يُضَيّق سعة الأفق وميدان التحرك. بل الإمام متقدم في اصناف المعرفة كافة، فهو يمتلك فكراً قيادياً بمعنى الكلمة وبما يشمل شئون الدنيا والدين وليس بمقتصر في حدود معينة بما يترك فراغاً لدى المسلمين في جوانب عديدة مما يحتاجون إلى الخوض فيها بمقتضى اوضاعهم المختلفة باختلاف البلدان والعصور والمهن والمستويات الفكرية التي يمتلكونها. فالإمام عليه السلام ليس حكراً - إن صح التعبير

(١) أي أكثر فرصة معه.
(٢) أي أكثر توقعاً عنده.

- على فئة دون اخرى بل تنعمُ بالاستفادة من تعاليمه وتوجيهاته الأمةُ جمعاء، ومن هنا كانت هذه الدعوة إلى اختيار الشريك المحظوظ في العمل، هادفاً إلى عدة جوانب منها :

١ - أن لا يبتلى المسلمون بالفقر من خلال الركود في السوق التجارية.

٢ - أن لا تكثر البطالة، بل اعطاء فرص للعمل بما يخدم أكبر عدد ممكن.

٣ - أن لا يتأخر الوضع الاقتصادي للسوق الاسلامية بصنوف التعامل المحلل شرعاً كافة.

لأنّ من الملحوظات التي يبديها البعض ممن لم يفهموا الامر على حقيقته: أنّ غير المسلمين - عموماً - متقدمون في مجالات العمل والتجارة أكثر من غيرهم وقد يؤدي هذا إلى نتيجة: أنّهم أنجح وأفضل واكثر كفاءة و. . و. . مما لايكون صحيحاً في واقع الامر إلّا إنّ عدم تعامل بعض المسلمين بالتعاليم الصحيحة يترك فرصة لأن يقال هذا وامثاله ويُروّج له.

فاذا اعطى المحظوظ في عمله فرصةَ مشاركته للغير حقق مكسباً مهماً بما يخدم مصلحته ومصلحة غيره من الافراد والمجتمع فالكل قد تموّج بالعمل وتحركت عجلته بما يعطي مردوداً ايجابياً من الربح والنماء والاكتفاء الذاتي - احياناً - و. . و. . .

أذن هذه الحكمة تصلح لأن تكون منهجاً ينفع في مجال تدعيم اسس الاقتصاد للسوق الاسلامية بما ينمّي ويرفع المستوى، ويقلل من فرص التعطل عن العمل وما يسببه ذلك من مشكلات اجتماعية تترك اثرها السيء على المجتمع.

وقد عرفنا من كل ما تقدم أنّ التعلل بالحظ أو النصيب أو القسمة أو الرزق أو التوفيق... مما يردده الكثير من شرائح المجتمع إنّما هو نتيجة الفشل وعدم متابعة الامر بشكل جدّي والّا فالله تعالى قَسَمَ الخير للجميع واتاح سُبله بما يوفر لكلٍ تأمين وضعه الاقتصادي في الحياة ويكون محفوظ الكرامة.



◀ ٨٣ - قال عليه السلام:

شَتَّان[١] ما بين عملين: عمل تذهب لذته وتبقى تبعته[٢]، وعمل تذهب مؤنته ويبقى أجره.

كل انسان مسئول عن تصرفاته واعماله الايجابية والسلبية ولا بُدَّ من تبيان الامور وتوضيح عواقبها بما يجعل عملية الاختيار وليدة قناعة بجدوى العمل واثره.

---

(١) بمعنى بَعُدَ. المنجد ص٣٧٣ مادة (شتتّ).

(٢) التبعة: ما يترتب على الفعل من الخير أو الشر، إلاّ أنّ استعماله في الشر أكثر. المنجد ص٥٩ مادة (تَبَعَ).

والحكمة تبيّن الامر وتوضح عاقبته ليحسن اختيار الإنسان ويتبصر فلا يكون عمله نتيجة حالة ضغط معينة كالحاجة أو الخوف أو الوعد أو الوعيد أو تلبية الرغبة. . .

وقد كان التبيان والتوضيح في الحكمة باسلوب رائع من خلال اعطاء المقومات لكل عمل مع عدم اغفال نقطة الضعف.

١-فالعمل الاول وهو العمل غير الصالح (الطالح) الذي يخرج في اطاره العام عن حدود المقبول الشرعي فلا يكون إلّا مجرد تلبية رغبة مؤقتة مع عدم مراعاة العاقبة ولذا تبقى الآثار السيئة من: المساءلة والمعاقبة والمصير المخزي تلاحقه بعد انتهاء الوقت والعمل.

وهذا نوع مما تمارسه مجموعة ليست بالقليلة من الناس انطلاقاً من أساس التنفيس عن الكبت الداخلي في اشباع الغريزة سواء في الاكل أو الشرب أو الجنس أو الملابس أو الثروة. . . مما يتعدى فيه الإنسان فيمارس اعمالًا غير مقبولة شرعاً فتذهب لذته وما استفاده الإنسان مع بقاء الحساب العسير. . .

ومن الطبيعي أنّ هذا النوع من الاعمال - وهو غير الصالح - لايقتصر فيه على اعمال بعض الاعضاء دون بعضها الآخر بل يتساير مع الجميع وينتج عن الجميع فقد يشبع الإنسان رغبته من خلال الأذن أو العين أو الفم أو الانف أو اليد أو سائر الاعضاء التي لها منافع معينة تلبي حاجة الانسان.

٢-والعمل الآخر وهو العمل الصالح فإنّه يتسم بانسجامه مع التعاليم الشرعية وعدم خروجه عن الحد المقبول شرعاً وغالباً ما يعاني الإنسان ازاء تنفيذ هكذا عمل بعض المعاناة الفكرية أو العضلية حتى يتمّ وينجز ولكن إذا ما اتّجه صوب الدار الآخرة فإنّه يجد ما يقر عينه ويؤنس نفسه ويبهجها من الجزاء الحميد والثواب والاجر بما ينفعه في الوصول إلى درجات مهمة ومنازل يتمنى كل أحد الوصول اليها فقد يكون من الصابرين أو الصالحين أو الشاكرين أو العافين أو العلماء أو الحلماء أو الكاظمين الغيظ أو البارّين أو الوجلين من الله واليوم الآخر أو... من درجات ومنازل لا يصل اليها الإنسان إلّا بعد عمل دنيوي وجهد كبير لتكون العاقبة حميدة ولصالحه...

فالدعوة إلى أن يبتعد الإنسان عن العمل الطالح السيء لئلا يتورط بالمساءلة والمؤاخذة... وإلى أن يعمل العمل الصالح الخيري ليحظى بالاجر والثواب...



◀ ٨٤ - قال عليه السلام:

شرُّ الاخوان مَنْ تُكلِّفَ له.

يستفاد من سياق الحكمة ارادة الاصدقاء والاصحاب من (الاخوان) وليس الاخوان الذين يجمعهم مع الإنسان صلبٌ ورحمٌ وإن كانوا داخلين تحت العموم إلّا أنّ الانصراف إلى اولئك.

فالدعوة إلى اتخاذ قاعدة ينفع السير عليها في العلاقات الاجتماعية وما تفرضه من مجاملات و آداب تختلف باختلاف الازمان والبلدان والأعراف والمناطق. . . قد ترهق الإنسان بقيودها والتزاماتها وما تحتمه من حالات الضيافة أو غيرها مما يحتاجه الصديق وتكلفه المال أو المواقف، ويمكن تبيان القاعدة بأن يترسل الإنسان ولا يشق على نفسه ولا يتكلف أمراً غير ميسور له بل يسير بحيث لا يُخل بالطرف الآخر ولا يجهد نفسه لان العلاقة الصحيحة ليس من مقتضياتها التكلف وطلب غير المقدور بل مبنية على السهولة والاغضاء عن التقصير ان وجد وترتيب العذر - لو أمكن-، فاذا ابتلي الإنسان بمَنْ يثقله بالكلفة الزائدة والاهتمام المبالغ فيه والمحافظة على رضاه بالشكل الخارج عن المتعارف فذلك إنسان سلبي لا يستحق الصحبة واقامة العلاقة الودية معه.

واحسب اننا لو التزمنا بهذه الحكمة وحاولنا السير على موجبها فستقلّ حالات فشل العلاقات الاجتماعية بشكل ملحوظ لأنّ الذي يؤثر سلباً على العلاقات هو التكلف والتصنع فيها فاذا استبعدنا ذلك، فالنتيجة: وجود اخوان للانسان ليساعدوه على نوائب الدهر، ويجد فيهم اصدقاء اوفياء مخلصين يحس ذلك من مواقفهم وعواطفهم.

إذن فالدعوة إلى استبعاد كل ما يعرقل مسيرة الصداقة والتقاليد المثقلة لكاهل الصديق.



◀ ٨٥ - قال عليه السلام :

الشفيعُ جناحُ الطالب.

اذا استعصى امرٌ على الإنسان فانه يلجأ إلى ابتغاء حلّه بعدة طرق وأشكال، فاذا كان الأمر المستعصي متعلقاً بانسان آخر فيحاول أن يطلب عون ثالث ويسمى الشفيع ليؤثر في حل القضية وإنجازها.

وهذه قضية عرفية قلّ أن يخلو منها مجتمع من المجتمعات المتحضرة أو غيرها ولكن من الامور التي تواجه المعين (الشفيع) هو الردّ والرفض وعدم الاحسان له بقبول سعيه وتمرير القضية لأجله.

فالدعوة إلى أن يتعقل المشفوع لديه القضية ويتقبل الشفاعة لأنّ بالشفيع يصل المستشفع إلى مراده فهو بمنزلة الجناح الذي له دور كبير في عملية طيران الطير فكذلك الشفيع له دور فعّال في انجاح المساعي فلا بُدَّ للاطراف الثلاثة صاحب الحاجة والمستشفَع لديه والشفيع ان يقدّروا الحالة ويتجاوبوا بالمقدار الممكن من دون ما عرقلة أو طرح مثبِّطات مما تحكم على المطلوب بالفشل.

وأيضاً عدم تناسي دور المحسن (الشفيع) ليتشجع على فعل المعروف والتجاوب مع أصحاب الحوائج وطالبي الشفاعة الآخرين.

فلإبراز دور (الشفيع) وأهميته مهما كان مستواه الاجتماعي أو أهمية العمل المنجَز كانت هذه الدعوة الكريمة فليْتنا نستوعبها عملياً ونسير على منهجها.

حرف الصاد

◀ ٨٦ - قال عليه السلام:

صاحب السلطان كراكب الأسد يُغبط[1] بموقعِهِ وهو أعلم بموضعِهِ.

الدعوة إلى الابتعاد عن مراكز النفوذ والسلطة، لحساسية الموقع وما قد تستجلبه على الإنسان من متاعب دنيوية أو اخروية، ولا يمكن لأحد الوثوق التام بولائه للسلطان لأنّه يقرّب ويبعّد مَنْ تقتضي المصلحة والسياسة تقريبه وتبعيده، وليس على ضوابط ثابتة بل تتغير بأدنى حالة أو زلّة، فإنّ المطلع على اسرار السلطان لا يأمن على حياته لأنه لا بُدَّ من السيطرة عليه لئلا يفشي شيئاً منها.

وكذلك يكون - المطلع على اسرار السلطان - مغبوطاً من الآخرين على أساس أنّه قريب من السلطان مما يعني تمكنه من تحقيق رغبات وأماني الآخرين ولكنه يعرف اشياء توقفه دون السعي

(١) الغِبْطَة: تمنّي نعمةٍ على أن لا تحوّل عن صاحبها. المنجد ص٥٤٤ مادة (غبط).



وراء تحقيق أماني الغير وقد يداري - احياناً - وضعَهُ ومنصبَهُ وبقاءَهُ على تلك الحالة فلو مشى قدماً في طريق قضاء الحوائج أو الشفاعة للمظلومين أو.. أو... مما يتوقع من صاحب السلطان فسوف يجابه بالرد وتقليص الصلاحيات - أن وجدت - لئلا يتطور وضعه نحو الأحسن فيكسب من خلال منصبه أصدقاء ومعارف قد يهتفون باسمه في يوم مّا وهذا ما لايروق للسلطان بطبيعة الحال.

فالحكمة تشير بوضوح إلى أنّ على العاقل أن لايأمن من صحبة السلطان أو إقباله على أحد وقد مثّل لذلك بمَنْ يتمكن من ركوب الأسد وهو الحيوان المفترس الذي يُهاب شكله من البُعد فضلًا عن الاقتراب منه والركوب عليه وجعله مطية تمتطى، الذي يعني أقصى حالات السيطرة والتمكن إلّا أنّه - الراكب - يعرف حساسية موضعه وأنّه معرَّض في أية لحظة إلى ان ينفر به الأسد وينقضّ عليه، مفترساً له ولا ينفعه وقتئذ إذا خسر عمره غبطةُ الناس وتمنيهم الحصول على موقعه وما يحمله من دلالات واشارات.

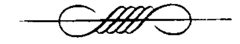
ومن المعلوم اكيداً أنّ صاحب السلطان إذا لم ينفذ امراً، أو عارض حالة ما، أو أبدى خلاف ما يرغبه السلطان، أو أُتهم بالمعارضة لأفكاره، أو وشى به أحد إلى السلطان أو.. أو... فإنّه يكون أقرب إلى الهلاك وأسرع إلى التشفي والانتقام منه.

مضافاً إلى أمر مهم جداً وهو أنّ السلطان معرّضٌ لنزول العذاب والبلاء بحكم ما يصدر منه من ظلم وغصب وانتهاك حرمات و..

و . . . مما يحتم عليه موقعه لأجل التأديب وفرض السيطرة واظهار القوة، ولكن كل هذه التبريرات لا تكفي لدفع نزول العذاب عليه وعلى مَنْ حواليه والمنتسبين اليه ممن يشهدون الظلم والتعدي والانتهاك ولا يعترضون أو يشفعون، مما يعني الخذلان والخوف من التغير عليه أو العقوبة فيكون مستحقاً للعذاب لأنه لم ينتصر لله تعالى فيما أمر به أو نهى عنه مما يعني رضاءه بالواقع وما يجري من أحداث.

فاللازم الابتعاد عن موقع الخطر وموضع البلاء لئلا يزجّ الإنسان بنفسه في حالات غير مأمونة العاقبة شرعاً. ونحن مدعوون للمحافظة على الرابطة الشرعية وعدم التفلّت منها وإلّا لانطبق عنوان العصيان مما ينذر بالخطر في يوم القيامة.

إذن صحبة السلطان قد تورط الإنسان في علاقته مع ربه ومع الناس.



◀ ٨٧ - قال عليه السلام:

الصبرُ صبران: صبرٌ على ما تكره، وصبرٌ عما تحب.

إنّ الصبر من الأمور الواضحة المعنى جماهيرياً، المجهولة القدر، الصعبة الحصول والتطبيق، لأنّ الإنسان لوجود بعض القوى المحركة للغضب والمثيرة نحو الانتقام تقلّ لديه فرصة التجلد وضبط

النفس وعدم الشكوى مما ألمّ به من نوائب الدهر، بل يُستثار بسرعة وتتأجج بداخله شعلة حب الانتصار والارغام للخصم فلا يصبر وهذا بشكل عام.

وقد ورد في القرآن الكريم ما يحثّ على الصبر في عدة من الآيات المباركة[1]، وأيضاً ورد في السنة النبوية الشريفة[2] ما يعزز

---

(١) قد ورد الترغيب على الصبر وبيان مزاياه في عدة من الآيات المباركة منها:
١ - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].
٢ - ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].
٣ - ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].
٤ - ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦].
٥ - ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ [القصص: ٥٤].
٦ - ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

(٢) قد ورد الحثّ على الصبر في الروايات الشريفة عن النبي وآله صلوات الله عليهم أجمعين منها:
١ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين فافعل، فإن لم تستطع فانَّ في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، واعلم أنّ النصر مع الصبر وأنّ الفرج مع الكرب، فإنّ مع العسر يسراً، إنّ مع العسر يسراً. (الوسائل ج١١ ص٢٠٩ ح٤).
٢ - عن أمير المؤمنين في وصيته لمحمد بن الحنفية قال: إلقِ عنك واردات الهموم بعزائم الصبر. عوّد نفسك الصبر فنعم الخُلُق الصبر، واحملها على ما أصابك من أهوال الدنيا وهمومها. (الوسائل ج١١ ص٢٠٨ ح٣). =

ذات الأمر بما يدعم الفكرة لتترسخ لدى المسلمين فلا يتعرضوا لحالات الضعف والاهتزاز بما يطوّر الوضع إلى ما لا تحمد عاقبته وما لا تُرْضَى أواخره.

ولما كان حصول الصبر بالحالة الثابتة لدى النفس بحيث لايجد الإنسان كثير معاناة لو اراد التحلي به كانت الدعوة إلى بيان الصبر وأنّه في موقفين:

الموقف الاول: عندما يواجه الإنسان حالة يكرهها ولا يريد الدخول في تفاصيلها، وللكراهة هذه أسباب تختلف باختلاف الزمان والمكان والحالة والخصوصيات الاخرى التي تترك آثاراً على الحالة بحيث يكرهها الانسان. فاذا ارغم الإنسان نفسه على التحمل وتمرير الحالة وتجرّع الآلام النفسية وغيرها - احياناً - بما يحقق معنى الصبر، يفوز بما وعد الله تعالى به الصابرين من الاجر والمثوبة والبشرى و﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

= ٣ - عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: الجنة محفوفة بالمكاره والصبر، فمَنْ صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة، وجهنم محفوفة باللذات والشهوات فمن اعطى نفسه لذتها وشهوتها دخل النار. (أصول الكافي ج٢ باب الصبر ح٧)

٤ - عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام قال: الصبر رأس الايمان. (اصول الكافي ج٢ باب الصبر ح١).

ويلاحظ صحيح البخاري ج٨ ص٣١. والترغيب والترهيب من الحديث الشريف للحافظ المنذري ج٤ ص٢٧٤ - ص٣٠٢).

الموقف الآخر: عندما يكون الإنسان في خيار بين أن ينفتح على ما يحب فيحصل له ما يتمنى ويحب، أو يصبر عن ذلك ليحوز على رضا ربه تعالى أو مَنْ أُمر بمداراته كالابوين مثلاً أو غيرهم، فإذا تغلّب على هواه وعزف عن مراده وما يحبه وحاول التعامل مع ما لا يرغبه تحقيقاً لرغبة المأمور بمداراته فسوف ينال اجر الصابرين ويكون في درجتهم يوم القيامة.

وقد بيّن عليه السلام أنّ الصبر إنّما هو في هذين الموقفين، فإذا صبر الإنسان فيهما على ما يكرهه، وعمّا يحبه ويرغبه فهو الصابر حقاً الذي وُعَد بكل خير.



◀ ٨٨ - قال عليه السلام:

صحة الجسد من قلّة الحسد.

أسلوب لطيف من أساليب النصح والدعوة اتخذه عليه السلام ليبين ضرورة التخلي أو الابتعاد عن داء الحسد لأنّ ذلك ينتج تفاعل الجسد مع الروح المريضة الحسودة فيؤثر سلبياً في تناقص الحالة الصحية وترديها.

ومن المعلوم أنّ الصحة من الأمور التي يحرص عليها الإنسان ويحاول الحفاظ عليها وابقاءها من دون ما تدنٍ أو تدهور فاذا عرف الحاسد أنّ للحسد تأثيراً سلبياً على الصحة فحتماً سيقلع عنه ويبتعد

عن مجالاته فيعيش الايجابية اتجاه الآخرين ويتمنى لهم ما يتمناه لنفسه ولا يكون ضيّق النفس بل يحبّ لهم ما يحبّه لنفسه فيضمن راحته النفسية وصحته الجسدية من هذه الجهة - على الأقل- .

فالدعوة إلى نبذ الحسد وهو داء اجتماعي يكثر بين الفئات والمستويات كافة من خلال تأمين الجانب الصحي للانسان الذي يتحاشى الإنسان بطبعه الاحتكاك بأي شيء من شأنه الاضرار بالصحة .

فهو اسلوب تربوي يبغي توصيل النفع بأي شكل من الاشكال الممكنة .



◀ ٨٩ - قال عَلَيْهِ السَّلَامُ :

صدرُ العاقلِ صندوقُ سرِّه، والبشاشة حِبالة[١] المودة، والاحتمال قبر العيوب والمسالمة حياء العيوب ومَنْ رضي عن نفسه كثر الساخط عليه.

الدعوة إلى التحلي بعدة امور مهمة في حياة الإنسان إذ تكسبه ثقة الآخرين ومودتهم واحترامهم وهي :

أولاً: كتمان السر إذ لا بُدَّ للعاقل أن يحافظ على أسراره ويكتم

(١) الحِبالة: المصيدة. لاحظ المنجد ص١١٥ مادة (حَبَلَ).

كل ما من شأنه أن يؤثر عليه ويشكّل نقطة ضعف له فلا بُدَّ له من استيعاب الامر جيّداً لئلا يفشي سراً قد يتضرر به هو أو غيره لأنه في كثير من الحالات قد يفشي أمراً مكتوماً يؤدي إلى تلف الأنفس أو الاموال إذ لا بُدَّ من اقفال الصندوق جيداً بما يجعل ما فيه مستوراً عن الغير.

ثانياً: أن يكون الإنسان بشوشاً طَلِق الوجه، تعلو وجهه الابتسامة، وبذلك يجر مودة الآخرين ومحبتهم وهو شيء ثمين يحرص الكثير على كسبه وحيازته لأنه يشكل بمجموعه العام رصيداً اجتماعياً مهماً يمكن الاعتماد عليه في مشاكل حياتية تواجه الإنسان ويكون ملجأه - بعد الله تعالى - رصيده لدى الناس وما يحتفظون به من مودة واحترام وتقدير وتكريم بما ينفع في غالب القضايا المواجهة.

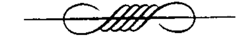
ثالثاً: سعة الصدر والقدرة على امتصاص مشكلات الآخرين، ومعاونتهم ولو بالاصغاء اليهم مما يحبّب الإنسان إلى النفوس.

وسعة الصدر سواء في الاغضاء عن الاساءة وعدم المجابهة، أو في عدم مواجهة الغير بمواطن عيوبه ونقصه، كل ذلك يوفّر للانسان حماية واقية عن خوض الناس في عيوبه.

وقد ورد في كثير من نسخ نهج البلاغة «والمسالمة خباء العيوب» مما يؤكد نفس المعنى بحيث لا يفقد الإنسان السيطرة على التحمل فيكسب بذلك ستر الناس عيوبه وعدم الكشف عما يكره مما يخصه.

رابعاً: التوازن في تعامل الإنسان مع ذاته فلا يعيش معها، ولها، فقط بل لا بُدَّ من أن يعرف جيداً أنّ هناك من يراقب سير الاحداث فيقيّم الحالة سواء ايجابياً أم سلبياً بما يعني أن يتعامل الإنسان مع نفسه بما يجعلها متجهة نحو العمل الاحسن فلا يقنعها بأنها بلغت الغاية ووصلت المرام وأنّها تفوق الغير وانها احسن من الغير و.. و... مما يحلو لبعضهم أن يسمعه من غيره أو أن يُسمّعَه هو لنفسه بما يسد لديه فراغاً نفسياً يعانيه وهذا من أشد الاخطاء لأنها تسد على الإنسان منافذ العمل، والمثابرة على النتاج الافضل فيكتفي بما قدّم.

مضافاً إلى أنّ مَنْ تعوّد كيل المديح لنفسه والرضا عن انجازاتها وعما وصلت اليه سيخسر الآخرين لأنّه بالضرورة سيقلّل من شأن الغير وانجازاته مما يفقده بعض احترامهم أو يتشنج معهم في العلاقات فيخسر رضاهم فيسخطون عليه فيكون بذلك جالباً لنفسه دعايات مضادّة كفيلة بتحطيمه أوتحجيمه.



◀ ٩٠ - قال عليه السلام:

الصدقة دواء منجح، وأعمال العباد في عاجلهم نصب أعينهم في آجلهم.

الدعوة إلى التصدّق والتفّقد بما يوفّر فرصة الحياة الكريمة لمن لم تساعده ظروفه الخاصة على ذلك وبذلك نضمن التقارب في

المستويات الاجتماعية وتقليل فرص وقوع الجرائم والمشكلات وما إلى ذلك مما يخيّم على المجتمع الآمن فيفقده السلامة والاطمئنان.

وقد اجتمعت في الصدقة مقوّمات كثيرة تساعد على ديمومة العمل بها والمداومة عليها، فمنها: أنّ الصدقة يستدفع بها الإنسان الشرور والآفات وذلك بما يلازمها - غالباً - من دعاء وقبول مما يعني وصولها إلى محلها المناسب والانتفاع بها.

ولأجل ترسيخ الفكرة أكثر بيّن عليه السلام أنّ الصدقة كسائر اعمال الإنسان مما يلاقيه في الآخرة فيجده حيث يسّره إذ للصدقة أجر وثواب فيُدخر ذلك إلى يوم الفاقة والحاجة وهو يوم الحساب ولا يستغني أحدٌ مهما كان عن رصيد ينفعه في تجاوز المحنة.

فهذا كله محفزٌ نحو المداومة على الصدقة فانها تنفع المتصدق ومَنْ تصل اليه الصدقة.

والصدقة تدخل في مختلف قضايا الحياة فقد تكون بالمال كما هو المعتاد غالباً.

أو بالاعيان كالملابس والمواد الغذائية وقطع الاثاث والدواء وما إلى ذلك مما يقوّم حياة الفرد أو العائلة.

أو بالجاه والشأن الاجتماعي فقد يتدخل أحدٌ لإنجاز مهمة آخر أو يتوسط عند أحد لأجل رفع كلفة عنه أو توفير شيء له كالمنصب أو العمل أو الوصول إلى حالة افضل.

أو بالكلمة والنصيحة بما يحمي انساناً من شر الوقوع في المكروه والبأس.

ومن المؤكد القوي أنّ الالتزام بالصدقة يوفر حالة اجتماعية يعوزنا - فعلًا - التوفر عليها والشعور بها فاننا منذ أمد ليس بالقريب نكاد نفتقد التراحم، والتواصل، والتواسي، والشعور بالمسئولية بما يعين المحتاج ويساعد الفقير إلّا ببعض المستويات الشكلية التي لا تتصف بالعمق، والجدّية، والحل الوافي، بل تتعلق عند المظهريات والمباهاة أمام الآخرين.



حرف الطاء

◀ ٩١ - قال عليه السلام:

الطمع[١] رقٌّ[٢] مؤبّد[٣].

الدعوة إلى التخلي عن الحرص وعدم الاعتياد على التخلّق به فإنّه إذا استحكم في الإنسان أورثه الذل كما ورد في قول الإمام عليه السلام (الطامع في وَثاق الذل)[٤]. وجعله عبداً لهذه الخصلة الذميمة لا يقدر على التخلص منها في مستقبل زمانه دائماً فيبقى الذم يلاحقه والاشمئزاز من حالته يقابله اينما تواجد لأن الحرص وحُبَّ الاستئثار بالشيء دون الغير يكشف عن سوء دخيلة الإنسان وعما يعقد عليه قلبه تجاه الآخرين بما يفقده حبهم وودّهم وتعاطفهم لأنه من الطبيعي أن يُمْقَت ويُذَم ويُبْتَعَد عنه لخصلته هذه.

---

(١) الحرص. المنجد ص٤٧٣. مادة (طَمَعَ).

(٢) العبودية. المنجد ص٢٧٣. مادة (رق).

(٣) الأبد: عبارة عن مدة الزمان الممتد الذي لا يتجزأ كما يتجزأ الزمان. المفردات للراغب ص٨.

(٤) النهج ج٤ ص٥٠.

فلابد للانسان أن يتخلى عن الحرص إن وُجد فيه فعلًا، وان يبتعد عنه لئلا يوجد فيه مستقبلًا فانه يُظهر ما يبطنه الإنسان من عدم الثقة بالله تعالى، والحب المفرط للدنيا وما فيها مع أنّه ليس بدائم فيها وليس من الضروري بقاؤه فيها فلماذا الحرص ومحاولة الجمع وحرمان الغير.

فمن هنا نتعلم أن يكون الإنسان محباً للخير ومبتعداً عن الجشع، وعدم القناعة، وحب المزيد. لأنّ الإنسان يجمع ليعيش لا أنّه يعيش ليجمع ويستكثر بهذه الحالة المقيتة المزرية المنفرة للناس - اعني الطمع -.



◀ ٩٢ - قال عليه السلام:

طوبى لمَنْ ذَكَرَ المعاد، وعمل للحساب، وقنع بالكفاف، ورضي عن الله.

ضمانة أكيدة بالحصول على (كل مستطاب في الجنة من بقاء بلا فناء وعز بلا زوال وغنى بلا فقر)[١] وهو ما يسعى اليه المؤمن بل العاقل عموماً لأنّه هو الشيء الوحيد المنتظَر بعد رحلة العناء والتعب الدنيوي.

---

(١) المفردات للراغب ص٣٠٩. وللمزيد يراجع أيضاً مجمع البيان للطبرسي ج٦ ص٢٩١.

وهذا الضمان يتوفر لمن توفرت فيه المميزات الآتية:

الاولى: أن يعرف دائماً أنّه سيحاسب على أعماله وأقواله في يوم القيامة وأن ذلك حتمي لا مفرّ منه ولا يمكن التزوير في الحقائق لأنّ المعلومات موثقة بما يدين المسيء ويثبت الحق لمستحقه فاذا تذكر الإنسان دائماً أنّ الله تعالى أوجده من العدم وخلقه في هذه الدنيا وسوف يعيده بعد الموت حيّاً ليحاسبه ويجزيه ليكون ذلك بمقتضى العدل الالهي، كل ذلك كفيل بأن يخفف من غلوائه وجشعه وتكالبه على الدنيا وجمعها والاساءة فيها، وعند ذلك يؤمِّن لنفسه مقراً في الجنة باذن الله تعالى.

الثانية: أن تكون اعماله في الدنيا، وما يفعله، وما يقوم به إنّما يساعده على تجاوز محنة الحساب، ويخفف عنه ثقل الحساب، ويهون عليه الحساب.

إذن فالاهتمام بالدرجة الاولى فيما يمارسه الإنسان من أعمال وما يصدر منه إنّما هو الحساب لأنّه يعني الاخضاع للمساءلة الدقيقة والعسيرة - احياناً - وهذا وحده كاف في الاهتمام بالحساب لأنّ المحاسب المدقق هو الله تعالى المطّلع على السرائر الذي لا تخفى عليه خافية الذي هو اقرب إلى عبده من حبل الوريد فهو يعلم خطرات قلبه وما ينوي القيام به قبل المباشرة. مما يشكل طوقاً محكماً على أفعال الإنسان وتصرفاته فلا يخرج بها عن الحدود المسموح بها شرعياً.

فالاهتمام بالحساب إنّما هو لمصلحة الإنسان ليسهل عليه وقوفه عند المساءلة الالهية.

الثالثة: أن يكون الإنسان راضياً بما قُسِمَ له مما يسدّ احتياجه اليومي ويوفر له ما يستره ويحميه من الذل للغير بما يجعله متسولاً أو متمنناً الآخرين الذين لا يتساوون في كيفية الرد فقد يكون عنيفاً، فتكون الصدمة وعندها تتضاعف المشكلة ويتفاقم الحل ويصعب.

امّا إذا تعوّد أن يرضى بما اعطاه الله تعالى فسيكون قانعاً، وهذا لا يعني في حال من الاحوال عدم السعي وراء مصدر الرزق بل على الإنسان ان يبذل الجهد الممكن لتحصيل ما يؤمّن احتياجه ولكن بدون لهفة واندفاع بما يصرف الإنسان عن التوكل على الله تعالى والاستعانة به والرضا بمقسومه، ولو فقد الإنسان وسائل اتصاله بالله تعالى فإنّما يحكم على نفسه بالخيبة والحيرة بقية عمره.

الرابعة: أن يكون مؤدباً في تعامله مع ربه وخالقه ومكوّنه من العدم إنساناً سوياً فلا ينقم أو يجزع أو يشكو من حالة تمرّ به مهما كانت شدة وطأتها لأنّ الله تعالى عادل غني عن عباده لا تنفعه طاعة من اطاعه ولا تضره معصية مَنْ عصاه. اذن فهو غير متهَم بالحيف والظلم والتجاوز لأنّه منزه عن كل النقائص فإنّه الغني المطلق والإنسان هو المحتاج المطلق. فعليه أن يخضع ويخشع فيرضى ويسلّم لعظمته ليكون بذلك من المرضيين لديه تعالى وهو غاية الطموح واقصى المأمول.

فالدعوة إذن للتحلي بهذه المميزات لينطبع الإنسان بطابع يؤهله للوصول إلى ما يتمناه في الآخرة. الذي يكون الإنسان فيها وحيداً لا ينفعه مال ولا ولد بل يتخلى عنه كل أحد إلّا ما قدّمه من اعمال صالحة والتي منها هذه المميزات الاربعة.



◀ ٩٣ - قال عليه السلام:

طوبى لمَنْ ذلّ في نفسه، وطاب كسبُه، وصَلُحتْ سريرته، وحَسُنَتْ خليقته، وأنفقَ الفضلَ من ماله، وأمسكَ الفضلَ من لسانه، وعزل عن الناس شرَّه، و وسعته السُنّة، ولم يُنسب إلى البدعة.

هذه الحكمة جاءت تالية لما سبقها وقد اتحدتا في طريقة الضمان والتأمين لحصول ما يتمناه الإنسان من منزلة رفيعة في الآخرة، وأنّ التفاعل مع هذه المميزات كفيل ببناء شخصية الفرد وحماية المجتمع وتحصيل المطلوب اخروياً.

الاولى: أن لايكون مغروراً معتزاً بما لديه من قوة أو مال أو جاه أو ولد أو.. بل يتواضع للغير فيكون بالمقابل ان الآخرين يقدِّرون ذلك له فيكرموه ويحترموه ويوقروه فترتفع منزلته الاجتماعية ويزداد رصيده بما يؤمّن له حياة عزيزة وهذا ما يطمح اليه مَنْ يتكبر ويشمخ زاعماً أنّه يتوفر على ذلك من خلال ترفعه وغطرسته وتعاليه بينما إذا لاَنَ وتأدب ولم يسئ إلى الآخرين في تعامله فسوف يكسب المنزلة الرفيعة في الآخرة والذي قد عبّر عنها بـ طوبى وما تمثله من ادراك

الاماني وتحقيق المُنى، وقد تقدم في الحكمة السابقة شرح المعنى لكلمة (طوبى).

الثانية: أن يكون حريصاً على أن يخلو كسبه وما يحصل عليه من منافع دنيوية من الحرام أو الشبهات لأنّه إذا كان ما يطلبه الإنسان من الربح والعوائد عن طريق مشروع ومن وجه حلال فسيساعده في التخفف من الاوزار والآثام والتبعات وطول المساءلة وشدتها وعسير الحساب وأليم العقاب فيكون مقره ما أعّد الله تعالى للمتقين المراقبين له في السر والعلن، أمّا إذا لم يلتزم بكل ذلك وتمرد على الضوابط الشرعية وطلب الربح والعوائد من طريق ملتوٍ غير مشروع ومن وجه حرام كان مقره النار وساء مصيراً.

الثالثة: أن يكون سليم القلب طاهر النفس صالح العمل طيّب النية ليحظى بذلك الوعد، وليتعايش مع أفراد مجتمعه بما يحقق الامان والسلام والطمأنينة فيكون بذلك عضواً صالحاً في المجتمع يتعلم منه الآخرون ويقتدي به الاشرار ليرتفعوا من حضيض الجهالة إلى مستوى الحكمة والعمل الصالح.

وهو بذلك محترم مهاب وهذا ما يسعى اليه الإنسان وقد أَمَّنَ التوفر عليه من خلال النية الصالحة.

فاذا امكننا توفير عدة نماذج فسننقذ المجتمع من حالات التردي والوقوع في المشاكل والجرائم مما يربك الوضع الأمني للمجتمع، فالكل خائف ومذعور وغير مستقر لوجود ذوي النوايا السيئة.

إذن من اساس بناء المجتمع الآمن تهيئة ذوي النية الطيبة الصالحة الحسنة بما يحقق وجود مرشدين عملياً في المجتمع لتقلّ نسبة الجريمة والتعدي.

الرابعة: أن يكون حسن الأخلاق يتفاعل بايجابية مع الآخرين ويتعامل معهم بكل احترام ومودة وبما يحقق لهم فرصة العيش بخير وسلام. وهذه الميزة إن أمكننا تحقيقها اجتماعياً وتكثير عدد المتميزين بها فسنسيطر على حالات وقوع الجريمة والحوادث المؤلمة المنهكة للمجتمع بما تتركه من اعباء واثقال تدوم طويلاً.

الخامسة: أن يكون مواصلاً الآخرين بما يرفد المحتاجين ويساعدهم على توفير الامور اللازمة فيكسب بذلك اصدقاءَ واعواناً ومؤآزرين له في الحياة، كل ذلك بفضل ما أنفقه مما زاد عن حاجته ونفقته اللازمة، لأنّ من الصعب على كل أحد أن يُقدّم غيره على نفسه أو يقاسمه ما عنده ولكن إذا فَضُلَ شيء فينفقه ليبقى الاجر والمثوبة ويدوم النفع والفائدة.

السادسة: أن يتعود الانضباط وحفظ اللسان وعدم الخوض في كل ما يقال لأنّ ذلك مورِّط في مشاكل ومتاعب دنيوية وأحياناً اخروية، فاللازم أن يوازن أقواله فلا يفلت منه زمام السيطرة على لسانه، ولايترك الامر من دون ما مراقبة لأن اللسان كفيل باسقاط الإنسان في مهاوٍ لايسهل عليه التخلص منها.

فإذا أمسك لسانه إلّا عن اللازم له من الكلام من ذكر الله تعالى

بكافة مصاديقه، أو ما يؤدي به عن افكاره ومطالبه، أو ما يصلح به بمختلف حالات الاصلاح بما يجعل اللسان تحت طائلة الحساب والسيطرة وعدم الانفلات لأنّ لذلك عواقب وخيمة تحكم على الإنسان باحكام تفقده نفسه، مركزه، موضعه في قلوب الآخرين، امواله، اصدقاءه، اقرباءه...

السابعة: أن يكون مأمون الجانب لايصل شرُّه إلى الناس. وحالات وصول الشر إلى الناس كثيرة...

مباشرة وغير مباشرة.

عن قصد وعن لا قصد.

فلا بد للانسان التوقي منها جميعاً قدر الامكان لئلا يقع فريسة الشر وما يجره من مواقف عدوانية يأثم عليها وعلى ممارستها في الآخرة، فيكون هو الخاسر في الدنيا والآخرة. مضافاً إلى ما يجرّه من عداوات واحقاد وضغائن الآخرين فيكون المجتمع معانياً من وطأة الشر وأهله بينما الاجدر بالافراد أن يساعدوا على اشاعة الخير ومنع الشر ليعمر المجتمع بالمحبة والاخوّة الانسانية والاسلامية بما يحقق الاهداف السامية التي يسعى المصلحون إلى تحقيقها وادامتها.

الثامنة: أن يكون مطبّقاً لسنة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم وآخذاً بطريقته وسيرته من دون إضافات وزيادات لأنّ السُنة النبوية الشريفة

قد تكفّلت بإتمام جميع ما يحتاجه الإنسان فلم يبق مجال للإضافة والزيادة، فإذا ما صدرت إضافة من أحد فإنها تكون من البدعة فلابُدَّ للمسلم أن يكون كفوءاً عندما ينتسب للاسلام ديناً ويعتنقه عقيدة ولا يكتفي بمجرد الاسم والمظهر بل عليه أن يعيشه روحاً وفكرة لينطلق به نحو السمو والرفعة وكل معاني الخير ومن ذلك أن تحصل لديه القناعة الكافية بتمامية القوانين اللازمة لحفظ نظام الحياة بما يسع كافة الأجيال إلى يوم القيامة فلا توجد فراغات في التشريع حتى تبقى حاجة لملئها حسب الرغبات الشخصية.

فاذا طبّق ذلك والتزم به من دون ما مخالفة مقصودة فسيضمن الحصول على المكانة الرفيعة في الآخرة ويكون مستحقاً بجدارة للبشارة بـ(طوبى) وما تدلل عليه من حالة بلوغ المقصد. أما لو حاول الإضافة فزاد من عنده وجعل ما ليس من الدين كأنه من صلب التعاليم الشرعية فيأثم ويحاسب على ذلك لأنه من التشريع المحرّم. وفي هذه الفقرة من الحكمة دعوة لتجنب ما يفعله بعض الناس من الرجال أو النساء من الالتزام بأمور لم يثبت ورودها في الشريعة.

التاسعة: أن يكون حذراً مترقباً من الالتزام بكل (عقيدة أُحدثت تخالف الايمان)[1] لأنّها مكمن الخطر والانزلاق ولايمكن عندها التدارك خصوصاً وأنّ أصحاب التيارات المواجهة الهدّامة يحاولون

(١) المنجد ص٢٩. مادة (بَدَعَ).

التوصل إلى أغراضهم بالوسائل المتعددة المختلفة بما يجعل حالة التخلص مستصعبة. ولذا فقد يزيّن ما ليس من الدين بزي الدين لينخدع به البسطاء وينطلي عليهم ولكنه ليس من الدين بشيء أبداً.

فعلى الإنسان أن يعرض كل الافكار على أحكام الشريعة الاسلامية وما تحويه من سُنة النبي الاكرم وآل بيته الاطهار عليهم السلام الذين يستقون من منبع فيضه صلى الله عليه وآله وسلم، لئلا يغتّر وينخدع بالاباطيل المضلّلة.



حرف العين

◄ ٩٤ - قال عليه السلام :

عَاتِبْ اخاك بالاحسان اليه، وأرْدُدْ شرَّه بالانْعامِ عليه.

إنّ تاريخ العلاقات الثنائية بين أفراد المجتمع يتعرض للتقصير في الحقوق، والاهمال وقد يتطوّر الامر احياناً فيَصِل إلى صدور الاساءة من الأخ والصديق مما يترك ألماً في النفس، وصدمة، وخيبة أمل فيتحرك الإنسان إلى الانتصار لنفسه عن طريق اللوم والتذكير بالاخوة أو المواقف الايجابية بما يثير كمائن نفس الطرف الآخر فيشعر بالتقصير أو الضغينة والحقد فيزداد شراً ويحاول ايقاع الاذى به.

فلئلا يتسع الامر وينتشر اكثر فيفضي إلى حالات من التشنج والقطيعة جاءت هذه الدعوة إلى الرفق والمعاملة بالأحسن ومقابلة الأذى بالإحسان واستكفاء الشر بإسداء المنفعة وتقديم ما فيه الخير عسى ان يرعوي ويتأثر من هذا الموقف الايجابي المتبادل به مع ذلك الموقف السلبي فينصلح ويتحسن وضعه اجتماعياً فيكسب الموقف بانتشاله إنساناً سيئاً من وهدة السقوط وليتعود مستقبلًا على معايشة الاصدقاء بالاحسن.

ومن هنا نعرف أن تاريخ العلاقات الاجتماعية تتخلله شوائب ومكدرات ينبغي للعاقل أن لا تكون حاجزاً امامه مهما كانت بل يغضي عن الاساءة و لا يصغي لتحريض مثيري الفتن بين الاخوان والاصدقاء.

ومن المعلوم أنّ الأخ يشمل كل من تربطه مع الإنسان رابطة نسبية كالأشقاء والاخوة الارحام أو السببية كالزملاء والاقران والاصدقاء والشركاء والاصحاب والاحباب ونحو ذلك من الاسباب والروابط التي تجمعها ميادين الحياة، أو الانتماء إلى فكر واحد كالاخوّة الاسلامية الايمانية.



◀ ٩٥ - قال عليه السلام :

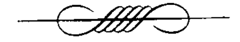
عَجَبُ المرء بنفسه أحدُ حساد عقله.

الدعوة إلى السيطرة على النفس وعدم الاغترار باقبال الدنيا أو الحظ أو الجاه أو النجاح في ميدان من ميادين الحياة العلمية أو العملية.

لأنّ ذلك العَجَب واستعظام الحالة التي هو فيها يؤثر سلباً على التواصل والازدياد بينما الإنسان مدعو إلى تقديم المزيد والبرهنة على الكفاءة بما هو اكثر واكثر.

إذ عجلة الحياة سائرة متحركة دوماً بالناس فلم تتوقف ليعرف أحدٌ أنّ ما قدّمه افضل مما قدّمه الآخرون بل هناك الأفضل دائماً.

فلابُدَّ أن لا يرضى الإنسان العاقل عن نفسه بما يحدد نموّه ويعرقل مسيرته الابداعية في الحياة، وإلّا لكان اعجابه بنفسه من جملة الحاسدين له الذين يحاول بل ويزاول التعوذ منهم أو التستر عنهم لئلا تزول النعمة التي هو فيها، فإنّ الحاسد يتمنى زوال نعمة الغير مما يعني توقف الغير وانقطاع النفع عنه وتعطّله وتعرضه للمشكلات الجانبية جرّاء زوال النعمة، فهذا الدور للحاسد يؤديه نفس المعجَب بنفسه فإنه يأخذه الخيال حيث النشوة والشعور بالانجازات العظيمة مع أنّه لا بُدَّ من أن يوجد مَنْ هو قريب اليه أو بعيد عنه ممن انجز ما هو اعظم واعظم، إذن توقفَ هو وتقدّمَ غيرهُ. فقد ساعد ذلك على زوال نعمة الابداع وتقديم المزيد، وهذا ما يحدده ويحجّمه فلا ينمو، ولا يتفاعل مع حركة الحياة فيخمل ويتضاءل تدريجاً، وتلك نتيجة يتحاشاها العاقل.



◀ ٩٦ - قال عليه السلام :

عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذي منه هرب ويفوته الغنى الذي اياه طلب فيعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الاغنياء.

وعجبت للمتكبر الذي كان بالامس نطفة ويكون غداً جيفة،

وعجبت لمَنْ شك في الله وهو يرى خلق الله،

وعجبت لمَنْ نسي الموت وهو يرى الموتى،

وعجبت لمَنْ انكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الاولى،

وعجبت لعامرِ دارِ الفناء وتارك دار البقاء.

يضع الإمام عليه السلام عدة علامات استفهام وعلامات تعجب تستبطن أمام حالات تُمَارَس في المجتمع تترك أثرها السيء على أفراده بما يغوي الجُهّال ويشجعهم على التمادي في الجهالة بمختلف مناحيها وطرقها وقد ذكر عليه السلام ستة:

الأول: يمسك على يد البخيل الذي لا ينفق ويشح بما آتاه الله تعالى فيظهر بمظهر المُعدَم البائس فينبهه إلى أنّ رفع هذا الشعار إنّما يعني التراجع العملي عن مسلك الاغنياء الذي حرص على الوصول اليه فهو بهذا تعجّل حالة العُدْم والفاقة وتمظهر بمظهر البؤس والشقاء مع أنّه من الاغنياء وعلى ملاكهم وفي عدادهم ويكون حسابه أُخروياً كذلك فيُسأل عن كل وارداته وصادراته وربّما يكون التدقيق أكثر على ما رزقه الله تعالى من نِعَم وافضال ولم يتمتع بها ولم يوسِّع على عباد الله من حوله سواء العيال أم أهل الحاجة ممن يمكنه رفدهم وتنفيس كربتهم وكشف أزماتهم المالية.

ثم يحاول عليه السلام أن يثير فيه الاحساس بالكرامة والعزة ويؤنّبه فيؤشر له على واقع حاله بكل صراحة وأنّه يتساوى في اسلوب عيشه مع الفقير الذي يبتعد عنه ويشمئز منه. إذن فهو غني على الورق

فقط، وللعلم والاطلاع رجاءً - كما يقولون - ولكنّه فقير في واقع أمره نفساً وسلوكاً وهكذا حتى النهاية.

فهل هذا ما ينبغي لأن يسعى اليه الانسان؟! فالدعوة إلى التخلي عن البخل والشح وأن لا يتصور أنّ الانفاق والإعطاء يسببان قلّة المال، بل يؤثران - بالتجربة - في البركة والنماء لأنّ الله تعالى هو وحده بيده مقاليد الامور، والغنى، والفقر فيبارك وينعم بالزيادة.

الثاني: ينبّه الإمام عليه السلام الانسانَ ويذكّره بمبدأ أمره وخلقته وأنه مهما بلغ مجده في الدنيا فهو المتكوِّن من النطفة المتنفَر عنها فإنّ كلّا من الرجل والمرأة يتنزهان عن المني بالازالة والغسل والتعقيم - أحياناً - فتَذَكُّر هذه البداية الطبيعية لكل مخلوق تكفي للتخفيف من غلواء النفوس وتكبّرها وتعجرفها للسيطرة عليها فلا ترمي صاحبها في مزالق التكبّر والترفّع والتعالي الفارغ الأجوف الذي لا مبرر له سوى الطموح والشموخ اللذان يتجاوزان حدود المقبول، وهو أيضاً المنتهي إلى حالة يبتعد عنه فيها أقرب وألصق الناس به ويسد أنفه من جرّاء نتن رائحته وجثته المنتنة.

فمَنْ كانت تلك بدايته وهذه نهايته فهو الجدير والحقيق بأن يتواضع ويتعامل بقرب ولطف من الآخرين ويحاول جاهداً الابتعاد عما يذكّرهم بتلك البداية وهذه النهاية.

فالدعوة إذن إلى التخلق بالتواضع والتأدب وفق موازين العقل والشريعة من دون ما تعالٍ وتغطرس فإنّ الحال واحد.

الثالث: يرشد الإمام عليه السلام مَنْ لم يتيقن وجودَ الله تعالى مع هذه الدلائل والشواهد إلى أن يستدل على وجود الشيء من خلال وجود آثاره وصنائعه فإنّ ذلك أنجح شيء للوصول إلى الطريق الصحيح، والكونُ بما فيه ومَنْ فيه إنّما هو من خلق الله وابداعه واختراعه وصنعه، لم تُذكر لأحد مهما كان مشاركة في اصل التكوين ومبدأ التصوير. مما يعني التفرّد في الخلق والتوحد في التدبير مبدأ ومنتهى.

ولابد من الاهتمام بترسيخ العقيدة أكثر من الاهتمام بسائر شئون الحياة، لأنّ بالعقيدة ينجو العبد من النار والحساب العسير، فلو اعتقد عقيدة أخرى غير الإسلام استحق النار ولانّ العقيدة الاسلامية بكل تفاصيلها هي التي يلزم الايمان بها في هذا العصر لأنّ الاسلام خاتمة الاديان السماوية وهو الدين العالمي الدائمي حتى يرث الله الارض ومَنْ عليها.

الرابع: يُذَكِّر عليه السلام الإنسان بالنهاية المنتظِرة لكل أحد من المخلوقات وهي الموت الذي هو دائم الحضور بينما ينساه الإنسان مع كثرة ما يشاهده من اموات فإنّ ذلك أمر منتشر في الكون أجمع فان دلَّ هذا على شيء فانما يدل على التوعية الدائمة والتذكير المستمر والتنبيه الحثيث لئلا يرتكب الإنسان ما يتنافى وما بعد الموت من الحساب والمجازاة.

فالدعوة إلى تذكر الموت عملياً لا مجرد القول والمظاهر لأنّها

تتلاشى فلا تصل إلى الاعماق بينما استشعار: أنّ الموت ينتظر كلّا منّا ومن غيرنا من مخلوقات الله تعالى يجعل الإنسان منتبهاً دائماً فلا يغفل.

الخامس: يذكّر الإمام عليه السلام بيوم القيامة وما بعده من الحساب والمساءلة الدقيقة عن جميع ما عمله الإنسان في حياته الدنيا، إذ أنّ البعض ينكر أو يشك بحياة اخرى بعد الموت مع أنّ الدلائل ثابتة على ذلك ولأنّ خالق الدنيا وما فيها ومَنْ فيها ومبتدعها من العدم وموجدها من اللاشيء قادرٌ على إيجاد حياة ما بعد الموت بكل تفاصيلها المقبلة - والتي لم نتوفر إلّا على القليل منها لعدم الوصول اليها - وهو القادر على كل شيء.

وقد ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٦٢]، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٤٧].

السادس: ينصح الإمام عليه السلام الانسانَ المنصرفَ بكلّه نحو الدنيا وما فيها بأن لايهمل الآخرة لأنّها الادوم والابقى فلا يغتر بما اوتي من مال، جاه، نفوذ، قوة، سلطان، اولاد، عقار، وغير ذلك مما يتركه ويخلّفه لغيره ويذهب وحيداً إلّا ما يستره، وإلّا عمله الصالح الذي ينفعه عند المساءلة، وعرض الاعمال على الواحد القهار الذي لا يحيف و لايظلم فيجازي كلّا بعمله أن خيراً فخير وإن شراً فشر، ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٣١].

فالدعوة إلى الموازنة والعمل للدنيا بما يمرر الحالة فيها، والعمل للآخرة بما ينفع فيها.



◀ ٩٧ - قال عليه السلام:

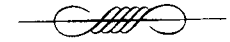
عجبت لمَنْ يقنط ومعه الاستغفار.

الدعوة إلى عدم اليأس ومحاولة البداية الجديدة مع الله تعالى فإنّ طلب المغفرة والتماس السماح والتكفير عن الذنب والخطأ كفيل بفتح سجل جديد قد أُبعدت عنه كل الصفحات السود السابقة بما يعطي حافزاً نحو العطاء والمواصلة بما ينفع المجتمع وينمّي فيه القابليات ويدعم مسيرة التوحيد ليظهر العدل الالهي واللطف الرباني اللذين ادركا الإنسان العاصي فأنقذاه من الجهالة والانحراف إلى حيث الانفتاح على دنيا جديدة وعالَم جديد بما يزيد عدد المنفتحين على الله تعالى والمبتعدين عن الضلالة والخطيئة.

فالحكمة تستقطب أولئك العصاة القانطين الآيسين من بلوغهم إلى ساحة عفو الله ومغفرته، وسعة رحمته وتجاوزه عن العاصين.

ولكنّ من المعلوم لكل أحد أنّ الاستغفار علاج نافع بشرط الصدق وعدم العودة إلى الماضي والتخلص من كل ما يذكّر به أو يتصل بالسابق ليخلو الإنسان ويخلص من الآثام تماماً فتكون توبته صادقه ناصحة ناصعة نابعة من القلب والشعور بالتقصير وارادة

العودة حيث رحاب الله تعالى. فعندها يكون الاستغفار علاجاً نافعاً للمذنبين وإلّا فلو كان مجاراةً لحالة عائمة من مظاهر خدّاعة أو استجابة لالحاحٍ من دون ما اقتناع بضرورة الاستغفار والانابة إلى الله تعالى فلا ينفع بل يعاقب على حالة التجري واقتحام الساحة من دون ما اقتناع بالاهمية والافضلية، فليس الاستغفار مجرّد قول نردده بل هو إيمان ويقين بالله تعالى وتوجه وانقطاع اليه ومعرفة مخلصة تامة بأنّه الطريق الوحيد للانقاذ فعندها تفتح للعبد ابواب القبول فيدخل عالماً جديداً يحتفى به بمقدار ما يقدّمه من عطاء وانتاج بما يخدم المسلمين ويُعلي صرح الدين ويُبقي كلمة لا اله إلّا الله محمد رسول الله عالية على كل الكلمات.



◄ ٩٨ - قال عليه السلام:

عرفت الله بفسخ العزائم(١) وحلِّ العقود(٢) ونقض الهمم(٣).

رُوي أن رجلًا قام إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

فقال: يا أمير المؤمنين بماذا عرفت ربك؟

(١) العزائم جمع العزيمة: الإرادة المؤكدة. المنجد ص٥٠٤ مادة (عَزَمَ).

(٢) أي الشيء المصَمَّم على تنفيذه.

(٣) الهِمَم جمع الهَمَّة: العزم القوي. المنجد ص٨٧٢ مادة (هَمَّ).

قال: بفسخ العزائم ونقض الهمم، لمّا هممت فحيل بيني وبين همي، وعزمت فخالف القضاء عزمي، علمت أنّ المدبر غيري)[1].

فالدعوة إلى الإيمان باللّه من خلال تأثيره في حياة الإنسان، وما يقدّره تعالى للإنسان وما يتصرف فيه كيف يشاء وفقاً لحكمته عزّ وجلّ المتعالية ومصلحة العبد ذاته، فإنّ هذا التدبير من حيث يشعر العبد أو لا يشعر يدلّ دلالة واضحة و أكيدة على وجود الله تعالى بما يجعل الإنسان متيقناً بوجود قوة غيبية تحميه وتحفظه وترتب شؤونه وقضاياه.

ومن هنا يُعلم أنّ الاعتماد التام على الكفاية العقلية، البدنية، العلمية،... أمر غير صحيح بل الصحيح أن يعرف الإنسان أنّه مرعي وملحوظ ومحفوظ، وهذا أمر يشمل كل المخلوقات فخالقها يحميها ويدبرها.

ومن صور الحماية والتدبير أن يُصرف الإنسان عن أداء عمل كان قد توجه إليه أو باشر به فلا يتم له ما أراد ثم يكتشف بعد ذلك أنّ الخير كان في عدم إتمام العمل، والشواهد على هذا كثيرة جداً ومتوفرة لدى كل أحد تقريباً.

فهذه المداخلة في حياة الإنسان فرصة لأن يفكر الإنسان جيداً ليعرف ويتيقن وجود الله تعالى وعظمته وقدرته على حفظ المجموعة الكونية بأجمعها في آن واحد.



(١) التوحيد للشيخ الصدوق ص٢٣٣ ط النجف.



◀ ٩٩ - قال عليه السلام :

عِظَمُ الخالق عندك يُصغِّر المخلوق في عينك.

الدعوة إلى تعميق الايمان بالله تعالى في النفس، والتأمل بمظاهر قدرته تعالى فأنّها أكثر وضوحاً للوصول إلى الايمان الكامل بعظيم قدرته على الاشياء أياً كانت ومهما كانت. لئلا يُخدع الإنسان بما يواجهه من مظاهر التقدم العلمي أو مراحل النتاج البشري أو وسائل الرقي إلى مستويات متقدمة في مختلف شئون الحياة.

فإنّ لدى الإنسان المؤمن الواعي السبيل الكافي للايمان الراسخ إذا تيقن بالله وعظمته، فإذا داوم على ذلك فسيصل إلى حالة استصغار ماعداه مما يواجهه في الحياة من ابداع ومبدعين، لمعرفتِهِ بأنَّ ذلك من فيض الله تعالى وتمكينه لعباده، ومن عطائه وواسع رحمته وليس من مقومات المبدعين الشخصية، البدنية، الذهنية. . . إذ لو أراد الله تعالى تعجيز أحد لما تمكن العبد من الافلات من ذلك والسيطرة على تحقيق مراده ومطلوبه لاستحكام قدرة الله تعالى.

فلابُدَّ من عدم الاغترار بمظاهر الاعجاب في الحياة البشرية وإنّما التوجه بالاعجاب نحو الذي اعطى القدرة على جميع ذلك.

فالمؤمن لا يستعظم شيئاً على قدرة الله تعالى بل يستصغر كل ما دونه عزّوجلّ لانه مخلوقه ومن صنع الله الذي اتقن كل شيء.



◀ ١٠٠ - قال عليه السلام :

العفافُ[1] زينةُ الفقر، والشكر زينةُ الغنى.

لاشك أن لكل شيء في الحياة ما يزيّنه ويحسّنه، وآخر يقبّحه ويسئ اليه. ويصادف الإنسان في حياته تقلبات متعددة تطرأ على شئون حياته فتغّيرها ألواناً وألواناً ومن ذلك الفقر والغنى، فإذا كان الفقر والعدم والحاجة وعدم التمكن من تحقيق المراد لقلة ذات اليد واعدام المال أو قلّته جداً بما يعجز معه عن تسديد الحاجات وتلبية المتطلبات فحتماً يكون التفكير بالحصول على المال مُلحّاً جداً ويتخذ عدة مناحٍ ويسيطر على تفكير الإنسان بما يلهيه عن التفكير في الشئون الحياتيةِ الاخرى لأنّ المال وسيلة تخاطب وتعامل وانفتاح وتوصل و.. و.. في الحياة ولكن على المؤمن أن لاينساق بعيداً وراء ذلك بما يفقده أُسسه الايمانية التي يرتكز عليها إذ ليس المال كل شيء في الحياة أو عند الإنسان بل لا بُدَّ من الاقتناع التام بأنّه شيء من الاشياء له أهميته وله مفاسده ومن ذلك أن يلجأ الفقير إلى الوسائل غير السليمة للحصول على المال كالجشع والطمع والسرقة والغش و..و.. لكن إذا سيطر على نفسه وعفَّ عن مال غيره مهما كان المال ومهما كان الغير زيّنه ذلك واضفى عليه رونق العفة

(١) عفَّ.. عفافاً: كفّ وامتنع عمّا لا يحلّ أو لا يجمل. المنجد ص٥١٤ مادة (عفّ).

والامانة لأن الكف والامتناع عن ما لا يحلّ زينة الفقير إذ قد سيطرت عليه مظاهر البؤس والفقر فلم يعد هناك ما يزيّنه لا مال، لا جاه، لا منصب، لا سلطة، . . . لكن جاء العفاف ليزيّنه وليكون ناطقاً عنه بأنّه يتمتع بالشئ المهم جداً في الحياة العملية للانسان بما يحمي المجتمع من حواليه ويضيف إلى قائمة حسناته حسنة اخرى تكون نقطة تحوّل في غاية الاهمية. إذ الكثير ممن يقتني ويجمع المال ولكنه من دون عفاف فلا يترك أي أثر له أو أي شيء يثير الانتباه اليه.

فلابُدَّ للانسان الفقير أن لا يستولي عليه الجزع من وضعه الاقتصادي المادي المتردي بل عليه أنْ يعرف جيداً أنّه يمتلك ما هو أهم من المال عند الاغنياء وهو حالة السيطرة على النفس فيمتنع عن الوصول إلى ما لايحل له مما يعني انه مراقب لله تعالى ومؤمن حق الايمان لا مجرد رفع الشعار من دون ما تطبيق.

وأيضاً فالغني إنّما يزيّنه ويضفي عليه ما يزيد من احترامه واكرامه وزيادة النعم عليه - إنّما هو - الشكر ومعرفة النعمة وتقديرها وعدم التنكر لها وعدم استعمالها فيما لايرضي الله تعالى وعدم الاستعانة بها على المعاصي.

بما يحقق للشكر مظاهر عديدة غير مقتصرة على اللسان بل يتعمق في داخل الإنسان فيظهر من خلال تصرفاته وافعاله مما يدلل على الشكر وعرفان النعمة والثناء على المنعم تعالى.

فلابُدَّ للغني أن يعرف أنّ المال وديعة عنده، لادوام له والشواهد

على ذلك كثيرة بما يدعم الفكرة ويقنع بها فعليه أن يغتنم وجوده ليستعين به على طاعة الله ومراضيه بما يرّفه به على عياله أو يعين مَنْ حواليه ومَنْ يعرف حاجتهم بما امكنه من ذلك.

وعليه أن يحسن التلقي لأنّه لو اساء ذلك لذهبت النعمة عنه ولا تعود إليه.

وعليه أن لا يغتر بتوارد النِعَم عليه فليس ذلك مؤشراً ايجابياً دائماً بل قد يكون للاستدراج والاختبار.

وعليه أن يشكر الله ويثني عليه بما يليق به مما يقدر عليه قولًا وفعلًا ولايكون تقليدياً في اظهار الشكر من خلال ترديد عبارات الشكر.



◄ ١٠١ - قال عليه السلام:

العلمُ علمان: مطبوعٌ ومسموعٌ، ولا ينفع المسموع إذا لم يكن المطبوع.

التأكيد على حقيقة أكيدة راسخة وهي أنّ العلم بالاشياء يتخذ شكلين: الأول: مجرد وصول المعلومة والعلم بها، والآخر: التطبيق العملي الناشئ من خلال الانطباع والتأقلم من الداخل مع هذا العلم فيكون تأثيره اجتماعياً أهم من مجرد وصول المعلومة.

ولذا قد ورد الحث الكثير على مطابقة العلم للعمل وأنّ لا يتخلف الإنسان عملياً عمّا عَلِمَهُ وعَرِفَهُ والّا فيكون حاله حال آلات التسجيل والطباعة والكمبيوتر فإنّها تحوي العلم ولكن لا يمكنها تطبيقه عملياً فلا تنتفع به ولا يقال في حقها إنّها عالمة مع انها تشارك الإنسان في احتواء المعلومات و خزنها إلّا أنّه يفترق عنها بالقدرة على العمل والتطبيق سواء بفعل ما يجب فعله أو ترك ما يجب تركه.



◄ ١٠٢ - قال عليه السلام :

العلمُ مقرونٌ بالعمل فمَنْ علم عمل، والعلمُ يهتف بالعمل فإنْ أجابه وإلاّ ارتحل عنه.

هذه دعوة اخرى تؤكد المعنى نفسه لسابقتها ألا وهو إتْبَاع التعلم بالتطبيق، وأن لا تخالف أقوالُ الإنسان ما يفعله مما لا يلتئم مع ما يرفعه من شعارات برّاقة، فلا بُدَّ من المحاسبة جيداً لئلا يتخلف أحدهما عن الآخر بل لا بُدَّ من المحافظة على الاقتران والملازمة بين العلم والعمل لتكون الحصيلة توازن الإنسان في تصرفاته وعدم تخلّيه عما يردِّده من الفاظ فيكون عندئذ محلَ ثقة واطمئنان النفوس فان ذلك يؤشر على مدى تعمّق الفكرة والتزام صاحبها بها وأن ذلك ناشئ من التصميم والاقتناع التام وليس لمجرد التأثيرات الجانبية التي قد يخضع لها الإنسان في بعض ادوار حياته.

مضافاً إلى أنّ في الحكمة تلويحاً بأنّ العلم إذا لم يستعمله الإنسان فيما يرضي الله تعالى بل تركه واهمله ولم يطبّقه فانه يُسلب عنه فلا يستطيع بعدها القول بأنّه عالم إذ قد ذهب عنه بهاء العلم وعزّته ورونقه وسائر ما يتركه العلم في المتعلم أو العالم من آثار ملحوظة للفرد والمجتمع وعندها تكون دعواه بدون شاهد، فلا يُصغى لقوله، ويفتضح أمره، ويتجرأ عليه جهّال الناس وصغيرُهم إذ كانت الحصانة الوحيدة له خوف الله ومراقبته فيعمل بما علم فاذا تخلّى عن ذلك فسوف يذل ويهون قدره حتماً من حيث يشعر أو لا يشعر، وكل ذلك مما يعني جفاف الروح وذبولها إذ لو لم تكن كذلك لبانَ الاثر.

اذن لابُدَّ من الالتزام التام لأهل العلم أنىّ كانوا ومتى يكونوا وفي أيّ درب من دروب العلم سلكوا والى أي باب من ابوابه توجهوا.

لأن بالالتزام التام - الذي أعني به التطبيق العملي الفعلي - يتم ما يتمنى الإنسان من بلوغ مراتب عالية اجتماعية أو وظيفية منصبية - مؤقتة -.



حرف الغين

◄ ١٠٣ - قال عليه السلام :

الغنى والفقر بعد العرض على اللّه.

الدعوة إلى عدم التباهي بالمال فإنَّ الغني مَنْ نجا بعمله والفقير مَن أُحتبس بذنوبه وليس الغني بكثرة أمواله، وكذلك الفقير ليس مَنْ عَدِمَ المال واحتاج إلى غيره وإنّما مَنْ تورّط في الحرام أو الشبهات واستعصى عليه المخرج فإنّه الفقير المحتاج، بينما مَنْ عمل عملًا صالحاً واهتدى إلى التي هي أقوم سبيلًا فانه الغني المكتفي عن غيره.

فليس المهم الغنى والفقر في الدنيا فإنّ الاول لايهمّ كثيراً وإنّ الآخر لايضر كثيراً لزوال الدنيا وعدم استقرارها على حال ولكن الدار الباقية والحالة الدائمة هي الآخرة وما فيها من نعيم مقيم أو عذاب دائم، فعلى الإنسان العاقل أن يحرص على تحصيل ما يغنيه في الآخرة من الحسنات والعمل الصالح ولا يكون ملهوفاً على جمع المال في الدنيا واقتناء الاثاث والتكاثر بالاولاد والاموال وإنّما عليه أن يهتم كثيراً لحاله في الآخرة يوم لا ينجيه إلّا عمله ولا يخلّصه إلّا الورع والتقوى.

وايضاً على الفقير أن لايحزن كثيراً لفقده مقوّمات العيش الماديّة، فالنتيجة لصالح مَنْ يكون غني العمل الصالح لا غني المال النافذ، خصوصاً وأنّه إذا حاز العبد رضا الله تعالى فإنّه سيكون اغنى الاغنياء بينما إذا خسر ذلك - والعياذ بالله - فإنّه سيكون أفقر الفقراء لأن مصير كل منهما يحتِّم تلك الحالة.

فلا بُدَّ من أن لايُحتقر أحدٌ أو يستهان به لفقره، أو يُحترم أحد أو يُقام له لغناه وإنّما لابُدَّ من متابعة الحالة الايمانية فإن كانت نشطة لديه فهو الغني حقاً وإن كان فقيراً بالحساب المادي، والعكس صحيح.



◄ ١٠٤ - قال عليه السلام:

الغِيبَةُ جهد العاجز.

الغيبة من الادواء التي تكثر في أغلب المجتمعات وخصوصاً تلك التي يتوقع فيها الالتزام ومزيد التحفظ، وهي مُفْسِدَةٌ لأخلاق الفرد ومُضِرّة به ومخلخلة لكيان المجتمع إذ تلقي بذرة الحقد والضغينة فتنشأ العداوات والمهاترات الأخرى التي تضر بجميع الاطراف.

وقد جاءت دعوة الإمام عليه السلام إلى التخلّي عنها لأنّ الذي يركن اليها ويستعين بها إنّما هو غير القادر على المواجهة والعاجز عن المدافعة وأمّا القادر على ذلك فيلجأ إلى الحوار والمناقشة البنّاءة بما يقنع الطرف الآخر ويصحح له الحال.

وأمّا ترك الأمر والالتجاء إلى ذكر العيوب فإنّما يدل على ضعف النفس وعدم قدرتها على المواجهة وهذا ما يشكل خللًا في التوازن الشخصي للانسان ومن ثَم للمجتمع بما أنّ الفرد نواة لتكوين المجتمع. فينشأ جيل يستعينون على أمورهم بنشر معايب الخصوم والأخذ بطرق السلبيات وهذا ما يتخوف منه إذ قد يستجر الإنسان إلى النسبة الباطلة للطرف الآخر وهو ما يدخل تحت عنوان الكذب، البهتان. . .

وهو مما يُعَاقَب عليه بالنار فهو إذن من قسم الذنوب الكبائر فضلًا عن أنّ الغيبة بنفسها من قسم الذنوب الكبائر.

ولو تصورنا مجتمعاً خالياً - ولو نسبياً - عن الغيبة لأمكننا الحكم بأنّه مثالي ومتحضر ولا بُدَّ من السعي اليه أو التخلّق بمثل اخلاقه الفاضلة هذه.



◀ ١٠٥ - قال عليه السلام:

غَيرةُ[1] المرأةِ كفرٌ، وغَيرةُ الرجلِ إيمانٌ.

الدعوة إلى أمرين:

الأمر الأول: تخلي المرأة عن الغيرة وما تعنيه من انسياقها المفرط

(١) الغَيْرة: الحَميّة والأَنفة. لسان العرب مج٢ ص١٠٣٦ مادة (غَيَرَ).

وراء عاطفتها وما تجره من تصرفات غير مرضيّة - غالباً - بل عليها التصرف بحكمة ورزانة فيما تتعرض له من مواقف لتكون بذلك أكثر تطبّعاً وتعوّداً على تقبّل الأحكام الشرعية وتلقيها بإيمان ومعرفة.

وإلّا فينتج أن تُقابل الأحكام الشرعية بالرفض وحالات من التشنج والمجابهة متناسية الجهة المشرّعة ومتجاهلة التبعات المترتبة على ذلك وعندها فتخرج عن إطار التدين والإيمان إلى ساحة الانفلات وعدم الانصياع للأوامر الصادرة بحقها من الله تعالى.

ولتوضيح الفكرة أستعرض بعض الحالات المرصودة مما يبرز عنصر الغَيرةَ بما تعنيه من اللامبالاة بالأحكام وبما تعنيه من الاصرار على إرضاء الذات وتلبية نداء العاطفة والانوثة، فمن تلك الحالات:

١ - عدم تقيّدها بالحجاب والملابس المحتشمة التي تضفي عليها الوقار والحشمة والعفة وذلك من واقع شعورها المتصاعد بالغَيرة ممن فعلن ذلك فتحاول أن لا تبقى وحيدة منفردة (نَشَاز) ولئلا يعيبها أحد و. . و. . . مما تفسر به تصرفها ذاك فتخلع لباس العفة وترتدي ما لا يليق بها كأنثى، مسلمة، ملتزمة، إنسانة. . . فيُبديها وكأنها احدى المعروضات التي يتطلع اليها مَنْ يرغب، ومَنْ يريد إشباع فضوله وعندها فقدت أهميتها وصارت كأي سلعة مبتذلة غير مصونة، فعند ذلك خسرنا إنساناً وكان التعويض عنه بصورة

تتحرّج من سماع كلمة غير لائقة و. . و. . . مما يؤدي اليه عدم التقيّد بالحجاب. . .

٢ - عدم تفهمها للحالة الطبيعية التي قد يمر بها بعض الرجال من الحاجة إلى تعدد الزوجات لأسباب وأحوال كثيرة.

فتغار من المشارِكة لها في زوجها متناسية أنّ ذلك - التعدد - أمر مشروع مسموح بممارسته وقد تكفل لها المشرِّع الإسلامي بضمان حقوقها كاملة، فلا يعني تقصير بعض الرجال إهمالَ حقوقها، بل حقوقها محفوظة مرعية و هذا ما يجب الاقتناع التام به لأنّه يخفف من بعض الثورة النفسية لدى المرأة على تشريع التعدد.

فإذا ما أصرّت على عدم تفهم ذلك بما يثير بعض علامات الاستفهام حول التشريع فيؤدي إصرارها إلى عدم الإيمان ببعض ما هو مشروع بما يؤشر ضمناً اتهام العادل في عدله وهو ما لايقبل بحال بل لايسامح عليه إلّا أن تتوب.

نعم، يهون الأمر أحياناً بأنّ المرأة تتعرض لحالة انفعال نفسي فتقول ما تقول وتعترض إلّا أنّه يبقى مجرد لقلقة لسان من دون اعتقاد فعندها لا تخرج عن إطار الإيمان ولكن لابدّ للمرأة المؤمنة أن تبتعد عن كل ما من شأنه الاعتراض ولو الشكلي حتى لا تتعود عليه فتتحول الحالة إلى ما يصعب اقتلاعها.

٣ - عدم تعاملها اللائق مع مثيلاتها وذلك بالاغاضة، وتحسيس الطرف المقابل بالوضع المتدني سواء اجتماعياً، اقتصادياً، . . .

وهذا مما يؤذِي ويجرح - أحياناً - فيؤدي إلى حالات من الهضم وانتقاص المؤمنات واحتقارهنّ و. . و. . . مما لا يجوز إذا كان عن قصد وعمد.

والسبب المهم في هذه الحالة وتحريكها هو الغيرة، وحب الذات، والاستعلاء. .

٤- عدم اهتمامها بالنتائج المترتبة على ما تقول أو تفعل وذلك إرضاءً لما تشعر به في داخلها من عقدة الشعور بالنقص، وتفوّق غيرها عليها ولو في بعض المواقف البسيطة فلا تبالي بمصير الطرف المقابل عندما يصل اليه أثر قولها أو فعلها ولا تبالي بمشاعره وبمدى تأثير ذلك عليه ولو نفسياً فإنه كثيراً ما تجرح العواطف بسبب كلمة.

وكل هذا مذموم يؤشر في أحيان كثيرة. . على عدم إيمانها بالاخوّة الإيمانية التي تربط أفراد المجتمع. وعلى استخفافها بالآخرين ممن جعل الله تعالى لهم حقاً.

وعلى استهانتها بأحكام الله عز وجل لأنّه كما تقدم قد يكون نتيجة قولها أو فعلها إلحاق الأذى والضرر بغيرها بما يلغي الحياة أو يحجّم الوضع أو يقطع أسباب العيش أو يتهم بخيانة أو دناءة أو. . أو. . .

مع أنّه قد لايستحق الموقف كل ذلك ولكنّها قد وقعت تحت تأثير الغَيرة فأخرجتها عن حالة التوازن إلى حالة الإفراط أي عن الإيمان إلى عدم الإيمان.

لأنّها لو كانت تؤمن حقاً لحسبت جيداً حساب النتائج المترتبة فإذا لم تبالِ بذلك فهو عدم الإيمان.

فالدعوة إلى أن تتخلى المرأة عن انسياقها المفرط وراء عاطفتها والى أن لا تتسرع في اتخاذ بعض القرارات الحساسة لما لذلك من آثار سلبية عليها أو على الآخرين.

والى أن لا تتهور فتتصرف بما لا تحمد عقباه.

بل عليها الالتزام بالأحكام الشرعية والآداب الإسلامية التي قد غطّت مساحة الحياة بأكملها فلم يبق فراغ حتى تتولى هي إشغاله بحكم مناسب بل على المرأة - كما هو على الرجل أيضاً - أن لا تنسى الدين، المبدأ، الإنسانية في المواقع كافة وفي مختلف الحالات التي يتعرض لها الإنسان في الحياة.

وبعد ذلك تكون المرأة مؤمنة وإلّا فهي ليست بمؤمنة بتمام معنى الكلمة.

الأمر الآخر من الأمرين اللذين تدعو إليهما الحكمة:

تحلّي الرجل بالغَيرة وما تعنيه من اتصافه بالمعاني الإيجابية التي تجتمع لتكمل شخصية الرجل بما يجب أن يكون فيه كالحَميّة ورفض كل ما من شأنه الخدشة بحرمة عَرضه وما يصونه من الأهل والمال والوطن وسائر القيم والمبادئ والمقدسات، لأنّ اتصافه بذلك يعني تكامله المستمر في خط الإيمان وعلى درب الفضيلة بما

يجعله بحق لائقاً بوصف: رجل، مؤمن، محافظ على التزاماته، غيور حتى يتعلم درساً بليغاً في أن لا يكتفي بالاسم دون المضمون.

أي لايكتفي بأن يقال له مسئول عن شؤون أسرة، زوجة، أولاد، أم، أخت،... فيتكفل بتأمين الحاجات الاقتصادية الاولية أو الكمالية فيكون هو الممول وهم المستهلكين. بل يضم إلى ذلك شعوره بالمسؤولية الأخلاقية تجاههم بما تحويه هذه الكلمة من انضباط وتقيّد وحُسن تصرف وسلوك.

والنتيجة تكون لصالحه وصالحهم لو التزموا جميعاً بما يفرضه الإيمان من أحكام شرعية وآداب إسلامية ليكونوا نواة صالحة تثمر براعم حيّة لتتحول إلى ما ينمي أفراد المجتمع ويرفدهم بما فيه صلاحهم وإصلاحهم.

ولاأحسب أنّ أحداً يغفل عن النتيجة المعاكسة فيما لو تخلّى الرجل عن غَيرته وفيما لو أصرّت المرأة على التمسك بالأفكار أو الأفعال التي تمليها اعتبارات ضيقة.

أسأله تعالى أن يعين الجميع للأخذ بما يصلح حالهم ويرفع مستواهم فتقل الحالات الشاذة من المجتمع الإسلامي الأصيل.



حرف الفاء

◀ ١٠٦ - قال عليه السلام :

فاعلُ الخيرِ خيرٌ منه، وفاعلُ الشر شرٌ منه.

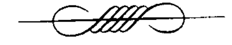
الدعوة إلى فعل الخير و الاستكثار منه، ونبذ الشر والابتعاد عنه، إذ أنَّ الخير عنوان يحتوي كل الفضائل والكمالات وكل ما فيه مصلحة أو نفع من دون ما مفسدة أو ضرر على أحد فالتوجه نحوه والتفاعل معه وجعله محلًا للاهتمام ومحوراً في الحياة يعني أنّ فاعله ينطوي على حب الآخرين وإرادته المصلحة لهم والعمل معهم على اساس ايجابي يسهّل عليهم تجاوز الصعوبات أو يعينهم على تفادي الوقوع فيها مما يؤشر على التقوى وكمال الانسانية وحسن الطويّة. وهذه مقومات لإيجابية الإنسان وجعله خيراً من غيره.

إذن فلا بُدَّ لنا ان نحب الخير للجميع ونسعى لإشاعته وتكثير مناشئه وسبلهِ لِيعمَّ فينتفع به أكبر عدد من الناس ممن لهم علينا حق المشاركة في الانسانية أو العقيدة أو الوطن مما يحتم علينا ضرورة المعاملة الحسنة وعدم البخل عليهم بما فيه خيرهم واسعادهم بالمقدار الممكن المشروع.

والعكس صحيح إذ إنّ الشر عنوان يجمع كل ما يرفضه الناس من المساوئ والمعايب والرذائل وما يؤدي إلى شيء من السلبيات أو التشنجات الاجتماعية أو الفردية بما يجعل الناس مبتعدين عنه رافضين له معرضين عن كل ما يتصل به.

وبطبيعة الحال فاعل الشر شرٌمنه إذ يكشف ذلك عن سوء الدخيلة والحاق الاذى بالغير مما يعني انحرافاً عن الطبيعة الانسانية التي أودعها الله تعالى لدى الاسوياء من المخلوقين وهذا يؤثر في تحميل المجتمع تبعات مشكلات هذا الفرد الشرير لأنّ المجتمعَ حقلُ تجاربه ومحلُ تصرفاته إذ لانتصوره يُكِّنُ الشر ويضمر السوء على مخلوقات اخرى أو اناس يبعدون عنه بما لايبلغهم وإنّما المحيط مِنْ حواليه هو المتضرر بالدرجة الاولى والأخيرة إذ هو المنشأ له فيعاب عليهم سوء تربيته أو عدم الاعتناء به بالشكل الذي ينمّي فيه حب الخير وتجنب الشر، وايضاً هو الذي يتحمل أذاه وشره بالتالي.

فلابد لنا أن نمسك على يد الشرير ليكف شره عن الآخرين فلا نتأذى من جرّاء شره سواء كان التأذي مباشرة أو بالانتساب الينا. ولو عملنا بهذا وتحملنا المسئولية لأمكن إلى حد كبير السيطرة على الحالات السلبية في المجتمع ليصفو الجو ويعم السلام.



◀ ١٠٧ - قال عليه السلام:

فوتُ الحاجةِ أهونُ مِنْ طلبها إلى غير اهلها.

الدعوة إلى أن لا يطلب الإنسان الحاجة من أيٍّ كان، انجازاً لتلك الحاجة وتوصلًا لها لأنّ لذلك آثاراً سلبية عليه كالمنّة والاحتكاك بمَنْ هو في حاجة إلى الاصلاح وما يسببه ذلك من اتصال وربما اكتساب وتعوّد على بعض ما لديه من سيء الاخلاق وذمائمها وهو ما يؤدي إلى إسقاط الفرد في مهاوٍ كان بمنأىً عنها.

بينما نجد الإمام عليه السلام يريد له الرُقي إلى مستوى افضل فلا يكون وصولياً يستسهل كل شيء لأجل انجاز مطلبه والتوصل إلى حاجته بل عليه الصبر على فوتها وعدم تنجزها لئلا يخسر بعض أخلاقه إذ إنّ مَنْ لم يكن اهلًا لطلب الحاجة سيكسب من حيث توصل الآخرين به إلى حوائجهم مما قد يعني له أنّه على منهج صحيح مع أنّه إنما صار غير مؤهل لطلب الحاجة منه باعتبار تخلقه أو تصرفه بما هو بعيد عن المبادئ والقيم الصحيحة.

فالاحتكاك والتعامل معه على نفس المستوى مع الآخرين يفتح له الضوء الاخضر للاستمرار في مسيرته نحو الخطأ. بينما علينا أن نتعاون لاستنقاذه مما هو فيه ليكون في الصف المعتدل ويكتسب الاخلاق الحميدة وعندها فلا مانع ولاضير من الاحتكاك به وطلب الحاجة منه.

ففي هذه الحكمة امران:

الاول: أن لا يكون الإنسان وصولياً بل عليه أن يحتفظ بمبادئه وكرامته الانسانية لئلا يُغلب عليهما من خلال ضغط الحاجة الموقوتة.

الثاني: تجنب التعامل مع بعض الذوات ممن يحملون صفات ذميمة ليكون ذلك التجنب أو المقاطعة رادعاً له عن الاتصاف بتلكم الصفات غير الحميدة.

لأنّ الهدف الاسمى للإمام عليه السلام هو كسب الناس جميعاً إلى حيث الاستقامة والسلامة في الدنيا والآخرة من كافة ما يعّرضهم إلى المساءلة أو التردي في المهاوي.

إذن فعلى الإنسان أن يعيش مبادئه وما تعلمه من قيم ومُثُل روحاً وفكرة لا مجرد شعارات يرفعها و يتركها عند الحاجة لأنّ ذلك يعني انهزامية وعدم ثقته بمبادئه وافكاره وهو مؤشر سلبي.



◄ ١٠٨ - قال عليه السلام:

في تقلبِ الاحوالِ علمُ جواهر الرجال.

من السهل جداً تكوين العلاقات الاجتماعية على صعيد الافراد أو الجماعات، وبمستوى وثيق أو مصلحي مؤقت، إلّا أنّ ذلك قد يشكل مشكلة في يومٍ من الايام عندما يكتشف الإنسان أنّ مَنْ اقام معه العلاقة لم يكن بمستوى يؤهله للاتصال به، وذلك المستوى إمّا

الانحطاط الفكري أو العقيدي أو الاخلاقي أو حتى المستوى المعاشي احياناً والسياسي في احيان كثيرة.

فالدعوة إلى انتقاء الأصدقاء وعدم التساهل في ذلك لأنّه انما تصح العلاقات وتتأكد وتأخذ طابعاً اخلاقياً مؤكداً عندما تتعرض للتجربة وتخضع للاختبار إمّا بقصد أو بشكل عفوي وعندها يعرف الإنسان معارفه واعداءه، وأعوان الزمان عليه، ومَنْ هم مخلصون معه، ومَنْ هم مصلحيّون يتبعون مصالحهم الشخصية، إذ قد تتجلى شخصية فرد في المجتمع فيلتف حوله الكثير الكثير طلباً لفوائد ومقاصد خاصة. لكن على العاقل أن لا يُخدع فيجعلهم رصيداً يتكّل عليه في وقت الضيق وعند الحاجة بل عليه التريث في الحكم طويلّا إلى أن تصادف التجربة المناسبة غير المصطنعة - لأنّ رد الفعل قد يكون مصطنعاً ايضاً - ليكتشف مدى نجاحه في علاقاته الاجتماعية.

فلا يظهر معدن الصديق إلّا بعد اخضاعه للتجربة ولا يمكن لأحدٍ معرفة جوهر الآخرين إلّا عند تغيّر الحال في المستوى المعيشي، الاجتماعي، الثقافي، المنصب الاداري، المركز الحساس...

إذ قد تكون العلاقة مبنية على الانتفاع فحتماً يظهر جوهر المقابل بأنّه مزّيف وغير صدوق في صداقته وليس جديراً باستمرار العلاقة والمداومة عليها لأنّ الصداقة تحتاج إلى تبادل الاخلاص والوفاء والصفاء وأمّا إذا انقطع ذلك من أحد الاطراف فتصاب بالفشل حتماً.

حرف القاف

◀ ١٠٩ - قال عليه السلام:

قَدْرُ[١] الرجلِ على قَدَرِ همته، وصدقُهُ على قَدَرِ مروءته، وشجاعتُهُ على قَدَر أنفتِهِ[٢]، وعفتُهُ على قَدَر غَيرتِهِ.

الدعوة إلى أن يتعرف الإنسان على خصائصه الذاتية الحميدة ليحجِّم نفسه بالحجم المناسب فلا يكون مجحفاً معها ولا متجاوزاً مبالغاً ومما يتعرف من خلاله:

١ - علّوُ الهمة وقوة العزم والتصميم على التنفيذ والانجاز بما يحقق نجاحاً له ومنفعة لغيره، فإذا كان الإنسان كذلك كان رفيع الشأن عاليَ الجانب محترماً لدى الآخرين موقّراً بينهم محبوباً لما وجدوه فيه من قوة وإرادة وهمة عالية تدلل على رجولته وكماله واتصافه بخير الصفات فيكون محلًا للثقة ومركزاً للاعتماد ومورداً للاهتمام ومحطاً للانظار.

---

(١) القَدْر بفتح الدال أو تسكينها بمعنى الحرمة والوقار. والقَدَر بفتح أو تسكينها بمعنى مبلغ الشيء والطاقة والقوة. لاحظ المنجد ص٦١٢ مادة. (قَدَرَ).

(٢) الأَنَفَة: وهي عزة النفس. المنجد ص٢٠ مادة (أَنَفَ).

إذن فمَنْ يريد تقدير الناس له واحترامهم واعتمادهم. . . عليه أن يتصف بالهمة العالية والارادة الصلبة ليستطيع خلالها تحقيق ما يريد وتنفيذ ما يطمح اليه، أمّا لو تصورنا العكس لتَفَرَّقَ الناس من حوله ولقلَّ اعتمادهم واحترامهم وتقديرهم له ولزالت ثقتهم أو تزعزت، فيُهْجَر ولا يكون مؤثراً في الحياة فيكون حاله وكبقية المخلوقات مما لا تترك بصمات ايجابية نافعة على صفحات الحياة بما يخلِّد الذكر ويرفع الشأن.

٢ - الصدقُ ومطابقةُ القول للعمل وانجازُ الوعد وعدمُ التخلف عنه - مهما كان - فإنّه يدلل على اتصافه بالصفات الحميدة مما يعني كمال الرجولية والنخوة والقوة فمهما تكامل في هذا السبيل كانت نسبة صدقه أعلى من كذبه ومن تخلفه عن وعده والتزاماته.

وهذا ما يحثّ على الالتزام والانضباط والتعوّد على النظام الدقيق فإنّه مؤشر على التكامل النسبي وهو مطلوب الأغلبية إن لم يكن الجميع ولو ادعاءً.

٣ - الشجاعة، والإقدامُ وهيمنة روح الصمود، والصبر على المواجهة عند الحاجة، مما يدل على عزة النفس والشعور بالكرامة والأصالة فيتقدم في حالات المواجهة على أساس إبائه الضيم وترفّعه من الداخل عن الذلة فلذا يستسهل الصعب من أجل ذلك ليعيش عزيزاً محترماً محفوظ الجانب.

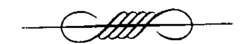
فالأجدر بالإنسان أن يتكامل على خط الدفاع والقدرة على

التغلب والوصول إلى النصر والظفر من دون ما شعور بالانخذال من الداخل ليتم له ما يريده من عيش كريم.

٤ - العفة والكف والابتعاد والتنزه عما لا يحل شرعاً أو لايليق بالإنسان ولو عرفاً وعقلائياً، فإنّ ذلك يدلل على ترفعه وحميته وانبعاثه في ذلك عن قناعة بعدم استحقاق الغير في مشاركته ولذا يغار ويتحمس للدفاع عما يكره المشاركة فيه.

فالمطلوب إذن أن يكون الإنسان متحسساً في مواقف معينة لتُعْرَفْ عفته ونزاهته ولئلا يُرمى بعدم الغَيرة والتسافل الاخلاقي.

فهذه الخصائص: علو الهمة، الصدق، الشجاعة، العفة.. لها أثرها البالغ في الكشف عن شخصية المتصف بها وإثبات جوهره ولو لم يكن معروفاً، مشهوراً، غنيّاً، ذا منصب، ذا قوة، ذا جاه.. فإنّها تصلح كمعرِّفات ومفصحات عما يتحلّى به الفرد. فلا بُدَّ من المحافظة عليها لتتكامل الشخصية القوّية التي أرادها الاسلام للفرد المؤمن.



◀ ١١٠ - قال عَلَيْهِ السَّلَامُ:

قُرِنَت الهيبةُ بالخيبة، والحياء بالحرمان.

والفرصة تمرُّ مرَّ السحاب فانتهزوا فُرصَ الخير.

الدعوة إلى أن يكون الإنسان واثقاً من نفسه ومما يحمله من

طاقات فعّالة في المجتمع فلا يتعوّد التردد في اتخاذ المواقف بعدما تتضح له حقيقة الأمر مما يسهّل عليه إتخاذ القرار وما يناسبه من إقدام وسعي وتنفيذ وتحمّل المسئولية فإنّ مَنْ يهاب شيئاً ويخاف من الاقدام عليه فحتماً سيخيب في تحقيقه ويُحْرَم من تنفيذه.

إذن الهيبة من الاقدام ومخافة النتيجة المقبلة يلازمها الخيبة وعدم الظفر بالمطلوب وانقطاع الأمل والتراجع خطوات إلى الوراء بدلًا من التقدم المأمول وهذا كفيل باسقاط شخصية الإنسان داخلياً وخارجياً، عند نفسه وعند الآخرين. إذ حالة التردد والتقاعس وخوف النقد أو عدم التلقي المتوقع ونحو ذلك تهيّء جواً نفسياً يخيم عليه اللوم والندم واحتقار الذات وعدم الثقة بالنفس وهو ما يؤدي إلى تأزّم الوضع والاحباط بالتالي، فلم يفلح في طريق الحياة، وقد يؤدي إلى محاولة التخلص من هذا الجو الخانق بمختلف الوسائل.

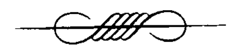
وأيضاً فحالة التردد تقلّل من فرصة اعتماد غيره عليه أو الثقة بآرائه ومستويات تفكيره ومنجزاته وخطواته الاصلاحية مما يؤطره داخل خيبة الامل وعدم الاهمية في المجتمع وهو أمر متعب جداً قد يفضّل الإنسان الهروب من المواجهة، المعايشة، الحياة - احياناً - لذلك.

وهذا مما يعني أن ندقق في دراسة المواقف لئلا تُصَاب بالفشل والخيبة، ولا نتورط بالتهور والاقدام غير المدروس المنتج لعواقب

وخيمة، وعند اكتمال النظرة المبدئية للحالة يقرر الإنسان الاقدام أو التريث فلا تفوته الفرصة في وقتها المناسب.

وأيضاً فإنّ حالة الخجل المفرط تثني الإنسان عن بلوغ الاماني وتحقيق الطموح وبالتالي يفشل في الحياة وهو ما يتجنبه كل أحد - غالباً - لأنه قد يضيّع الفرصة على الانسان، والفرصة لا تعوَّض لأن الحظّ يطرق باب الإنسان مرة واحدة - كما يقولون-. فإن وجده مستعداً أخَذَه إلى حيث تحقيق الآمال والنجاح في الحياة، وإلّا فهناك العديد الكثير ممن هو اكثر استعداداً وتلقفاً لذلك.

فلابُدَّ أن نقدِّر دعوة الإمام عليه السلام إلى الاستعداد للأخذ بالفرصة في الحياة لأنّ للانسان دوره في التخطيط للمستقبل وينضاف إلى ذلك طبعاً توفيق الله تعالى وارادته ولكن لابد من أن نعرف جيداً أن لا أحد يُلْجَأ إلى اتخاذ قرارٍ بالشكل الذي تُسحب منه القدرة على التفكير إذن لا بُدَّ من أن نسعى لنكون سعداء في الحياة بما لايترك مجالًا للفشل بل يفتح ابواب الأمل أمامنا لئلا نكون اسقاطيين بمعنى أن نلقي ونسقط بفشلنا على القسمة، النصيب، الأهل، الحظ، الظروف، مداخلة الغير... بل لابُدَّ من أن نستوعب الحالة بما يجعلنا قادرين على اتخاذ القرار المناسب في وقته المناسب لنتواصل في مسيرة الحياة كما سار السابقون.



◄ ١١١ - قال عليه السلام:

القناعةُ مالٌ لا ينفد.

الدعوة إلى الرضا بالميسور والاكتفاء بالموجود وعدم اللهفة وراء المفقود لأنّ التعود على القناعة يهيء عند الإنسان قاعدة صلبة يستقبل عليها كل ما يطرأ من متغيرات الاحوال: الفقر، الغنى، الصحة، المرض، الوجاهة الاجتماعية، عدمها، الولد، فقده...

الّا أنّ المقصود هنا بالذات هو تعويد النفس على الرضا بالمقسوم لأنّ ذلك يوفر له راحة دائمة تقوم مقام المال في احيان كثيرة ولو من حيث الحالة النفسية ليطمئن من الداخل ولا يقلق لعدم وجود المال لتمشية لوازمه الحياتية بل يكتفي بالموجود ويبرمج وضعه الاقتصادي ومستواه المعيشي وفق ذلك وحتماً سيصل إلى الكثير مما يريد عن طريق ذلك المال الباقي بما يحتفظ به من رصيد معنوي داخل النفس والناشئ من الايمان الكامل بجدواه كحلٍ للحالة المعاشة.

بينما لو كان ممن لديه المال وينفق منه فلا بُدَّ من نقصه تدريجاً والوصول إلى الرقم الاقل وهكذا حتى تصل الحالة - أحياناً معينة - إلى الافلاس أي نفاد المال وانتهاؤه.

إذن فلا بُدَّ لنا من القناعة لأنها تخدمنا من حيث نشعر أو لا نشعر وتجعل من حياتنا فرصة عيش مريح بدون قلق وتحسبات مزعجة.



◀ ١١٢ - قال عليه السلام :

قيمةُ كل امرئ ما يُحسِنه.

الدعوة إلى الارتقاء بالنفس إلى حيث التكامل والتنامي وتحسين الوضع في مناحي الحياة المتعددة كافة، وأن يبني الإنسان ذاته بما ينفعه ويخدمه حاضراً ومستقبلاً وعدم التعويل على الماضي سواء له أو لسلفه من آباء واجداد لأنّ مقياس التقدير وميزان التصنيف الاجتماعي إنّما يتم بلحاظ القابليات والمؤهلات الشخصية بغض النظر عن الغير مهما كانت القرابة.

وبهذا علا نجم النجوم واشتهروا، وذاع صيت العظماء والمبدعين.

لا بالنسب أو الرصيد من الاموال أو العدد من الزوجات أو الاولاد. . . فإنّ انحاء المعرفة التي يتوصل اليها الإنسان في حياته هي التي توجِد منه إنساناً له حضوره في المجتمع، وتخلّده في سجل الحياة بمقدار ما أثّر ونفع بغض النظر عن صنفه الاجتماعي مبتدءاً من رأس الهرم إلى مستوى القاعدة فإنّ كل فرد في هذا التسلسل الهرمي له تأثيره في مسيرة الحياة وتكاملها، وسعي الناس نحو التكامل من دون ما ملاحظة للخصوصيات الجانبية للمهن، أو الاهمية للعلوم. وقد صارت هذه الحكمة مَثَلًا سائراً[١].

(١) المنجد - قسم فرائد الأدب، حرف القاف ص ١٠٠٦.

فنستفيد من ذلك التأكيد على مضمون المثل المعروف (كن عصاميّاً ولا تكن عظاميّاً)[1] مما يعني الاعتماد على النفس والمؤهلات الشخصية لا الاعتماد على الآباء والاجداد ممن صاروا عظاماً نخرة فإنّ مجدهم لهم وليس للإنسان منه إلّا الانتساب فقط.

(١) القاموس المحيط ج٤ ص١٥١. ومجمع الامثال للميداني ج٢ ص٢٩٣.

حرف الكاف

◀ ١١٣ - قال عليه السلام :

كفى بالأجل حارساً .

الدعوة إلى الثقة بالله والتوكل عليه وعدم الاتكال على الإعدادات الشخصية للحماية لأنّها مهما كانت دقيقة وحساسة في ضبط الحالة لتطوّرها وتفوقها في مجال الحراسة وتوفير الحماية فإنّها تعجز عن ذلك إذا كان المحتوم بل وتكون أداة مساعدة أحياناً على تهيئة الامور بما يجعلها مستجيبة لأمر الله تعالى.

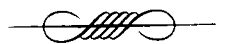
فإنّ من اليقين أن لكل مخلوق أجلًا معيناً ومدة يقضيها في الحياة الدنيا ولا يمكن لأحد - مهما كان - أن يختصر من ذلك أو يقلل المدة أو يتدخل في كيفيتها بل ذلك مما ينفرد به الخالق عزّوجلّ، وهذا لوحده كافٍ في تأمين هذا الجانب الحساس الذي يحتل من الإنسان جانباً واسعاً من تفكيره وتدبيره.

إذن إنْ تَطَرَّقَ الشك لدى الإنسان في شيء فلا يشك في أنّ الموعد المقرر لرحيله عن هذه الدار الدنيا إلى حيث الدار الآخرة

وساحة القضاء العادل والمجازاة، هو الكفيل بابقائه حتى حلول الموعد فهو المدافع والمحامي والحارس.

ولا يعني هذا أن يترك الإنسان نفسه عرضة للخطر أو من دون ما اجراءات أمنية مناسبة وحالته الخاصة بل عليه أن لا يمنعه ذلك من الاعتقاد الراسخ بأنّ الله هو الحامي القادر على كل شيء ومن دون ارادته وأمره لايتمّ شيء.

فالمطلوب من الفرد المسلم أن يسلّم أمره لله تعالى ولكن مع اجرائه لتلك الاجراءات المناسبة له كإنسان ومن دون ما اتكال واعتماد بل يعزز ذلك ايمانه بالقدرة المتعالية والاحاطة بكل شيء احاطة هيمنة وقدرة.



◄ ١١٤ - قال عليه السلام:

كفى بالقناعة مُلْكاً وبحُسنِ الخُلُقِ نعيماً.

الدعوة إلى تمثل أمرين مهمين في مسار الحياة ليضمن الإنسانُ الحياة الكريمة من دون ما إساءة أو تعكر.

القناعةُ مُلكٌ

الأمر الاول: القناعة بأنّ يكتفي بما يجده ويرضى بما قسم الله تعالى له، وبذلك يضمن عدم إساءة أحد اليه من هذا الجانب بل

يعيش الغنى والاكتفاء نفسياً ويمارس ذلك عملياً لا من دافع الارصدة في البنك أو التضخم في الاموال والمقتنيات والعقارات و. . . مما يفقده معنى القناعة ويكون على النقيض تماماً من ذلك بل يتحرك في المجتمع بكل ثقله من الطمع والجشع وربما أخذ فرص الغير أو تَفَرّدَ بالفرصة المربحة و. . . مما يجعلنا نفقد انساناً ونعايش مجمّعاً للمال ونساير كتلة ثراء وغنى الذي يؤثر - حتماً - على المجتمع ولو بنسبة معينة.

فالإمام عليه السلام يشّد على يد القنوع ويطمئنه بأنّه من ذوي الملك لكن لا بالتعبير السائد لأصحاب الاموال التي ما عرفت الرحمة والقناعة طريقها اليهم فلم يتذوقوا طعمها.

حُسنُ الخلق نعيمٌ

الأمر الثاني: حُسن الخُلُق بأن يتعامل مع الغير بأوسع ما لديه من انفتاح وانشراح في المعاملة سواءً قولاً أم فعلاً لا بحدود المعاملة الوقتية بل على الإنسان أن يقتنع بجدوى حُسن الخلق فيتلبس به ويمارسه من واقع الاقتناع بضرورته وأهميته إذ ليس من الضروري تحميل الآخرين المشكلات والازمات وحالات الفشل الخاصة الشخصية بل لابد من التساير بما يحقق الجو الملائم لديمومة عجلة الحياة وبما يجعل الكل في تبادل ايجابي وتعامل مرضي لتكون النتيجة صالحة لكل الاطراف.

فالدعوة قد ركزت على أمرين مهمين في حياة الإنسان الشخصية

والعامة ولهما دور كبير في تشجيع الإنسان على مواصلة الكفاح في درب الحياة - كما يقولون - فلا يشعر أحد بتفوق أحد من حيث الثراء والغنى، ولايعاني أحدُ من سوء معاملة آخر بما يجعله متشنجاً ومتعباً.



◀ ١١٥ - قال عليه السلام :

كفاك أدباً لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك.

من المعلوم أنّ الإنسان المستقيم التفكير، السوي الطريقة، يميل نفسياً وسلوكياً في الحياة العملية إلى ان يسير بسيرة يكون من ثمارها وصف الناس له أنّه مؤدب، مهذب، ملتزم، موزون.. وغير ذلك مما يعني المدح والثناء والقبول والارتياح الذي لا يمكن صدوره من الجميع إلّا إذا تحققت في الفرد الممدوح شرائط السيرة الصحيحة والتعامل المحافظ على الخطوط العامة لقواعد المجاملات الاجتماعية وهو أمر ليس بالسهل - غالباً بل دائماً - لما هو معروف من تعدد الاهواء وتشتتها وعدم اتفاقها على أمر واحد فقد يرضى شخص بالتصرف المعين في الوقت الذي يغضب منه آخر، أو قد يثني انسان على قول معين في حال أنّ انساناً آخرَ ينتقده بما يجعل عملية إرضاء الجميع غير سهلة فكان دور هذه الحكمة هو رسم طريق لو سار عليه الإنسان في حياته العملية لأوصله إلى الهدف

المنشود الذي يسعى اليه ويميل نحوه بحسب طبيعته القويمة وفطرته الاولى وأنّ (الإنسان مدنيٌّ بالطبع) ومعالم هذا الطريق وأوصافه قد اختصرها الإمام عليه السلام بأن يجعل الإنسان نفسه مقياساً لمعرفة حالة القبول أو الرفض لدى الآخرين لما يصدر منه شخصياً من أقوال أو أفعال وذلك بأن ما يجده الإنسان مقبولاً وسائغاً من الغير فيعرف أنّه مقبول وسائغ منه والعكس صحيح أيضاً وأنّ ما ينتقده الإنسان من الاقوال والافعال ويعتبره امراً مستهجناً من الغير فعليه أن يتجنبه ويبتعد عنه ولايتورط به لأنّه يشكّل علامة سلبية عليه في اذهان الآخرين.

ولو التزم الإنسان بهذا المقياس فجعله ميزاناً يزن به اقواله وافعاله فما يرضاه من الناس لو صدر منهم يفعله، وما يرفضه منهم يتركه ليضمن بالتالي أنّه مؤدِّبٌ لنفسه وكفى بها تقييماً يعتز به بل ويفخر به العقلاء المدركون لأحوال التعامل الاجتماعي وما يلزم في ذلك المضمار.

إذن فالدعوة إلى أن يلتزم الإنسان تأديب نفسه وتهذيبها والسيطرة عليها من خلال الابتعاد عن كل ما يكرهه ويتجنبه وينتقده من أقوال الغير وأفعاله بما يجعل القاعدة متوازنة إذ الناس[1] بحسب الخلقة

(١) وهذا مع غضّ النظر عن العوامل البيئية أو الجغرافية أو الدينية التي تعترض ذلك أحياناً بما يضفي عليه الخصوصية ويجعله ضمن حدود معينة فلا يتجاوزها إلى الآخرين من الناس الذين يعيشون ضمن حدود أخرى.

والطبيعة الانسانية متساوون في الانسجام مع امور والابتعاد عن اخرى فمن الممكن جداً إدراك المقبول والمرفوض اجتماعياً ليتجنبه الإنسان ليكون بذلك مصدر راحة للاخرين.



◀ ١١٦ - قال عليه السلام:

الكلام في وثاقك[1] ما لم تتكلم به فاذا تكلمتَ به صرت في وثاقِهِ، فاخزن لسانك كما تخزن ذَهَبَكَ و وَرِقِكَ[2] فرُبَّ كلمة سلبت نعمة وجلبت نقمة.

الدعوة إلى أمرين، **الاول**: التحفظ الشديد، والتحرز، والتدقيق فيما يجرّه الكلام من عواقب، وحساب الاحتمالات في ذلك ليتعرف الإنسان على موارد النفع أو الضرر في كلامه، إذ أنه قبل أن

(١) الوَثاق والوِثاق: ما يشدُّبه من قيد وحبل ونحوهما. المنجد ص٨٨٦ مادة (وثق).

(٢) الوَرق والوَرْق والوَرَق: الدراهم المضروبة. (القاموس ج٣ ص٢٨٨)، اقول لما كانت الفضة هي المادة الأساس لتصنيع وسبك الدراهم - قديماً - فلذا قد عُبّرَ بما معناه الدراهم خاصة عن الفضة لهذه المناسبة هذا بلحاظ المقابلة بين الذهب والفضة وأما بلحاظ المناسبة بين الذهب الذي تُسَكّ منه الدنانير - قديماً - وبين الورق الذي هو الدراهم المضروبة فهو صحيح أيضاً بعين الاعتبار.

يتكلم هو مالكٌ له ولايعرف أحد ما يريد التكلم به كما يعرف هو فهو مسيطر ومتوازن، وأمّا بعد الكلام فيصير مملوكاً للكلام إنْ خيراً فمصيرٌ محمود يحمد الله تعالى عليه، وإنْ شراً فمصيرٌ مذموم وموقف لا يُحسد عليه وهو يستعيذ بالله من شر ذلك الكلام الذي كان هو مصدر بثهِ، ولولاه لما أدانه أحد، ولذا جاء التشبيه بما يكون مشدوداً ومأمون الجانب لإحكام القبضة عليه من خلال المَشد فلا يُخاف من افلاته بينما إذا أفلت صار مصدر ازعاج وتعب حتى تُعاد السيطرة عليه ثانياً وهذا ان أمكن في بعض الحالات فلا يمكن في حالة عدم ضبط اللسان لأن آلات التسجيل الطبيعية أو المصنعة قد حفظته ومن العسير محوه وعندها تكون المشكلة.

الثاني: معرفة الإنسان أنّ اللسان يُحفظ من الغير كما تُحفظ الأموال عن الغير بل أحياناً يكون حفظ اللسان أشد أهمية وألزم من حفظ الاموال لأنّ الاموال عرضة للزوال والتجدد وأمّا اللسان فإذا كان الكلام لغير صالح المتكلم فإن ذلك يعني الزوال إلى الأبد من دون ما عودة وفي ذلك متاعب شخصية، اُسرية، اجتماعية لما يتركه الإنسان من فراغ بحسب وضعه الخاص. مضافاً إلى أنّ الذي لا يسيطر على لسانه يكون قد أعانَ على نفسه فيأثم بذلك والمقصود من الاعانة عليها أنْ سَهَّلَ الطريق وأعطى مستمسكاً لأجل إدانته وتعريضه للأذى.

وإنّما جاء هذا الحث على حفظ اللسان - مع أنّه باللسان يتوصل



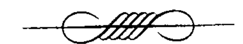
الإنسان إلى غاياته ويبّين مقاصده ويظهر مستوى تفكيره فقد يكون اللسان سُلّماً لرُقيّه وعلو شأنه - لأنّ الإنسان في حالات الانفعال النفسي أو الاثارة أو التأزم أو الغضب أو التفاعل مع قضية معينة قد يفقد السيطرة - وهو كذلك غالباً - فلا يلتفت إلى لوازم كلامه كما هو حاله في حالات الاستقرار النفسي والسيطرة على اللسان لعدم الغضب أو التأزم فكان هذا الحث في محله جداً لأنه كـ جَرَسِ تنبيه وجهاز انذار في حالات دنو الخطر وقربه ولعلها آخر فرصة للأنقاذ.

وقد عقّب عليه السلام ببيان حالتين تحدثان جرّاء عدم حفظ اللسان وهما.

إمّا زوال حالة رخاء وتنعّم بأيّ مستوى كان وأياً كان مظهره،

وإمّا حدوث أزمة وضيق ومتاعب ومن بعدها المصاعب،

بما يجعل الإنسان مقتنعاً تماماً بضرورة ضبط اللسان وعدم اعطائه الضوء الأخضر دائماً بل لا بُدَّ من برمجته وفق القواعد الصحيحة.



◀ ١١٧ - قال عليه السلام:

كلّ مُعاجَلٍ يسأل الإنظار، وكلّ مؤجَّلٍ يتعلّل بالتسويف.

الدعوة إلى إنجاز المهمات المطلوبة وعدم المماطلة في أدائها خصوصاً إذا لم يكن هناك بديل. إذ إنّ الإنسان إذا لم يواجه حالةَ تحدٍ - ولو في إطار ضيق - فلا ينجز بكفاءة إذ يتعلل بضيق الوقت أو قلته أو عدم إعطاء الفرصة أو طلب المزيد منها أو.. أو... هذا

إن كانت المهمة المطلوب انجازها على نحو السرعة والعجلة. واما إن كان على المدى البعيد فيتعلل بالنسيان أو تراكم المشاغل أو كثرة الشواغل أو طول المدة بما جعله مقدِّما لغيرها أو. .أو. . .

إذن فهو في كلتا الحالتين معتذرٌ، غير منجز للمطلوب وهذا مما يعني تأخّره في هذا المجال وتقّدم غيره عليه ممن يكتب له التوفيق والنجاح في انجاز المهمة المطلوبة - هذا على اساس التنافس المشروع الذي لا بأس فيه لتحفيز الهمة وبعثها أكثر فأكثر نحو العمل والمواصلة بما يرفد مسير الحياة -.

فالمطلوب مواجهة الحالة بشجاعة والإقدام على العمل المطلوب القيامَ به ولا يعتذر بضيق الوقت أو طول المدة ونسيانه بل لا بُدَّ أن يحتل مرتبة من تفكيره بما يجعله معايشاً له حتى الانجاز.



◀ ١١٨ - قال عَلَيْهِ السَّلَامُ:

كلُّ مقتصَرٌ عليه كافٍ.

كلمةٌ مختصرةُ الالفاظ، جزلة المعاني، ضخمة الاهداف، بعيدة الاعماق بما يعطي درساً وعظياً، تربوياً للانسان ليستفيد منه في مسيرته اليومية وفي جميع شئون حياته الخاصة والعامة بما يجعله يعيش القناعة روحاً وفكرة ومضموناً وتصويراً بكل تعابيرها ومدلولاتها.

فلو تعلّم الإنسان هذا الدرس واستوعبه جيداً لضمنّا إلى - حدٍ كبير - عدم حدوث أزمات: اقتصادية، سياسية، بيئية، . . . لأنّ المطلوب هو الحصول على الحد الكافي الذي يؤمّن الحاجة ويوفرها من دون ما إلجاء إلى الادخار أو الاحتكار أو الاستغلال أو الاستبداد بالامور بما يوسّع الفجوة بين طبقات المجتمع الواحد أو المجتمعات المتوحدة أو المتعددة.

فيحسّ البعض بالحاجة الماسّة بينما يفيض المخزون عن حاجة البعض الآخر بما لايكون منسجماً مع قواعد التوزيع والتنظيم العادلة الصحيحة ولو من وجهة انسانية وليست دينية وإن كان هما توأم يتعايشان معاً لأنّ الدين منقذ الشعوب، ومن أهم اهدافه رفاهية الإنسان وإسعاد الانسانية أينما تواجد افرادها.

ولو عرف - الإنسان - أيضاً أنّ ما حَصلَ عليه وسدَّ احتياجه هو المضمون له وما عداه فهو في عداد الآمال والطموحات التي قد تتحقق وقد لا تتحقق - لو عرف هذا - لوَفّر على نفسه مؤنة المتاعب، وعلى غيره مؤنة الحاجة والشكوى ولتكافأت إلى حّد كبير نسبة الحصول والاستفادة ولم تتكدس في جانب دون آخر.

فالدعوة إلى أن يكون الإنسان عقلانياً في طريقة جمعه وتجميعه للامور المادّية - طبعاً - إذ المعنويات مما ينبغي التسابق لحيازتها مهما أمكن.



◄ ١١٩ - قال عليه السلام :

كم من أكلة منعت أكلات.

إن هذه الحكمة تبيّن نظاماً غذائياً مفيداً لو التزم به الواحد منّا بحيث ينظّم أكله بما يلتئم مع حالته و وضعه الصحي والنفسي فلا يسرف على اساس أنّها فرصة ولايترك على أساس الزهد.

بل يتوازن بما يحفظ له قوامه، ويعينه على مقاصده المشروعة واهدافه المرجوة في الحياة، لأنّ الله تعالى خلق الإنسان وأراد إسعاده، وخلق الدنيا وما فيها لخدمته وتذليل الصعوبات المواجهة له بما يجعله القائم بحكم الله في الارض.

فلا مانع إذن من التنعم بالمأكولات والالتذاذ بها لكن مقياس السيطرة متروك تحت يد الفرد ذاته لا يتحكم فيه سواه إذ هو على نفسه بصيرة، فلا يبقى جائعاً، شرهاً، متطلعاً لما عند غيره يَنْفَس (يحسد) عليهم نِعَم الله. . .

ولا يتحوّل إلى حاوية طعام وشراب بما يخرجه عن حد الإنسان الطبيعي وقد يلتحق بغيره من المخلوقات التي تقضي اوقاتها بالأكل.

وبهذا نأمن عدم حدوث ازمات صحية وكذلك اقتصادية فلا نشكو مجاعة أو حصاراً أو تضييقاً وإنّما الجميع يتوازن وفق هذه الحكمة التي تؤكد أنّ بعض الأكل يهدد وجود الإنسان أو يمنعه من الألتذاذ بالأكل مرة اخرى والى الأبد - أحياناً - فيكون طبيب نفسه

من دون ما مشاورة واستشارة طبية فلا أمراض القلب ولا السكر ولا الضغط ولا الربو ولا أمراض المعدة بعوارضها المختلفة ولا.. ولا.. مما يتعرض له الإنسان بسبب التركيز على بعض المأكولات ولو في سنٍ معين أو مدة معينة ولو كان لظروف خاصة فللأكل تأثيره فى الإنسان مهما كان.

فالدعوة إلى أن يلتزم الإنسان بما يوافق مزاجه ويلائم طبيعته، وأن لايسرف في الأكل لأنّه سيتحمل - وحده - بعد ذلك تبعات عدم الالتزام، والاسراف في الأكل.



◀ ١٢٠ - قال عليه السلام:

كم من مستدرَج[١] بالإحسان اليه، ومغرورٍ بالستر عليه، ومفتونٍ[٢] بحُسن القول فيه، وما ابتلى[٣] الله سبحانه أحداً بمثل الإمْلاء[٤] له.

إنَّ من المعلوم أنّ الله تعالى كريم لابخل في ساحته عزّ وجلّ ينعم

(١) أي مخدوع.
(٢) أي مُعْجَبْ.
(٣) أي أُختُبِر.
(٤) الامهال والتأخير. المنجد ص٧٧٥ مادة (مَلَوَ).

على مَنْ يعرفه ويوحده وعلى مَنْ لا يعرفه بل وينكر وجوده إلّا أنّ ذلك لا يعني في حال من الاحوال تساوي الحالين فإنّه يفيض بنعمِهِ الواسعة على مخلوقاته لأنه المنعم والخالق والغني المطلق عن أي أحد مهما كان والقوي والجبّار والمهيمن والذي تسع رحمته كل شيء والذي أوجد الاشياء من العدم مما يعني أنّ الجميع خلقه لم يفرّق بينهم سوى أنّ المخلوقين انقسموا إلى قسمين:

قسم آمن بخالقه وموجده ومدبره فعبده ونزّهه عن الشريك، والوالد والولد، والصاحب، ونفى عنه الاحتياج. . .

وقسم انحرف وابتعد عن الصواب ولم يفلح بالايمان والتوحيد. . .

وكل منهما لم تتدخل القوة في اختياره وانما قد وُضّحَ له المسار وحُدّد له الطريق الموصل إلى الخير فكان توجهه بمحض ارادته من دون ما إلجاء أو جبر. . . ولكن من الطبيعي سيكون القسم الاول أقرب وأفضل حالًا من القسم الآخر ولذا حصل المطيعون على امتيازات، كما حُرِمَ العاصون من بلوغ درجات لا يصلون اليها إلّا بالايمان والتوحيد والتقوى كما هو الحال في القسم الاول.

ولكنّ هذا لا يعني حرمان القسم الآخر من جميع الاستحقاقات الطبيعية لهم كمخلوقين بل لهم ذلك ثم تأتي مرحلة الاختبار ليُكشف من خلال ذلك مدى الاعتبار والاتعاظ إذ ما من شيء خلقه تعالى إلّا وفيه موعظة وعبرة لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد فإذا

استفاد أحدٌ من هذا واجتاز الاختبار وكانت النتيجة الاهتداء والايمان فيكون له ما للقسم الاول وأمّا لو لم يستفد بل تمادى على اساس القوة والاغترار ببعض القابليات - التي لم يلتفت إلى أنّها مخلوقة لله تعالى أيضاً - فسوف يمهل ويؤخر عسى أن يرعوي ويرجع إلى صوابه ورشده وإلّا فمصيره النار وساءت مصيراً وقد أودى بنفسه هو إلى هذا المصير ومن دون ظلم أو انحياز ضده أو جناية من أحد عليه لأنّه تعالى غني عن العالمين لاتنفعه طاعة المطيع ولا تضرّه معصية العاصي بل النفع والضرر في دائرة العبد فقط وسيندم ويشعر وقتئذ بأنّه جنى على نفسه بذلك الانخداع بتوالي الفرص والذي قد ظن أنّ ذلك الاحسان وتتابع النِعم عليه يعني أنّه على الطريق الصحيح حسباناً منه أنّه لو لم يكن كذلك لما تواصلت النعم عليه لكنه غفل عن أنّه تعالى قد حدد الطريق لكل أحد وبيّن المستقيم من المعوج ثم أوكل الأمر في الاختيار والسلوك إلى ارادة العبد من دون ما تأثير أو ضغط .

ويعرف أيضاً أنّ عدم اخذه بالعذاب وعدم تعجيل العقوبة له على المعاصي إنّما هو ستر من الله تعالى الخالق العظيم الرؤف الرحيم اللطيف الحنّان المنّان وليس عجزاً عن ايقاع العذاب وبالشكل المناسب حسب ما يشاؤه تعالى .

فالدعوة إذن من خلال هذا البيان إلى أن يراقب العبد ربّه، ويستشعر وجوده، ويؤمن بقدرته، وأنّه مطلع على كل شيء حتى

خطرات القلب ولحظات العين وما يجول من افكار ولو لم يبدها لأحد، فعندئذ يكون العبد على جانب كبير من التقوى، والورع عن محارم الله عزّ وجلّ بما يوفر له حالة الاستقامة بأجلى صورها وأبهى مظاهرها فينعم بها ليصل إلى رضوان الله وما فيه خير الدنيا و الآخرة.

فلابد للعاقل حينئذ من أن لا يغتر باقبال الدنيا عليه وكونه محظوظاً إذ من الممكن أن يكون ذلك اختباراً فلا بُدَّ من أن يكون متوازناً محافظاً على القواعد الصحيحة التي تضمن له عدم المساءلة أو المحاسبة.



◀ ١٢١ - قال عليه السلام:

كنْ سَمْحاً ولا تكن مبذِّراً، وكنْ مقدِّراً ولا تكن مقتِّراً.

الدعوة إلى اعتماد موازنة متعادلة الطرفين بالشكل الذي يضمن الانسيابية والاستقرار الاقتصادي ولا يضرّ بالمستوى المعيشي بما يهدد الوضع الاجتماعي من جهات كثيرة.

وذلك يعني أنّ يتعوّد الإنسان على الانفاق في ضرورياته وما يحتاجه ولو كانت من الكماليات الثانوية ولكن لا بتعدي الحدود المعقولة لذلك، ولا بتجاوزٍ ولا بافراطٍ بما يشكِّل علامة سلبية ضده فيوصف بعدم التوازن أو السفه أو قلة التدبير أو سوء التوزيع أو عدم

القدرة على الانضباط وكل ذلك بل بعض ذلك كفيل بتقليل فرص الاعتماد عليه اجتماعياً أو مهنياً.

لأنّ الناس اتفقوا بحسب الحالة الطبيعية المودعة لديهم على جلب المصلحة ودفع المفسدة بمختلف الصور والمظاهر، ومن الواضح أنّ صرف المال من دون توازن: من المفسدة وأيضاً صرف مقدار يفي باللازم وإبقاء غيره يُعَدُّ من المصلحة فمَنْ لم يوافقهم على ذلك ولو لحالة طارئة عليه فلا يعاملونه ولا يستأمنونه، وفي ذلك من الضرر بشخصية الفرد ماهو أوضح من أن يخفى على أحد.

فلابُدَّ من أن نتصور فارقاً بين أن ينفق الإنسان على ما يريد ولكنه لايسرف بمعنى أنه لا يتجاوز الحد المعقول، وبين أن ينفق بالشكل الذي يتعدى معه الحد المعقول فيصبح مبذراً مفرّقاً للمال من دون ما حكمة ومنفعة وعائدة.

فمن الواضح أنّ البذل مع التقدير والحساب ومراجعة الميزانية لا يتنافى مع قواعد الجود والكرم أو البذل الوجاهي بل إنّ ذلك يعني الانضباط والنظام اللذين يعززان الثقة بالفرد وقدرته على التقدير من دون ما تقتير وتضييق في النفقة.

فالالتزام بهذه الموازنة يضمن عيشاً مستقراً، مناسباً،مسايراً للوضع الخاص بكل فرد أو مجتمع لأنّ النسبة يتحكم بها نفس الشخص بقيمومة العقل ورعاية الضمير. فهو يتماشى مع وضعه الاقتصادي بالشكل الذي لا يرهقه من أمره عسراً كي لا يحتاج إلى

اقتراض أو استيهاب أو تحايل ونحو ذلك من وجوه تحصيل المال المحللة أو المحرمة لأنّ الإنسان ان سيطر على رغباته و وازن بين وارده وصادره تمكّن جيّداً من الانفاق من دون ما اجحاف ولا تقصير.



◀ ١٢٢ - قال عليه السلام:

كن في الفتنة[١] كابن اللَّبُون[٢] لا ظهر فيُركب ولا ضرع[٣] فيُحلب.

إنّ لهذه الحكمة أهمية خاصة إذ قد نشأ على حفظها الصغار وشابَ على ذلك الكبار جاعلين لها قانوناً يتّبع، ونصيحة يؤخذ بها من دون ما مناقشة وما ذاك إلّا لأنّهم تأكدوا من سلامة فكرتها وصحة

---

(١) المحنة والابتلاء. المصباح المنير ج٢ ص٦٣١.

(٢) ابن اللَّبُون: ولد الناقة يدخل في السنة االثالثة.. سميّ بذلك لأن أمّه ولدت غيره فصار لها لبن. المصباح المنير ج٢ ص٧٥٢. أقول: ولا خصوصية للذكر، إنما ذُكِرَ إمّا باعتبار أنّ المخاطب ذَكَرٌ - وهو الإمام الحسن عليه السلام - وإمّا من باب التغليب، لأنّه لاخصوصية للذكر بل يشمل الانثى أيضاً، لكن عبّر بلفظ الإبن تعميماً، وهو من الاستعمال الشائع.

(٣) الضرع: مَدَرُّ اللبن للشاة والبقر ونحوهما وهو كالثدي للمرأة. المنجد ص٤٥٠ مادة (ضَرَعَ).



هدفها وأحقيّة غايتها بما يجعلهم مقتنعين بها غاية الاقتناع ومترسميها في خطى الحياة بحيث صارت شيئاً مسلّماً حتى عند من لا يبالي بالتعاليم السامية.

ولعل من أهم أسباب ذلك أنّها تكفلت بتبيان خط عام يضمن لسالكه السلامة والامان من الاخطار المحدقة وذلك هو المطلوب للجميع حتى صارت مَثَلَا يستشهد به في حالات تلّبد الاجواء بالمشاكل السياسية أو الازمات المحلية.

وأيضاً مما حقق لها انشداد الناس وانجذابهم نفسياً أنّ الإمام عليه السلام قد وَضَّحَ ذلك بالمثال القريب من فهم عامة الناس فمن المعلوم أنّ ولد الناقة - وهي انثى البعير - لا تكون له مشاركة فعّالة وذلك لعدم احتماله وضعف بنيته فلا يستفاد منه ركوباً وامتطاءً أو حملًا ونقلًا هذا إن كان الولد ذكراً وأمّا لو كان انثى فالفائدة المتوخاة منها هو ادرار اللبن فلو كانت بذلك العمر فهي بعدُ لم تتأهل إذ لابد من تلقيح الفحل حتى يتكوّن اللبن.

فاذا عرفنا هذا عرفنا أنّ الإنسان إذا أراد السلامة لنفسه فلابُدَّ من أن لايدخل في متاهات لا تؤدي به إلى نتيجة، فعليه بالابتعاد حتى يحقق لنفسه الحماية والكفاية مما يحذر.

فالدعوة إذن إلى التوقي والحذر من الدخول في كل ما يعرض للانسان في حياته العملية من قضايا سياسية أو خلافات قَبَلِية، عائلية، أسرية، بين الاصدقاء، بين الشركاء، بين الزملاء، . . .

وعليه أن لا يجنح وإنّما يتخذ موقفَ المحايد إن لم يتطلب الامر التدخل وإلّا فعليه ان ينصر الحق ويتدخل إلى جانبه وإلّا كان معاوناً للباطل ومناصراً للظلم. فليس المراد من الحكمة التخاذل والابتعاد عن المسئولية بل التحفظ كيما يتضح الامر ويتجلى الحال بما يجعله مسدَّدَاً في اتخاذ القرار المناسب ليسلم من العواقب الوخيمة التي تكون عادة بعد ارتجال المواقف أو تصديرها لحساب حالات ضغط فكري أو مادي أو...



حرف اللام

◀ ١٢٣ - قال عليه السلام :

لا تجعلنَّ ذَرَبَ[١] لسانك على مَنْ انطقك، وبلاغة قولك على مَنْ سدّدك.

يمكن أن نستفيد من هذه الحكمة معنيين قد يهدف إلى كل منها قسم من المتأملين في الحكمة :

الاول: إنّها دعوة إلى عدم استعمال اللسان وهو نعمة[٢] أنعمها الله تعالى على عبده، يمكنه من خلاله التوصل إلى توضيح المقاصد والتفاهم مع القريب والتصويت للبعيد و. . و. . مما يدخل في مهمات البيان والتعبير، وأيضاً يمكن من خلاله تذوّق الطعوم وإدراك

---

(١) الذَرَبُ: بَذَاءُ اللسان. المنجد ص٢٣٤ مادة (ذرب).

(٢) ذكر د. خالص جَلَبي في كتاب الطب محراب الايمان ج١ ص٢٢٨ (ولننظر الان إلى هذا اللسان العجيب الذي يحتوي على (١٧) عضلة للحركة، وعلى غشاء مخاطي يغلّفه، وعصب خاص لتحريكه في كل نصف، أي عصبان رأسيان هما العصب تحت اللسان الكبير في كل جانب وستة اعصاب لنقل الحس...).

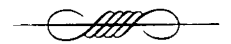
الحرارة والبرودة والحلاوة والمرارة كما يساعد على المضغ والبلع والذوق.

وهذه المنافع مهمة جداً في حياة الفرد ولها دور كبير في تسيير وضعه اليومي، ولو تعطلت أو افتقدها فسوف يعاني في سبيل التعويض والوصول إلى المطلوب بل يعاني كثيراً حتى ينسجم مع البديل المعوِّض.

فالإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ - على هذا المعنى الاول - يريد إشعار الإنسان بأهمية اللسان البالغة، فعليه أن يعرف قدر ذلك فلا يستغله في المعصية سواء كانت أكلَ أو شربَ بعضِ المحرمات المنهي عنها شرعاً أو التعبير به عن الافكار الهدّامة والمسمومة التي تروّج للالحاد أو الباطل عموماً لأنّ استغلال اللسان في ذلك يعني استغلاله في غير الجهة المخصَصَة أو المرجوة له لأنّه تعالى لا يحبّ الباطل بكافة اشكالِهِ ومظاهرِهِ ومختلف مستوياته وغاياته.

الثاني: إنّها دعوة لاحترام من كان تولّى التربية وكان يقوم بدور المعلم منذ البداية والنشأة الفكرية للانسان ملتزماً جانب الادب ومتبعاً قواعد اللياقة والاحترام فلا يتسلط ولا يتعالى عليه يوماً من الايام في مقال أومجلس أو.. أو... لأنّ أساس هذه القدرة المتنامية إنّما هي ببركة تعليم المعلم فلا بُدَّ من حفظ ذلك والوفاء معه ولا يعقل أن يجرب ذلك مع المعلم الذي يعود فضل التفوق إليه.

إذن فالحكمة تدعو إلى حفظ الحق وعدم تناسيه سواء كان للخالق تعالى لأنّه المنعم، أو للمؤدّب المعلم لأنّه الذي حاول تطبيع الإنسان (المادة الخام) وتحويله إلى مفّكر له أفقه الخاص في التفكير والتحرك نحو عالَم أوسع.



◀ ١٢٤ - قال عليه السلام:

لا تجعلوا علمكم جهلاً، ويقينكم شكاً، إذا علمتم فاعملوا وإذا تيقنتم فاقدِمُوا.

الدعوة إلى التطبيق وعدم الاكتفاء برفع الشعارات ومجرد الادعاءَ بل لابُدَّ من تعزيز ذلك بشواهد عملية تطبيقية ليكون الأمر واقعياً صحيحاً لينتفع به الجميع وإلّا فما الفائدة العامة مما يختص به الإنسان لنفسه.

١ - والعلم مما يجب تعميمه بصورة وأخرى للجميع ليستفيدوا منه وليتفقهوا في أمور دينهم ويعرفوا الصحيح من الخطأ فلا ينحرفوا خصوصاً وأنّ المُضلات التي تصرف الإنسان عن الواقع الصحيح كثيرة جداً، فلا بُدَّ من تطويقها بما يجعلها محدودة الدائرة لئلا يتورط بها الجُهّال الذّين قلّ نصيبهم في العلم.

ولذا قال عليه السلام (إذا علمتم فاعملوا)، إذن فهو يريد التطبيق ولامجال للتأخر والتماهل والتباطؤ لأنّ الإنسان إذا عرف الكفاية من نفسه وكان بمستوى المسؤولية لم يكن له عذر في التقاعس عن أداء واجبه أزاء المجتمع بل وأزاء نفسه لأنّه بعد بذل الجهد الجهيد حتى تعلّم فهل يصح أن يبقى في عداد الجُهّال لأنّ المعادلة واضحة من تعلّم يعمل ومن جهل لايعمل.

فإذا تعلم ومع ذلك لا يعمل فهو الجاهل كما أنّه إذا لم يتعلم ومع ذلك حاول العمل يقع في مشاكل ومطبّات كثيرة.

٢ - وأيضاً اليقين إذا حصل للإنسان فاطمأنّ قلبه وعرف الواقع ولم يلتبس عليه شيء فلا خيار أمامه إلّا التطبيق والعمل وفق يقينه.

فإذا ما ترك العمل بعلمه، أو ترك الاقدام على تطبيق ما تيقنه فإنه يحوّل نفسه إلى شيء آخر لا يطلق عليه عالم، متيقن.

لأنّ الفائدة المنتظَرة من العلم، اليقين هو التطبيق والعمل والتنفيذ الكامل لما يقررانه - العلم، اليقين - فإذا ما تجاهلهما فإنّه الوأد لهما وعدم التقدير لشأنهما وهذا ما لا يريده عليه السلام منّا بل يعلّمنا الواقعية والشجاعة واصالة الرأي ليقرر الإنسان مصيره بنفسه ولا يتعلل بعد ذلك بشيء لأنّ العلم، اليقين هما الحد الفاصل بين العالم والجاهل، وبين الواثق المتيقن والمتردد الشاك.



◀ ١٢٥ - قال عليه السلام :

لا تسأل عما لم يكن، ففي الذي قد كان لك شغل.

الدعوة إلى ترك البحث عمّا لايعني وعما لم يأتِ بعد، وعمّا سيصير لأنه مشغلة للانسان بما لا ثمرة فيه ولا جدوى من أثره خاصة وأنه لاينتهي إلى حدّ لفرض عدم حصوله وتحدده بل يبقى في اطار الاحتمالات الكثيرة والمتشعبة بما يجعل الإنسان في متاهة متعبة.

فالأفضل للإنسان والاليق به أن يعتني بأمره الفعلي فيصرّف أموره ويدبّر شؤونه ويبحث عما هو مفيد له في ذلك الظرف ويتابع المستجدات بما يقوّم وضعه وحاله ولا يتهرّب من ذلك بالتوجه إلى المستقبل الغامض الذي لايعرف مداه ولا ثمرةَ التباحث فيه.

لأنّ ما حدث وانتهى وما يحدث فعلًا يكفي لملء فراغ الإنسان من جميع النواحي النفسية، الفكرية، الزمانية، الاقتصادية، . . ويسدّ عليه أوقاته التي كان يعوزها الامتلاء بما لايترك له مجالًا للتفكير بأمور اخرى.

ولهذه الحكمة هدف سام يكتسب أهمية بالغة في الوقت الحاضر لما يعانيه العالم عموماً من أزمات ومشكلات نفسية تؤدي في بعض حالاتها إلى ما لايحمد عقباه وذلك - الهدف - هو :

إنّ الإمام عليه السلام يحثّ الإنسان على أنّ يكون عملياً اكثر فأكثر ولايكون من البطّالين والمقصود من أن يكون عملياً أن يتولى

مسئوليته اتجاه نفسه وعياله: زوجة وأولاد وسائر من يلتقيه، بتوجيه النصح، بمتابعة الدقائق ليضمن عدم الزلة، عدم الانحراف، عدم الخروج عن الخط الصحيح انسانياً أو عقائدياً، لأنّه لو ترك تلك الامور لغيره فليس من المضمون اداؤه لها بكفاية إن لم يساعد على تحطيم بعض الاسس المتبقية في النفوس والاذهان مما يخلخل كيان الفرد المستقيم وعندها تكون المشكلة أكبر من أنْ يحتويها ويصعب وجدان الحل أو يتعسر القيام به مما يعني التأخر عن المسيرة فيعطي فرصة لأصحاب النوايا السيئة بالسيطرة والاستيلاء.

وأَحسب أنّ مَنْ يستوعب هدف الإمام عليه السلام يوقن يقيناً صادقاً ويؤمن إيماناً راسخاً لاشك فيه أنّ الإمام يرعى الانسانية من قبل زمان بعيد ويخطط لحفظ الاجيال كي لاينزلقوا أو ينحرفوا أو يتورطوا فهل يبقى عذر لأحد لو صار بطّالًا يبحث عما لايعنيه ويتدخل في حسابات القادم؟ مع أنه لايضمن بقاءه حتى حصوله. فهذا درس اجتماعي تربوي يحسن بمن يريد السير وفق المنهج الصحيح استيعابه والاستفادة منه وعدم نسيانه مهما مرّت السنوات.



◀ ١٢٦ - قال عليه السلام:

لا تستحِ من إعطاء القليل فإنَّ الحرمان أقلُّ منه.

الدعوة إلى أن يساهم كلٌ بمقدار مكنته وجهده وأن لايستحي لعدم مساواته مع غيره ممن يشارك في دفع الاكثر، وذلك على

أساس أنّ الوجود خير من العدم ولابأس على الإنسان إن يقدم ما يمكنه، بل البأس عليه ان بخل بذلك أو ترك محتاجاً من دون ما اعانة ممكنة.

وهذه المشاركة تختلف باختلاف الموارد والاشخاص ولا تتحدد عند حدود اعطاء الفقراء والتصّدق عليهم بل ذلك من بعض الموارد، ولا يعني أنّ المعطي المخاطب بهذه الحكمة هو من كان محدود الدخل فقط بل يعم جميع الافراد خصوصاً وأنّ بعض الاغنياء ممن يبحثون عن الشهرة والأُبهّة والوجاهة الاجتماعية قد يمنعه من المشاركة: إنّه لا يستطيع - لأي سبب كان - المشاركة بما يقتضيه وضعه الاجتماعي فيرد أو يتملص أو يتخلص بوسيلة واخرى من المشاركة لئلا يعيّر بالقلة أو الافلاس أو أنّ غيره فاقَهُ في ذلك فتضيع عليه فرصة معاونة الغير، هذا كله باعتبار المعونة المادية بكافة صورها، وأمّا العون بالجاه والوجاهة وما يمكن ان يحققه الإنسان من دون ما تقديم الاعيان فأيضاً على الانسان أن لايفرط في الشيء القليل منه ولا يزهد فيه لأنّه ليس من المتوقع - دائماً - القيام بجميع الدور بل يكفي دفع العجلة بمقدار الامكان.

فالحكمة تعطي محفزاً لأن يقوم كلٌ بدوره في إسعاف المحتاجين - مهما كان الدور ضئيلًا - لئلا تتعطل الحالة وتكثر الشكوى وتكون عندئذ من المشاكل الاجتماعية التي يتفاقم حلّها شيئاً فشيئاً والله تعالى يراقب الجميع فمن سعى بمسعى كريم كافأه أحسن الجزاء

ومن بخل وتعطل أحوجه إلى ذلك ليجد ألم الرد وصعوبة الجَبْه والرد.



◀ ١٢٧ - قال عَلَيْهِ السَّلَامُ:

لا تصحب المائق[١] فإنّه يزّين لك فعلَهُ، ويودّ أن تكون مثله.

الدعوة إلى انتقاء الصاحب، والصديق، والمعاشر، واختياره واخضاعه لاختبار أخلاقي، أُسري، عقائدي، بما يجعل الإنسان في أمان من شر الانعكاس، والأخذ السلبي، وانتقال الصفات السيئة، فيخسر الفرد نفسه عندئذ جرّاء الصاحب المعاشر.

وقد حذّر عَلَيْهِ السَّلَامُ من صحبة الاحمق لأنّه يعاني من نسبة خلل عقلي بل قد ورد تعريف الحُمق في بعض المصادر اللغوية[٢] بأنّه فساد العقل فتكون النتيجة أشد. فهو وان يبدو للناظر وكأنّه متوازن التصرفات إلّا أنّه سرعان ما يُفْصِح عن هويته من خلال تصرفاته ونزعاته وتوجهاته و رغباته مما يترك الخيار للفرد في قطع الصلة أو الاقتصار على المجاملات الخالية من المصاحبة الأكيدة، أو المواجهة مع تحمّل النتائج الناجمة من طول المصاحبة وكثرة

(١) الأحمق. المنجد ص٧٨٠ مادة (موق).

(٢) المصباح المنير والمنجد ص ١٥٥ مادة (حمق).

المعاشرة والتوطن لذلك ولايظننّ أحدٌ أنّ من الممكن تفادي الوقوع في ذلك بأخذ الجيد واكتسابه وترك الرديء لأنّ الكرة لا تكون في ملعبه دائماً - كما يقولون - بل قد يتأثر تلقائياً، وعلى مرّ الزمان يتعوّد، خصوصاً إذا لم يكن الفرد ذا تجربة وخبرة يؤهلانه للانتقاء والاختيار فيقع في مطبّات تُفْقِدُه السيطرة على وضعه.

ومن المعلوم أنّ الصاحب والصديق يكون قوي التأثير على صاحبه الآخر لذا يفوق أحياناً تأثير الوالدين أو الأقرباء فإذا عرفنا ذلك وآمنّا به أدركنا سرّ تحذير الإمام عليه السلام ودعوته إلى أن لا نصحب الاحمق الذي قد علّل نهيه عليه السلام عن ذلك بأنّه يُحَسّن ويُحَبّذ لصاحبه مشاكلته ومتابعته وتقليده على أساسٍ من وحدة الحال، ومن الانفتاح، وسائر الضغوط التي يُعتاد ممارستها في مثل ذلك. مضافاً إلى أنّه يتمنى ويحب أن لا ينفرد بالعمل لوحده بل يكون معه غيره فإن كانت لائمة وسلبية في الموقف فلتكن على غيره أيضاً.

فلا بُدَّ للشباب والشابات خصوصاً مَنْ هم في سن لاتؤهلهم - مرحلياً - لاستبطان الأمور واستخبار الحقائق أن لايعمّقوا أواصر العلاقات المدرسية أو المهنية أو في سائر المجالات الاخرى التي تكون مجمعاً للالتقاء بل يكتفي بمجرد التعارف من دون منح المزيد من الثقة لئلا يصدمه الواقع المرير والحقيقة القاسية المؤلمة فتكون عداوة بعد صداقة، وقطع بعد مواصلة وهي خسارة وقد تشكل

متاعب نفسية احياناً كثيرة فيتعّقد من الانفتاح على الآخرين فيكون منطويا، مع أنّ الحياة تريد منه الانفتاح المعقول، المدروس، المسيطَر عليه لا الانفلات.



◀ ١٢٨ - قال عليه السلام:

لا تظُنّن بكلمة خرجت من أحدٍ سوءً وانت تجد لها في الخير محتملاً[١].

الدعوة إلى حُسن الظن واشاعة الثقة بين أفراد المجتمع والابتعاد عن سوء الظن والتهمة، وأن لايفسح المجال للتحسبات السيئة وبذلك تسود الطمأنينة ويغلب جانب الخير ويشيع ويكون هو العنصر الفعّال الذي يسعى لعقد الاتفاقات بين أفراد المجتمع و لاتكون حزازات أو أحقاد أو عداوات أو ضغائن بما يجعل الصدور مدخولة بالشر والسوء وتحتفظ بالمواقف التي كانت نتيجة سوء الظن مما يؤجج الحقد ومحاولة الانتصار.

ولهذا عدة آثار محمودة يعمر بها المجتمع، منها أنّ الكل يعيش الثقة والاطمئنان والصدق والتصديق بأجلى المظاهر من دون حاجة إلى وسائل إقناع وتأكيد إذ قد يتغلغل من بينها الكذب والتزوير بما

(١) وردت في بعض النسخ (محملاً) والمؤدى واحد.

يجعل المظهر يختلف تماماً عن المخبَر وعندها تسود حالة الارتياب والتكذيب وعدم الثقة وسوء الظن فلا تسري الأمور بطبيعتها بل بمؤثرات الصداقة أو العلاقة أو القوة وما إلى ذلك مما يجعل التعامل بين الاجسام والصور الخارجية لا بين الارواح الانسانية التي إذا تحاورت باخلاص عمرت الارض بالخير، لأنّ الله تعالى خلق في الروح الانسانية تفاعلات مع الأرواح الاخرى بما يجعل حالة من الألفة والتلاقح الفكري والتلاقي ضمن إطار المحبة وعدم الاضرار مهما كان، إلّا أنّه عندما طغت العناصر الماديّة الممقوتة تبدّلت بعض الارواح فصارت تتفاهم على حساب المصلحة، وأساس الانتهازية، ومنظار المنفعة ولذا صار المجتمع مثقلًا باشكالات بدأت تلقي بظلالها فافتقد الأمان والاستقرار والوثوق بالآخرين والانفتاح للقريب و. . و. . . بل تحوّل المجتمع - الذي يُفترض فيه أنه أسرة واحدة كبيرة - إلى تكتلات متشرذمة، البعض يؤوّل كلام البعض على احتمالات و وجوه قد لا يتصورها الشخص المتكلم نفسه وفي هذا من الأثر السيء على الاولاد والنشء الصاعد الشيء الكثير فيتعلمون الازدواجية وإساءة الظن بما لايتناسب ومراحل اعمارهم. . فلا بُدَّ من أن نلتزم هذه الحكمة ليكون التفاهم والوئام والثقة فلا نحتاج إلى تأكيدات وأيْمان وصكوك وأوراق ومستندات إلّا في أقصى الحالات وأندرها، إذ يُلغى وجود ذلك كله إذا توفرت الثقة والشعور بمسئولية الكلمة والانفتاح على الغير كما

هو على النفس وعدم اضمار السوء والغش وما إلى ذلك بل يحبّ لغيره ما يحبه لنفسه ليكون مسلماً بحقٍ وحقيقة.



◀ ١٢٩ - قال عليه السلام:

لا تقل ما لا تعلم، بل لا تقل كلّ ما تعلم، فانّ الله فرض على جوارحك كلّها فرائض يحتجُّ بها عليك يوم القيامة.

دعوة إلى عدم التسرّع في الكلام والتأني قبل الجواب فإنّ عدم الجواب خير من الجواب غير المناسب لما يستلزمه من كذب وتغيير للحقائق.

والى عدم التسرّع في تبيان جميع المعلومات لأنّ بيان بعضها مورِّط والعاقل بطبعه يبتعد عن المورِّطات.

ولا يمكن انكار شيء لأنّ جميع ما ينطق به الإنسان موثّق عليه بما يدينه - أحياناً - وتكون مادة تجريمه والتحريض عليه من خلال اعضاء بدنه(١).

---

(١) إذ قد أخذ الله تعالى عليها ان تشهد عندما يُطلب منها ذلك يوم القيامة فتُفْصِح عن كل ما ارتكبه الإنسان من خلالها، وكل عضو يدلي بشهادته حسب موقعه واختصاصه، والشاهد على الجميع هو الله تعالى وقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٤-٢٥]. وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ

إذن فاللازم عدم قول ما نجهله وعدم قول كل ما نعلمه بل يتوازن الإنسان بين المواقف التي ينبغي التكلم فيها أو السكوت أو قول بعض والسكوت عن البعض الآخر ليحفظ نفسه أو غيره ولو لم يلتزم بهذا لتعرض للسؤال لأنه مراقَب من حيث لا يمكنه التنصل والإنكار ولم يترك ليتصرف بما يحلو له فيفعل ما يريد ويترك ما يريد بل على الإنسان أن يلتزم بما افترض الله تعالى عليه من واجبات والتزامات لئلا يضيّع فرائض الله عليه.

ومن أراد التعرف على تفاصيل الفرائض فعليه مراجعة وصية الإمام عليه السلام لولده محمد بن الحنفية[1].



◄ ١٣٠ - قال عليه السلام:

لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق.

دعوة إلى تقديم ما يرضي الله تعالى في سائر المواقف قولًا أو عملًا على ما يرضي الناس، فإن أمكن الجمع بينهما فهو الخير وإلّا

عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]. وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٢]. مما يؤكّد حقيقة اطّلاعه على كل شيء وعندما يدين العبد فإنّما يدينه بإقراره لتكون الشهادة أبلغ وأثبت.

(١) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ج٢ ص٣٨١ ط النجف.

فتترجح كفة رضا الله تعالى لأنّه المضمون العاقبة بينما رضا الناس يتغير بتغيّرهم وتتوزع اتجاهاته باختلاف رغباتهم وتوجهاتهم والفرد المسلم بل العاقل عموماً لايستبدل المضمون بغيره ولايقدِّم المتأرجح على المتوازن الثابت ومعلوم أنّ الله تعالى لايرضى إلّا الصحيح وما فيه خير الانسان.

بينما المخلوق قد يرضى الصحيح وقد يرضى غيره، كما قد يختار ما فيه الإضرار بالغير من منطلق المصلحة إلّا أنّه تعالى منزّه عن النقائص ومن جملتها الاضرارُ بالغير.

إذن فالحكمة تمثل درساً من دروس ترسيخ العقيدة وأعطائها دوراً كبيراً لا هامشياً يتغيّر بتغير الظروف والمؤاتيات الوقتية.

ومتى رسخت هذه القاعدة لدى المسلم أمكنه التغلب على الصعاب كافة لأنّها قاعدة الايمان بالله والثقة بعدله وحكمته والتسليم له والحبّ فيه والتفاني من أجله.

وكلّ هذه العوامل مساعدة على نجاح مسيرة الإنسان لأنّه مخلص في ولائه فيستحق الامدادات الالهية التي تغنيه عن المخلوقين.

بينما لو قدّم المسلم رضا المخلوقين لعدم ترسخ تلك العوامل المؤلفة للقاعدة العقيدية فسوف يترآى له الخذلان في جميع مرافق حياته ويتصوّر له في كافة مجالاته لأنّ التوفيق والوصول إلى المطلوب إنّما هو بتقديم رضا الله تعالى وقد انعكست الحالة عند هذا الفرد فواجه مصيراً مؤسفاً. إذ قد خاف مخلوقاً ولم يخف الخالق!!



◀ ١٣١ - قال عليه السلام:

لا غنى كالعقل، ولا فقر كالجهل، ولا ميراث كالأدب، ولا ظهير كالمشاورة.

يبيّن عليه السلام في هذه الحكمة اموراً قد تخلّى عن التمسك بها الكثيرُ من الناس لحسبانهم أنّها من الماضي الغابر الذي لم يعدْ نافعاً في عصرهم فأراد عليه السلام اعادة الرونق والنضارة لها والكشف عنها بما يجعل المتصف بها عارفاً بأهميتها وقيمتها المعنوية.

١ - **العقل**: إذا تمّ للانسان أن يدرك الاشياء بواسطة (نور روحاني به تدرك النفسُ ما لاتدركه بالحواس)[1] فإنّه سيتمكن من معرفة الاشياء المواجهة معرفةً أقرب ما تكون للصواب والدقة ويكون قوياً في إصدار الاحكام والجدل في القضايا لأنّه يستند إلى ذلك المصدر الوثيق الذي يكشف عن الأمور كشفاً دقيقاً فإذا كان كذلك فهو غني بفكره ومصدر تحريكه للأمور فلا يشكو عوزاً في استيعاب القضايا حتى لو كان فقيراً بالحسابات المادية ولغة الارقام لأنّ العقل يهديه لاستحصال المال (المشروع طبعاً) بينما الذي يحوز المال الكثير وهو مفتقر للعقل لا يمكنه - دائماً - الاستهداء لشئ أو حلّ مشكلة بواسطة المال، واذا أمكنه ذلك فهو بواسطة شراء العقول

---

(١) المنجد ص٥٢٠ مادة (عَقَلَ). وقد تقدم نقل بعض التعريفات للعقل في شرح الحكمة (١١) فراجع.

والاعتماد عليها فهو فقير عقلياً وإن حسب نفسه ممن يملك عقلاً. وفي هذه الفقرة من الحكمة تسكينٌ لآلام الفقراء ذوي الطاقات المبدعة وشدٌّ على سواعدهم ليتواصلوا في كفاح الحياة ليحققوا الانجازات الممكنة وإن تجاهلهم الاغنياء فهم ينتظرون من الإمام عليه السلام هذه اللفتة والتقدير لا أحد سواه.

٢ - **الجهل**: ضد العلم بالشيء وهو من المعلومات الواضحة.

وقد تبيّن مما تقدم أنّ الجهل يعني الحاجة والعوز وعدم الكفاية، وذلك باعتبار المقابلة بين العقل الذي يعني العلم والانفتاح والمعرفة، وبين الجهل الذي هو مقابلها ولذا كان في اختيار التقابل بين كلمتي الغنى والفقر وبين كلمتي العقل والجهل - كان - حُسْناً بلاغياً له أثره اللطيف في ربط المعاني وايصالها إلى الذهن بحيث يتأثر بها السامع ليقتنع بها.

فالجاهل ولو كان غنياً بلغة الارقام والمقتنيات هو الفقير حقاً والمحتاج واقعاً. ولا يحسبنّ في وقت يمرّ عليه أنّه من الاغنياء لأنّ الغنى الصحيح هو الثراء العقلي لأنّه الذي يقوّم الامم ويهدي الشعوب ويحقق الآمال ويهدف إلى تحقيق المنافع وتوسيع قاعدة المصالح وليس ذلك كله بالمال وإن تمّ بعضه بالمال فهو باعتباره أحد الوسائل لا أهمها.

٣ - **الأدب**: ان يكون لدى الفرد محاسن الاخلاق ومكارمها وأن

يتعوّد فيتطّبع على ذلك بحيث ينشأ ويظل على ذلك التطبع حتى يكون طبيعة من خصائصه الذاتية.

ومن هذا الشرح المبسط للأدب المقصود في الحكمة هنا يتضح وجه أنّه خير ما يورثه الإنسان لأبنائه والجيل الناشئ من بعده لأنّه يغذّيهم المحاسن والمكارم ويربّيهم حتى يتعوّدوها وتكون شيئاً عاديّاً وطبيعياً ومن دون كلفة عليهم بل ينطلقون فيه من أرض القناعة والتصديق الأكيد بالفائدة.

وبهذا يكون قد ساعد على إصلاح المجتمع وإسعاده وتعمير بعض جوانبه المهدَّمة باندفاع غالب أفراده نحو الماديّات بما جعلهم مهملين للمعنويات والتي منها محاسن الاخلاق ومكارمها وكل فضيلة... فخوت قلوبهم وتباءسوا ولم يظهر عليهم أي أثر للتقدم والسعي الحثيث الذي قدمّوه في سبيل الوصول إلى هدفهم المادي.

فكأنّ الحكمة في هذه الفقرة تتوجه نحو الأولاد الذين لم يحصلوا على قدر من الميراث المادي كما هو شأن البقية، فتصور الأمر بأنّ الاموال زائلة مهما كانت وبلغت بينما الاخلاق الراسخة في النفوس والتربية الصالحة هي التي تبعدهم عن السجون ودور الاصلاح ومراكز التأديب وهي التي توفر لهم العيش الكريم وهي التي تحفظ لهم الصورة الناصعة والمحترمة في أنظار الآخرين وهي.. وهي... مما يطول بتعداده الكلام وهو معلوم لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد بما يجعله في عداد الأساسيات التي لا نقاش في ثبوتها.

٤ - **المشاورة**: هي مفاعلة من المشورة بمعنى بيان وجه الصواب وتقديم النصيحة، وقد قال عليه السلام كما يأتي شرحه إن شاء الله تعالى في محله الحكمة (١٦٢) (من استبد برأيه هلك ومن شاور الرجال شاركها في عقولها) مما يدل ويؤكد على نقطة حساسة يغفل عنها الكثير مكتفين بتجاربهم ومعلوماتهم وأحياناً استبدادهم وتسرعهم وهو الذي يغيّر مجرى الاحداث إلى حيث الورطة وصعوبة التلافي عندئذ.

بل ينبغي للعاقل أن يعتمد رأي أحدٍ ويستند إلى خبرة خبير ولو بمجرد العلم بوجوه الآراء وتوجهات الاشخاص ومديات أنظارهم ومستويات أفكارهم وأطروحاتهم للحلول المناسبة والحالة المعينة، وبعدها فلو لم يجد أياً منها مقنعاً للعدول عن رأيه أمكنه الوقوف عند رأيه والعمل به من دون ما تقيّد بآراء الآخرين لأنّ مَنْ يسدي النصيحة ولا يقصّر في إبداء الرأي ويستجيب للأشارة عند طلبها منه إنّما يقدّم حصيلة خبرته في الحياة، وعصارة افكاره، وغاية ما توصّل اليه وهو غير متهم بشئ لأنّ المفروض أنّه قد تقدّم اليه المستشير بطلب الاشارة وإبداء المشورة فأشار حتى سميت مشاورة فلا بُدَّ من التوقف جيداً عند قوله وعدم التعجّل بالرفض أو إتخاذ قرار معاكس في تعامله مع القضايا لأنّ ذلك هو الحمق بعينه وقلة الحكمة بل انعدامها.

ولهذه الأهمية عبّر الإمام عليه السلام بأنّه لاظهير كالمشاورة والظهير

هو المعين[1] فلم يعبّر بذلك عن الأموال التي يكنزها الإنسان ويحتفظ بها للشدائد ولم يعبّر عن الأولاد الكثيرة أو العشيرة والأتباع أو عن الجاه والمنصب وقوة التأثير و.. و... بل قد خصّ المشاورة بذلك الوصف الدقيق لنعرف أهميتها في نضج القضية المطلوب التوصّل إلى حلّها.

إذن فالدعوة: إلى تعظيم شأن العقل وان لايستقله الإنسان أن رُزق به

وإلى التخلص من الجهل مهما أمكن لأنّه فقر يلاحق حتى الغني.

وإلى اكتساب الأدب والتحلّي به والمحافظة عليه وتعميمه للأتباع.

وإلى عدم الاستبداد بالرأي بل بالتروي وطرح القضية على بساط البحث والنقاش لتتمخض المناقشة عن أفضل الحلول للقضية.

ولو اتبعنا ذلك في حياتنا وحاولنا - ولو جاهدين - تطبيق بنودها لعرفنا الطريق إلى تحصيل الغنيمة من دون ما جهد.



◀ ١٣٢ - قال عليه السلام:

لا قربة بالنوافل إذا أضرّت بالفرائض.

يحرص الكثير من الناس على القيام ببعض الأمور الثانوية بينما

(١) المنجد ص٤٨٢ مادة (ظهر).

يتقاعس ويتماهل عن الاساسيات بما يجعله يخسر الثمرة ولايربح من أتعابه شيئاً يذكر يستحق كل ذاك الجهد الجهيد، وهذا أمرٌ منطقي في جميع المجالات يصح الحكم به حتى في العبادات، فالكل يعرف أنّ الله تعالى أوجب الصلاة والصوم والحج والزكاة والخمس والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر و موالاة آل بيت النبي ﷺ ومعاداة اعدائهم، مضافاً إلى برّ الوالدين وصلة الرحم وصدق الحديث وأداء الامانة والانفاق على النفس والزوجة والولد، والوالدين - أحياناً - وحفظ الجوار والانصاف والعدل وغير ذلك، ولكن قد يتجاوز ذلك ليأتي بما هو أقل أهمية فمثلًا يصرف الوقت الطويل أو المال الكثير في تأدية الصلاة المستحبة أو المبّرات والمشاركة في المشاريع الخيرية إلّا أنّه في ذات الوقت لا يُحسن أداء الصلاة بالشكل المطلوب المجزي، أو لا يؤدي الحق المفروض في أمواله المنقولة وغيرها، النقدية والاعيان، فيقصّر من هذا الجانب الذي سيحاسب عليه حتماً والذي لايسد مسدّه ذلك العمل المستحب الذي إنّما يؤتى به لأجل تتميم نواقص الواجبات وترميم الوضع العام ليحصل على نتيجة ثواب أجزل وأفضل، ولذا فإنّ النافلة تتدارك الفريضة من حيث الملاك لا الامتثال، فمن لم يؤدِّ أصلًا أو تسامح مكتفياً بالنافلة استحق على ذلك المساءلة بل العقوبة.

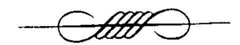
فلم تبق هناك فائدة ولم تكن مقرّبة و لانافعة لأنها قد ألقت

بضلالها على الواجبات المفروضة فأدت إلى إعدادها إعداداً ناقصاً مما يعني عدم الامتثال المسقط للتكليف.

وكذا مَنْ يعين المحتاجين ويترك والديه أو قريبه وهكذا من ينفق على أصدقائه ويمسك عن عائلته مع أنّ الانفاق عليهم واجب والى غير ذلك من الامثلة التي تدخل تحت عنوان النوافل والتي هي جمع النافلة وهي: (ما تفعله مما لم يُفرض ولم يجب عليك فعله)(١) أو كل (زيادة على الفريضة)(٢)، وتحت عنوان الفرائض والتي هي جمع الفريضة وهي: (ما أوجب الله على عباده)(٣).

فلا بُدَّ من الاهتمام بتأدية الفرائض في جوانب الحياة المتعددة ثم إتمامها بالنوافل والاعمال التي يؤتى بها تقرّباً لله تعالى وطلباً لمرضاته واستزادةً من الأجر والثواب الأُخروي.

إذ ليس من المهم استقصاء النوافل بقدر ما يهمنا امتثال الفرائض لأن هذه تستعقب العقوبة وتلك تستعقب الاجر والمثوبة والمهم عقلًا دفع العقوبة إذا زاحم جلب المثوبة.



(١) المنجد ص٨٢٨ مادة (نَفَلَ).
(٢) المصباح المنير ج٢ ص٨٥٠.
(٣) المنجد ص٥٧٧ مادة (فرض).

◀ ١٣٣ - قال عَلَيْهِ السَّلَامُ:

لا يترك الناسُ شيئاً من أمر دينهم لاستصلاح دُنياهم إلاّ فَتَحَ اللهُ عليهم ما هو أضرَّ منه.

تحذير من التمادي في التعدي على الاوامر الشرعية والخروج عن خط الالتزام بالضوابط والاحكام اللازم اتباعها على المسلمين لأنّ الاسلام والالتزام به كدين وعقيدة يقتضي التعهد التام بعدم الخروج وبعدم الانفلات عن القيود المفروضة وذلك كما هو الحال في سائر الأديان أو المبادئ ولو الوضعية فإنّها تحدد مسار المتبعين ضمن الخطة المرسومة وإلّا فيستحقون الجزاء المفروض في مثل الحالة المرتَكَبَة.

ولابُدَّ للانسان أن يفهم جيداً ويقتنع تماماً ويوقن يقيناً ثابتاً لايخالطه أدنى شك بأنّ أمر الدين مقدّم على أمر الدنيا فلا بُدَّ من اعطائه الاولوية، وعدم التفريط فيه أو التسامح في أداء ما يحتمه الالتزام الديني بل يجب أن يؤدي حق الدين كأحسن ما يكون وإلّا فإنّه يحكم على نفسه بالخسران لأنّ الجانب الديني مهم جداً ولا يمكن التساهل في تقديم غيره عليه لأنّه يعني عدم صدق الإيمان والعقيدة من الداخل وهذا ما لا يصح من الفرد المسلم. وهذا لا يعني إغفال الدنيا والزهد فيها بل هي مكملة للدين وفي المرتبة اللاحقة بحيث يصلح أن يكون كلٌ منهما جزءً يتمم الآخر مع تقدم ذاك الجانب لأولويته المذكورة، فإذا كان الأمر هكذا فلا يصح عقلًا

أن يفرّط الإنسان فيما هو الأهم، والأسبق رتبة، والذي يتكفل بمعالجة قضايا يعجز عن معالجتها غيره ليقدِّم عليه ما هو زائل، ومؤقت، لأنّ الدنيا بحسب النظرة العامة تمثل المحطة، وحقل التجارب، وساحة الانتظار، والموصل إلى ما هو أرجح وأنفع ومن المؤكد المعلوم لكل أحد أنّ هذه ظروف مؤقتة. . . لا يمكن القياس عليها.

فإذا لم يقتنع أحدٌ بما تقدم فقدّم الدنيا لعدم فهمه تقدّم الدين بل قد يعتبره عائقاً أو عاملًا مساعداً على تقليص الحالة الانشراحية في الدنيا بما يجعله شيئاً عسراً في مرحلة انسيابية الدنيا والتعامل فيها فيكون جزاء هذا أن يواجه حالات من المصاعب والمشاق ما يجعله يندم على تمرّده وعلى تقديم المصلحة الزائفة، إذ كان يمكنه الجمع بينهما بأن يقدّم ما قدّمه الله تعالى و يهتم بأمر الدين كشئ له أولويته و أهميته مع تمتعه بالدنيا وما تفتحه من عالم فسيح رحيب لايتنافى مع خط الدين ولا تكون بينهما أية معارضة على الصُعُد كافة لأنّ الله تعالى حكيم في أفعاله لم يخلق الدنيا عبثاً أو لتكون مصدر تعب ومساءلة للخلق بل ليُظهروا طاعتهم ومكامن الابداع في نفوسهم بما يلتقي مع خط التعاليم الشرعية لتعمر الارض بالتوحيد والايمان ولتظهر للخلق مظاهر عظمته تعالى وقدرته و عجز غيره عن الاحاطة بالأسرار الدقيقة التي جعلها في المخلوقات العجيبة الكائنة في الدنيا.

كما أنّه لم يجعل التعاليم - بما تحمله من الأوامر والنواهي على اختلاف درجات تركيزها وشدة أو ضعف الالزام بها - لتكون مصدر قلق للانسان في الدنيا.

بل لتكون مرشداً له يساير من خلالها الحياة بابعادها كافة المتجددة يوماً فيوماً ولتكون مصدر حماية له لئلا يتعرض للعوادي ولو النفسية التي يعّبر عنها بالنفس الامآرة بالسوء فتسوّل له ارتكاب محظور أو التسلط على مخطور مما يجعله في دائرة المحاسبة والمساءلة.



◀ ١٣٤ - قال عليه السلام:

لا يُزَهِّدَنَّك في المعروف من لا يشكرُ لك، فقد يشكرك عليه مَن لا يستمتع منه، وقد تُدرك من شكر الشاكر أكثر مما أضاع الكافر[١] والله يُحبُّ المحسنين.

قد يواجه الإنسان المحسن الذي أدمن فعل المعروف وتعوّد على عمل الخير بعض الصعوبات بحيث تُعَكِّر عليه صفوه ولا تشجعه على الاستمرار بل تثبطه عن ذلك لأنّه يُقابَل بالنسيان والتجاهل وهو ما يصعب على الإنسان غالباً فتثور ثورته الداخلية ويقارن بينه وبين

(١) الذي جحد النعمة وتناساها وهو ضد الذاكر. يلاحظ المصباح المنير والمنجد وغيرهما.

غيره الذي لم يفعل المعروف فيراه يُحترم ويُذكر وقد تفتعل له مواقف فيُشكر عليها مع أنّها لم تصدر منه بينما يرى نفسه منسي المواقف تُكفر مواقفه، وتُنسى وتُتجاهل، وتغلب عليها قضايا اخرى من الحساسية، والمشاحنات، ونكران الجميل، وهذا كله مما يجعل البعض زاهداً، غير راغب في عمل المعروف بل يفضّل الانصراف عنه، ومقاطعته، لعدم التلقي المناسب، ولما يتحمله من مشاقٍ نفسية من جرّائه، فيعلن مقاطعته، وعدم قيامه بعمل المعروف بعد ذلك وفي ذلك من الآثار السلبية على المجتمع ما حفّز الإمام عليه السلام لتوجيه كلمة في المقام لتكون علاجاً وتهدئة للنفوس وتطييباً للخواطر لئلا تقلّ فرص عمل المعروف أو تنعدم من قائمة أعمال بعض الأفراد لشدة صدمتهم وأليم تأثرهم النفسي مما صادفهم، فكانت هذه الحكمة: بأنّ على الإنسان أن لايعزف تماماً ويتعقد من فعل المعروف لو لم يتلقَ الرّد المناسب بل من المؤكد بأنّ الله تعالى يشكره ويتلقاه بالقبول فيمنحه التوفيق ويمدّ العبد الفاعل بكل ما يجعله متميزاً متقدماً في مسيرة الحياة المليئة بالعثرات، مع أنّه تعالى غير محتاج إلى ذلك، بل أحياناً لم يكن الدافع وراء العمل التقرّب له تعالى وإنّما هو لغايات خاصة ولكن مع ذلك يتولى الأمر بلطفه وتفضله ليشجع المحسنين ويجعلهم يتواصلون في ذلك الطريق المحبوب لديه والمفضّل عنده إذ به تعمر الدنيا وتستمر الحياة متواصلة بالرغم من المصاعب والمشاق التي تفرزها أعمال العباد بكل ما فيها من سلبيات تجعل الدنيا في ضنك، وفي سبيل تغيّر،

وانقلاب حال إلّا أنّ تلك الافعال الحسنة وأعمال المعروف تخفف الوطأة وتساعد على تمرير المشكلة. هذا لمن يكتفي بشكر الله تعالى له، وأما مَنْ يتوقع ذلك من العباد فأيضاً يتهيأ له مَنْ يشكره على عمله الحسن والايجابي ولو لم يكن منتفعاً به بل ليشجعه على الاستمرار والمواصلة، إذن فالشكر حاصل ولو لم يكن من المنتفع ذاته فلا بُدَّ من المضي قدماً في طريق فعل الإحسان وعمل الخير من دون تعلل بعدم الشكر لأنّ فعل الإحسان وعمل الخير مما يحبه الله تعالى ولذا يهيء للمحسن ألسنة الثناء والشكر بمختلف الوسائل ومن مختلف الأفراد لكي يداوم على ذلك ولا يمنعه إغضاء المنتفع وتناسي المستفيد وقد أكد الإمام عليه السلام بانّ ما يصل لفاعل المعروف من الجزاء الأوفى خيرٌ بمراتب ودرجات مما مُنع عنه.

وفوق كل تلك التطمينات والضمانات كانت البشارة بأنّ هذا الإنسان محسنٌ والله تعالى يحبّه وهذا ما لايُدركه إلّا سعيد الحظ ومَنْ أراد الله تعالى به خيراً.



◀ ١٣٥ - قال عليه السلام:

لا يستقيم قضاء الحوائج إلاّ بثلاث: باستصغارها لتعظُم، وباستكتامها لتظهر، وبتعجيلها لتهنؤ.

إنّ من الامور التي تتغلب - احياناً - عند الإنسان حبّه لذاته بشكل يؤثر على غيره ومن ذلك أنّه لو توفّق لأن يساعد أخاه الإنسان في

انجاز امرٍ مهم، وتتميم عمل ناقص، وازاحة مشكلة عالقة، فإنه يستعمل أدوات (الأنا) التي تتضخم لديه في مثل هذه المواقف فيبدأ بالتحدث عما أنجزه مع أنه قد يضّر غيره بذلك، كما إنه يذكره مستعظماً له متبهراً منه، وفي حالات عديدة يكون بطيئاً في انجازه للعمل إذ إنه لم يعانِ من وطأة الحاجة إلى التسريع والتعجيل. وهذه أمور تحول دون قضاء الحوائج لما في كل أمر منها من الحساسية بالنسبة للآخرين لما يستلزمه من المنّة أو التباهي أو التباطؤ.

وهذا مما يتفق حدوثه أكثر من مرة، مع شخص واحد، ومن شخص واحد، وفي حالة واحدة مما يسبب الاستياء والتذمر من قبل الآخرين، أو الانكسار من بعضهم لما يجرّه من تشهير بحاجتهم واحتياجهم، أو الشعور بالفخر والتعالي والاعجاب بالنفس مما يساعد على الغرور الذي هو من الآفات الاخلاقية التي تضيّع على الإنسان فرص خيرٍ كثيرة واعمالًا جليلة.

فلذا بادر عليه السلام يدعونا إلى ضرورة الابتعاد عن تضخيم الامور واعتبار ما أُنجز وما قُضي امراً عظيماً بل يجب أن يعتبر كشي إعتيادي لم يتسم بطابع سوى انه طبيعي وعندها سيكون له أثره التام في النفوس فيعظُم لوحده، مضافاً إلى ضرورة عدم اشاعة ذلك ونشره بل التستر عند العمل حفاظاً على مشاعر الغير لئلا يشعر بالضعف والحاجة وعندها سينتشر من حيث لا يعلم فيكون مادة دعاية ومصدر احترام فهو قد حفظ الغير فحفظه الله تعالى إذ انّه تعالى متكفل بحفظ

حرمات المؤمنين جميعاً ولذلك عدة صور ومظاهر بما يجعلهم في مأمن من التشهير وتعريف الغير بوضعهم المتدني ومَنْ يكون محافظاً كذلك على حرماتهم يجزيه تعالى بأن يجعل له ذِكْراً حسناً بين الناس بما يغنيه عن مصدر دعايته الخاص.

مضافاً إلى ضرورة التعجيل والاسراع لأنّ صاحب الحاجة يكون في أَمَسِّ الاوقات إلى انجازها من أي وقت فلا بُدَّ من مراعاة مشاعره وحساب مصلحته الشخصية واتمام جميل المساعدة بالصورة التي تمكنه من الوصول إلى هدفه بالوقت المطلوب، لا محاولة المماطلة والتماهل والتباطؤ بل على الإنسان الذي توفق لإنجاز الأمر أن يحسب الأمر كما أنّه له فمِن المؤكد أنه يرغب عندئذ بانجازه بأسرع وقت، فعليه أن يكون شعوره مقارباً إن لم يكن كذلك - واقعاً - عندما ينجز الأمر لغيره. اذن فالدعوة الى:

ان تسود روح الأخوة.

ونبذ مظاهر المنّة والتباهي وكل ما من شأنه التشهير بالآخرين بما يحرجهم اجتماعياً.

وانتظار الجزاء الأوفى من الله تعالى.

وأن لا تستغل فرصة للظهور والمعرفة الاجتماعية وأن في ذلك مجالًا لحسابات معينة، لئلا يضر بالثواب المعد لأمثال العمل.



◀ ١٣٦ - قال عليه السلام :

لايصدق ايمان عبدٍ حتى يكون بما في يد الله[١] أوثق منه بما في يد غيره.

في هذه الحكمة توجيه مهم نحتاج اليه في حياتنا المعاصرة فإنّ الكثير ممن يعتمد في تدبير شئون حياته على كدّ يده أو على ما يفكر به بحيث يدرّ عليه المنافع الماديّة أو على علاقاته الأُخَر، يتناسى مصدر الخير المطلق وهو الخالق تعالى، فلا بُدَّ له إذن من أن يتوكل عليه سبحانه ويثق به ولا يتكل على مجهوده الشخصي من دون ما عون إلهي ولو بالتوفيق والرفد بالنجاح في مجالات الاختيار ومواقع العمل لأنّ الاعتماد على الله تعالى والثقة به من اساسيات إيمان العبد بخالقه.

هذا كله بعد أن يقوم العبد بانجاز ما عليه لكي يفوز بنتيجة مرضية يكلّلها توفيق الله تعالى له وتسديده وتأييده بما يجعله متقدماً في ميادين الحياة.

ولعلّنا نستخلص من هذه الحكمة رداً على أولئك المرتادين

---

(١) تعالى الله عن أن يكون جسماً، فالمقصود باليد: القدرة والقوة والنعمة، وقد عبّر بها كذلك حتى في القرآن الكريم لما تعطيه من دلالات يفهمها العرب، اذ كانت تستعمل عندهم اليد للقدرة ولما يكون به التسلط على الأشياء والتمكن منها تنزيلاً لما يتمكن منه ويقدر عليه منزلة ما في اليد (العضو الجارحة).

لأماكن المشعوذين الذين يوهمونهم بأمورٍ لا واقع لها ولانصيب لها من الصحة فقد يرسمون لهم خارطة حياتهم متكاملة مع أنّهم يعجزون عن ترفيع مستواهم المعاشي، الاجتماعي، أو معرفة ما تحت اقدامهم وما في غد بما يجعلهم في مستوى أرقى وأليق من كونهم عرّافين، قارئي الكف، الفنجان. . .

فعلى المؤمن أن لاينخدع بذلك ويسترسل مع الاوهام التي لا توصله إلى شيء بل عليه أن يؤكّد ايمانه بالله وقدرته وانقياد الجميع لإرادته فلايكون إلّا ما شاء تعالى وفق حكمته المتعالية، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾[1].



◀ ١٣٧ - قال عليه السلام :

لا يُعدم الصبور الظفر وإن طال به الزمان.

وعدٌ بأن الذي يصبر على نوائب الدنيا بمختلف أشكالها وأبعادها المؤلمة سيصل إلى مطلوبه ولو بعد حين فلا يبتئس لطول المدة ولا يظنّن أنه من المنسيين بل عين الله ترعاه، وقد سُجِّلَ في قائمة المظلومين الذين تكفَّل الله تعالى بنصرتهم ولكن بشرط التسليم والانتظار، لما يجهله من مصالح تخفى على مستواه الفكري لأنّه

(١) سورة الإنسان الآية (٣٠).

محدود الافق مهما كان مفكراً ويزعم لنفسه أفقاً واسعاً. فإذا جاء الوقت المناسب سيتمكن من المرام وتتحقق كل المنى والأماني فعليه أن لايجزع ولايتجاوز حدود الأدب في التعامل مع الله تعالى.

وهذا وعد وضمان من عاقل مجرب فضلًا عن كونه تلميذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي لا ينطق عن الهوى إنْ هو إلّا وحي يوحى فعلينا أن لانتجاوز مرحلة العبودية في تحركاتنا اليومية ضمن أطار الحياة فنجزع ونعترض ونريد إنجاز كل شيء سريعاً ونرغب بإنزال العذاب فيمن آذانا لأنّ لكل شيء حداً لابُدَّ من بلوغه حتى يكون في محله المناسب.



◀ ١٣٨ - قال عليه السلام:

لا يقلُّ عملُ مع التقوى، وكيف يقلُّ ما يُتقبل.

الدعوة إلى التقوى ومجانبة المحرمات لنكون من المتقين حقاً لا مجرد رفع الشعارات التي يُعتاد رفعُها لدى قطاع المتدينين بما يجعل القضية تدور ضمن إطار العادة والاعتياد بل لا بُدَّ أن نكون صادقين فيما نقول، مستعدين للتطبيق غير متنازلين عن المبدأ مهما حصل لنكون حقاً من المتدينين المتقين وإلّا لأصبح الاسم غير مطابق للمسمى ولكانت التسمية أقرب إلى الادّعاء منها إلى الواقع والحقيقة.

فلابُدَّ أن لايعتبر العمل قليلًا أو صغير الحجم أو من دون بذل مجهود كبير فيُستقل لذلك لأنّ العمدة القبول والتوصل من خلال العمل إلى رضا الله سبحانه والبركة والتوفيق وسائر ما يتمناه لأنّه عندما يُقْدِمُ على عمل ما فأنّه لولا المحفزات القبولية لما كان متشجعاً نحو إنجاز العمل.

إذن فالهدف هو القبول، والقبول مقرون بالتقوى، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[١]، فإذا قُبِلَ العمل فهذا أقصى المُنى وإلّا فما الفائدة من الكثرة[٢].

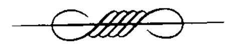
فالدعوة إلى أن يقرن الإنسان أعماله بإرادة رضا الله تعالى ومسايرة التقوى في جميع الأمور بما يجعل الأمر وفق المقاييس الشرعية وإلّا فلا يقبل مهما كان حجمه أو تأثيره لأنّ المدار

---

(١) سورة المائدة، آية (٢٧).

(٢) قد يدور في ذهن البعض في لحظة ضعف يواجهها من نفسه وأمامها فلا يهتّم بالمعروض عليه على أساس قلة حجمه أو عدم الكلفة فيه وقد افترض في نفسه القيام بالصعاب والمهمات وهذا عمل قليل غير صعب فيوكل القيام به إلى غيره ممن هم أقل قدرة منه، ونحو ذلك مما يفكّر به البعض بل ويتعاملون على أساسه، وكأنهم قد اختاروا لأنفسهم مواقع معينة يخدمون من خلالها أنفسهم والمجتمع من حواليهم غير مبالين بما هو أهم وأهم من القبول والوصول، ولكنّهم قد تناسوا الهدف الأسمى الذي يسعون إليه ألا وهو القبول وهو ما لا يحصل إلاّ مع تقوىٰ العبد وورعه عن محارم الله، وخوفه من الله عزّ وجلّ.

والاعتماد على المقبول من الاعمال لاغير، فليكن همّنا قبول اعمالنا لا كمية اعمالنا والقبول لا نحرزه إلّا بالتقوى، وفقنا الله تعالى لذلك.



◀ ١٣٩ - قال عليه السلام:

لا يُقيمُ أمرَ الله سبحانه إلا مَن لا يُصانعُ[١]، ولا يُضارعُ[٢]، ولايتّبعُ المطامع.

أعطى الإمام عليه السلام صفات الإنسان المثالي الذي يمكنه إقامة حكم الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويسيطر على ذلك الأمر الخطير سيطرة متكاملة بما يحجّم المنكر بأشكاله وصوره كافة ويجعله محدود الانتشار وهذا الإنسان المثالي لابُدَّ من أن يكون:

أولاً: غير محابٍ ولامجامل ولامدارٍ ولامداهن ولامتنازل على حساب مبدأه ودينه وما يأمره به من الاستقامة.

وثانياً: غير خائف من العواقب وغير خاضع لأحد حتى تبقى هيمنته في القلوب والخوف منه في النفوس ولا يخشى سطوة أحد أو

(١) صَانَعَ مُصانعه، صانَعَهُ: داهَنَهُ، داراه. المنجد ص٤٣٧ مادة (صَنَعَ).

(٢) ضَرَعَ إليه: خضعَ وتذلل. المنجد ص٤٥٠ مادة (ضَرَعَ).

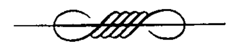
سلطان متغلب بل يحيا وكأنّه لوحده لايرى سوى الله تعالى ليكون أقدر وأقوى إرادة وعزيمة على تنفيذ الحكم الآلهي في حق أيٍّ كان.

وثالثاً: أن يكون نزيهاً بعيداً عن الاغراءات المادية والميول نحو شيء لأنّه لو كان غير ذلك فمعناه سهولة التغلب عليه ولو من خلال رغبة مؤقتة كما هو شأن قضاة وحكّام المتنفذين والمتغلبين كأنّهم يدارون مناصبهم ومراتبهم ومرتباتهم الجارية من الأموال أو النفوذ وما إلى ذلك مما يسيل له لعابه فيعرض عن دينه ويتوجه بكامله نحو مطامعه.

فالدعوة إلى الاستقامة والاعتدال وعدم الانحناء أو الخضوع أمام المغريات لأنّ ذلك يفسد القضية ويحكم عليها بالفشل والخسران ولا يمكن إقامة العدل على وجه الارض. لأنّ الحاكم إنما يستمد القوة والجرأة وإمكانية مواجهة المنحرف، بما يمتلكه في داخله من إيمان وعقيدة وتصميم على التنفيذ لأدق التفاصيل وعدم التخاذل أو الانخذال النفسي أمام السطوة والقوة وما إلى ذلك مما يتبع مع أمثاله.

ويمكن استيحاء الشمولية في الافراد المنطبق عليه وصف المقيم لأمر الله تعالى فلا يقتصر فيه على الحاكم والقاضي والمنفذ ورجل الدين والشريعة وما إلى ذلك بل يشمل رب العائلة ومعلم التلاميذ ومربي الأجيال وكل مَنْ يمكنه إيصال صوت الحق إلى أفراد معينين فإنّه يجب أن يتحلى بقوة الشخصية وعدم الخنوع لأحد وعدم

الخضوع أمام المغريات ليتمكن من قول الحق وتطبيقه من دونما تأثير أو غلبة.



◀ ١٤٠ - قال عليه السلام :

لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في ثلاث: في نكبته، وغيبته، ووفاته.

للصداقة أحكام والتزامات وتحفظات قد يغفل عنها الكثير فيطلقونها على تعارفهم الاجتماعي وعلى زمالات العمل أو الدراسة أو مراحل الحياة الاخرى التي يمر بها الانسان، بينما الصداقة مشتقة من الصدق والود والنصح[١] يقال صادقته المودة والنصيحة[٢] وقد فسّرت الصداقة بالمحبة[٣] مما يعطيها معنى دقيقاً يختلف عن المستهلك المبتذل القائم على المصالح واستنزاف الاطماع والمطالب ولهذه الالتزامات والشروط بيّن عليه السلام ما يمكن للانسان أن يكون صديقاً ويتحقق به مفهوم الصداقة فيكون هو من افراد ذلك المفهوم ومصاديقِه الخارجية.

---

(١) يلاحظ المصباح المنير ج١ ص ٤٥٨ مادة (صَدَقَ).

(٢) يلاحظ اساس البلاغه ص ٣٥١ مادة (صَدَقَ).

(٣) القاموس المحيط ج٣ ص ٢٥٢.

أولاً: ان يعينه فيما ينوبه من مشكلات وهموم ويساعده في تجاوزها ويخفف عنه مهما استطاع فلا يتخلى عنه ولا يتركه لوحده ولا يساعد عليه ولا يتشمت به ولا يتنصل من الصداقة والمعرفة الشخصية لأنّ ذلك من علامات ضعف الشخصية واهتزاز البناء الداخلي للذات وإلّا لقاوم وتحمّل إزاء صاحبه ومن كان يعتبره صديقه.

وحالة النكبة تعني حلول المصيبة[1] وهو ما يحتاج فيه الإنسان لمن يسليه ويواسيه وينسيه ما حلّ ونزل به ليقاوم ويواجه بصلابة من دون ما انهيار نفسي أو جسدي لأنّ ذلك من موارد الامتحان والشهامة وما من أحد إلّا وله اعداء ومبغضون يتمنون وقوعه في محنة ومعاناة لياخذوا دورهم المناسب في القيل والقال واشاعة الخبر وترويج الاخبار الكاذبة المغرضة كأحد وسائل الحرب النفسية والاعلامية المضادة لاضعاف قدرات الطرف الاخر.

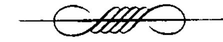
ثانياً: أن يتساوى حال الحضور والغياب ففي الكل يبقى مناصراً له محافظاً على المحبة والود فلا يطعنه بكلمة أو فعل أو أيّ شيء يسيء اليه وهذا لا يعني السكوت عن الحق أو المعاونة والمؤازرة حتى في الباطل بل المفروض أن هذه التجاوزات الشرعية بعيدة ولم تدخل معترك النزال وإلّا فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وتتقدم نصرة الحق على الباطل ولو كان على حساب الصداقة.

ومما يكثر وجوده في الصداقات العامة العائمة غير المرتكزة على

(١) يلاحظ المصباح المنير ج٢ ص٨٥٨ مادة نكب.

مركز الصدق والحق هو أن يكون الاندفاع مقتصراً على حضور الشخص وما عداه فلا مانع من الاصغاء أو المساهمة فيما ينال منه من كلام أو تعريض، وهذا مما يعكر صفو العلاقات ويجعلها مجاملات فارغة. كما هو المفترض في مبدأ اشتقاقها، وقد يجد البعض هذا اللون في الازدواجية في التعامل من أحد أنواع الشطارة والقدرة على المراوغة وكسب الناس و.. و... مما يتوهمونه، لأنه بعيد عن الثابت الاصلي من القيم والمبادئ.

ثالثاً: أن يكون وفياً حتى بعد وفاته سواء كان الوفاء لذكراه، لعائلته، لأولاده، لأقربائه، لأبويه، لكل ما يذكِّر به حتى الاصدقاء كل ذلك رعاية للصديق فإذا ما كملت هذه المواصفات واُلتزمت هذه الشروط صار المتصف بها صديقاً صدوقاً صحيحاً فيما أعلنه من صداقة وفيما ادّعاه من انشداد وقرب روحي.



◀ ١٤١ - قال عليه السلام:

لا ينبغي للعبد أن يثق بخصلتين: العافية والغنى، بينا تراه معافى إذ سقم، وبينا تراه غنياً إذ افتقر.

يتعرض الإنسان لحالات تطغى في تدفق أمواجها على عقله وتفكيره فلا يعير أهمية لكثير من الملامح الفكرية ويكون ضعيفاً ومهزوز الشخصية أمام المغريات المعروضة فينسى أساسيات

الموقف ومهمات القضية ولذا حذّرَهُ الإمام عليه السلام بان لا يغترّ إذا تعافى لأنّ العافية وكونه في حال صحية لايشكو فيها مرضاً أو ألماً يغريه بالتعالي والعمل على أساس أنّه غير محتاج لأحد وعنده صحة فيمكنه أن يتصرف ما شاء لا يمنعه أحد، كما يتوهم أنَّ من حقه ممارسة أي شيء حتى المحرمات والممنوعات الشرعية أو الوضعية القانونية على أساس ما يتراءى له من نشاط جسماني يؤهله لذلك فيتعدى المقبول من التصرفات إلى المرفوض وعندها تكون النكسة عقوبة له وليظهر له أنّ قوته وما كان يتوهمه من قابليات لا يحول دونها شيء، ومن المؤكد أنّ سبب ذلك الانتكاس هو تناسيه لقدرة الله تعالى وتجاوزه على القواعد الصحيحة وهذا مما لايقبل بحال.

واظن أنّ الشواهد على قوله عليه السلام (بينا تراه معافى إذ سقم) كثيرة فكم من ماشٍ يصبح أو يمسي قاعداً أو نائماً لايستطيع حراكاً، وكم من مصارعٍ وملاكم وحامل أثقال وما إلى ذلك مما يفتخر به احياناً لكونه قوياً في جسده يهزم مَنْ امامه إلّا أنّه في نهاية المطاف ينتهي به الأمر على كرسي متحرك، وكم من متكلم يتسابق مع غيره على اظهار قدراته اللسانية فإذا به أخرس يستعمل الاشارة وقد يصدر أصواتاً هي اشبه ما تكون إلى اصوات بعض المخلوقات، وكم من متنصت متسمع لما يدور من همس وأصوات غير معلنة فإذا به لايسمع بل لايعي مَنْ بجنبه واكثر الشواهد إثارة وفيه عنصر التشويق للمتابعة هو حال من كان مقيما على بعض المعاصي ثم يتحول إلى جسد خاوٍ لا يدفع عن نفسه الذباب أو لا يمنع تجاوزات الآخرين أو

لا يستطيع الصبر على شيء فيبكي من أجل رغبة أو حتى يصرخ أحياناً وما إلى ذلك مما يدهش له الانسان ويقف مذهولًا، أهكذا إمهال الله تعالى ثم أخذه أخذ عزيز مقتدر لا يفوته شيء ولا يعجزه أحد؟!!

وايضاً حذّر الامام عليه السلام من اغترار واندفاع الإنسان عندما يرى من كثرة الاموال، وطول قائمة الممتلكات، وعدِّهِ من الاغنياء فيُحْدِث ذلك في نفسه فخراً وعزاً وشموخاً على الآخرين وتعالياً على احكام الله تعالى وتناسياً للفقراء الذين جعل الله لهم في أموال الاغنياء حقوقاً يجب اعطاؤهم اياها وقد قال الامام الصادق عليه السلام (مياسير شيعتنا أمناؤنا على محاويجهم فاحفظونا فيهم يحفظكم الله)[1] فيكون لزاماً على الاغنياء المياسير الذين تيسرت عليهم الحياة بما حووه من اموال اقدرتهم على تجاوز الصعاب والازمات الاقتصادية فمن الضروري تَكَفُّلُهُم ببعض شئون الفقراء ولو بمقدار الحق الشرعي الذي يعاقَب مَنْ لم يؤدِّهِ، ولا أحسب أنّ ذلك يتعبهم أو يؤدي إلى خسارتهم في أسواق المضاربة بل يفتح لهم ابواب رحمة الله تعالى، وليعتبروا الانفاق على الفقير الذي ينقذونه من الجوع أو الالم من بعض ما ينفقونه في غداء العمل أو ما يُصرف في السهرات من أجل إقناع الطرف الاخر بالتعاقد وما إلى ذلك مما يصرفونه على المباذل وأحياناً الملاهي المحرمة من دونما توقف أو تورّع بينما يتناسى الانسانُ أخاه الإنسان وتكون لديه من القسوة ما

(١) أصول الكافي ج٢ باب (فضل فقراء المسلمين) ح٢١.

تجعله لا يعتني ولايحرك ساكناً لو تضوّر أمامه الفقير من الجوع أو تلّوى من الألم، مع أنه قد يلقى نفس المصير ومن المحتمل القوي أن ينتهي حاله إلى مثل هذا الحال بل أشد وأوهى وأهون وأذل.

إذن الدعوة إلى عدم الاغترار باقبال الدنيا، بالصحة، أو المال، بل التذكر دائما أن الامر سيؤل إلى مثل ذلك لولم يؤدِّ حق الله تعالى سواء أفي أمواله أم أخلاقه أم جسده أم تعامله أم سائر تحركاته في الحياة بما يجعله عبداً شكوراً مؤدباً غير متجاوز، وهذا أمرٌ عام لا يخص المتمرد على أحكام الله والعاصي لأوامره بل يشمل غيره لئلا يزّين له الشيطان مستقبلًا أن ينحو منحاه ويسلك مسلكه لأنّه لا ضمانة في البقاء على الخط المستقيم إلّا من عند الإنسان نفسه لأنّ توفيق الله تعالى متوفر دائماً فانه سبحانه يفيض على عباده ما ينفعهم إلّا أنّ العباد قد يحولون دون الوصول بسبب بعض ما يصدر منهم.



◄ ١٤٢ - قال عليه السلام:

اللَّجاجة(١) تسلّ الري.

مما يتعرض له الإنسان في المناقشات العلنية التي تتم أمام مشهد

(١) الخصومة: القاموس المحيط ج١ ص ٢٠٥، وفي جمهرة اللغة ج١ ص ٥٤ عمود (لَجَّ يَلَجُّ لجاجاً اذ مِحِك في الأمر) ومحِك بمعنىٰ نازع في الكلام وتماديٰ في اللجاجة. وفي المنجد ص ٧١٣، مادة (لجَّ) (لَجَ.. لجاجةً): عَنَدَ في الخصومة. سَلَّ... الشيء من الشيء: انتزعه المنجد ص ٣٤٢ مادة (سَلَّ).

من الناس مهما قلّ أو كثر العدد: هو حالة الإصرار على الرأي وعدم الإذعان للرأي الصواب وهذا الإصرار على الرأي مما يعني العناد والتواصل في الخط السلبي للمناقشة وهو ما لا يقبل في أمثال ذلك لأن القاعدة التي يسير عليها المتناقشون - عادة - هو التسليم للحق اينما ظهر ومتى ما ظهر من دون ما تردد أو تعصب، وأما لو حدث العكس فسيؤثر سلباً على رأي المعاند المصر فلا يحترم رأيه ولا يصغى لقوله بل قد يتعامل معه بالمثل فتخرج القضية عن حد المعرفة إلى حد إثبات الوجود وإبراز العضلات والتحديات الممقوتة في المناقشات العلمية التي يتطلب من ورائها الوصول إلى الحقيقة، وهذا أمر مستمر في سائر الأزمان ولا يتحدد بزمن دون آخر بل تجده حتى في أرقى المراكز العلمية وأزهى العصور الثقافية لأنّ ذلك الإصرار والعناد نابع من اصالة الإنسان في الداخل وتجذّر الحالة الانانية عنده وهو شيء طبيعي، لكن يؤمّل من المناقش النزيه التخفف منه شيئاً فشيئاً لتتمحض القضية بأنّها توصلٌ إلى الحقيقة لا تغلبٌ على الخصم وإنما الخلاف ما دام النزاع قائماً فاذا انتهى انتهت بذلك السخونة الحوارية التي تولدت من احتكاك الطرفين أو الأطراف بالكلام وعلو الصوت وما إلى ذلك من طبيعيات المناقشة والمذاكرة العلمية.

وقد دعا الامام عليه السلام إلى التنزه والابتعاد عن روح المقاومة السلبية والاصرار على الرأي من دون ما دليل مقنع وموجّه لأنّ

الإنسان طالب حقيقة فإذا وصل اليها لا بُدَّ له من الاذعان والاعتراف بأنّها حقيقة يجب الوقوف عندها وترك المجادلات الجانبية لانها لاتثمر شيئاً مرضياً.

فالدعوة أذن إلى الرفق في المناقشات وعدم التعنت والتعند بل ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[١] ليتضح الامر لكل متعلم ولا يتيه في غمار المناقشات والاصوات العالية والأخذ والرد والجدل بل على المتناقشين إدراك حقيقة مهمة وهي أمانة تاريخية بأنْ يحفظوا الجيل المتعلم الناشئ فلا يُظْهِرون أمامه سلبيات نفوسهم وعقدهم الحياتية وتأثراتهم الشخصية بما لا ينتج نتيجة والّا لفقد الرأي احترامه وما ذلك إلّا من اللجاجة.



◀ ١٤٣ - قال عليه السلام :

اللسان سَبُعٌ[٢] إذا خُلي عنه عقر[٣].

تقدم في شرح بعض الحِكَم السابقة -الحكمة ١٢٣- بيان أن

(١) سورة النحل الآية (١٢٥).
(٢) السَبُع والسَبْعُ : المفترس من الحيوان مطلقاً، المنجد ص٣١٩ مادة (سَبَعَ).
(٣) جَرَحَ المصباح المنير ج٢ ص٥٧٥ مادة (عَقَرَ)، والمنجد ص٥١٩ مادة (عَقَرَ).

اللسان نعمة، وتقدم أيضاً تعداد بعض فوائده وخصائصه وما يوفّره للانسان من منافع إلّا أنّه في ذات الوقت يشكِّل خطراً على الإنسان إن لم يحسن سياسته ولم يرع أُصول الحفظ والاحتراس من ضرره فإنّه إذا لم تحدد له ضوابط معينة وتُرِكَ على حاله ولم يُسيطر عليه فإنّه يكون سبباً مباشراً وقوياً - ومقتضياً - لإلحاق الضرربالإنسان وإنزال الأذى به وتوجيه اللوم والعذل له بما يجعله متندماً متأسفاً كئيباً حيث لاينفع ذلك - أحيانا-.

وقد كان وصف الامام عليه السلام دقيقا عندما وصفه بأنّه (سَبُع) فقد اعطاه تشبيهاً دقيقاً ووصفه بمَنْ يماثله في الصفات العدوانية والخصائص الذاتية وهو المفترس الذي تتغلب عليه النفس السبُعية التي تحركه وتحثّه شديداً نحو الانتقام والافتراس واقتناص الفريسة، واللسان له ما يشبه هذه الصفات من حيث أنّه يظل ملحاً على صاحبه حتى يحرّكه فيفصح عما لم يدرسه من أفكار ويتكلم بما لم ينضج من آراء بل مجرد خيالات مما يجعله مقتنصا للفرصة ولايرى غير ذلك.

فاللازم ملاحظته ومراعاته وحفظه والالتفات اليه وعدم الغفلة عنه وعدم الاهمال له لأنّه سلاح ينفع من جهتين فلا بُدَّ لمن يمسك به أن يعي ذلك جيداً ويحترز منه لئلا يؤذيه فاللسان يمكن أن يستعمل في كلام الخير مطلقاً فيؤجر على ذلك ويُحترم ويُوقر، ويمكن أن يستعمل في الشر وكلام الفتنة والنميمة والغيبة والفحش والبذاء والتدخل في شئون الآخرين و.. و... مما يحمّل الإنسان تبعات

وتبعات كثيرة تثقله وتوقفه للمسائلة الصارمة، وعندها يعرف أثر السكوت وفائدة السيطرة على اللسان.

وأنّ هذا الانفلات اللساني لمن آفات المجتمع ولذا تكثر الخصومات والنزاعات وعدم الودّ والوئام بين الافراد جراء عدم التوازن في الكلام والجري وراء العواطف وغليان المشاعر وتأجج الحسابات القديمة بما يترك جرحاً في النفس ولذا يصعب التجاوز عن ذلك بل تبقى عقدة في النفس وقد تتجاوز الاشخاص المباشرين إلى آخرين من الأعقاب والأقارب فاللازم تجنب ذلك قدر الامكان وذلك بحفظ الإنسان لسانه والمحاسبة على كلامه لئلا يطول وقوفه بين يدي ربه عز وجل، ولايترك في نفوس الناس آلاماً يصعب عليه مداواتها وعليهم مجاوزتها.



◀ ١٤٤ - قال عليه السلام:

للظالم من الرجال ثلاث علامات: يظلم من فوقه بالمعصية، ومن دونه بالغلبة، ويظاهر(١) القوم الظلمة.

تحذير من عواقب الظلم، ونصيحة بالابتعاد عنه من خلال بيان أوصافه وعلاماته ليتجنبه الإنسان فلا يتورط فيه لئلا تكون المشكلة اوسع من أن تطوّق.

---

(١) يعاون المنجد ص ٤٨٢ مادة (ظَهَرَ).

العلامة الاولى: إنّ الظالم يخالف أمر ربه إذ (الظلم يقال في مجاوزة الحق)[1] فكلما تجاوز الإنسان وتعدى وخالف احكام الله تعالى من الاوامر أو النواهي فإنّه ظالم، وقد يضاف الظلم إلى حيثيات وخصوصيات معينة فيطلق على الغاصب والزاني والسارق والكاذب والمغتاب والمزوِّر والمدلِّس... سواء الرجل أو المرأة ويقال إنّه ظالم باعتبار كل واحدة من هذه المعاصي.

وهو بهذه الارتكابات قد ظلم ربه إذ لم يتبع أحكامه ولم يقف عند نواهيه ولم يمتثل أوامره فهو غير متعاون بل هو عنصر سلبى يحمل حالة من الجرأه وعدم الالتزام مما يُجرِّىء الغير على التجاوز ويجعل أحكام الشريعة غير مطبقة لأنّ الافراد إذا اتحدوا واجتمعوا على ان يطبّقوا الاحكام الشرعية كانت لها هيبة في النفوس وتعظيم في القلوب بحيث لايمكن للمتهتك ان يفصح عما بداخله رعاية للكلمة المجتمعة وخوفاً من الردع الجماعي أو مجرد الاستنكار والاستغراب، أمّا إذا تحلل الافراد من ذلك فيتسببون في اشاعة المعاصي وانفلات العصاة لعدم وجود رادع أو مستغرب.

العلامة الثانية: إنّ الظالم يتسلّط على سائر المخلوقين ويقهرهم ويمنعهم حقوقهم فيكون مبغوضاً منهم غير محبوب لديهم قد خسر محبة الناس وفَقَدَ ثقتهم بما يجعله بشكل الإنسان وتصرفات غيره إذ لم يراعِ قواعد الانسانية وما تحتّمه من رقة في التعامل وأدب في

(١) مفردات للراغب ص٣١٥ مادة (ظلم).

التخاطب ومراعاة للحقوق ومحافظة على المشاعر وما إلى ذلك من مظاهر الاهتمام والاحترام بما يعني أنَّ العكس ظلم لهم والظلم يبغضه كل أحد مستقيم الطبع، سليم الطوية والقلب. وإنَّ هذا الظالم قد خسر رصيده في المجتمع، وأعظم به من رصيد.

العلامة الثالثة: إنّ الظالم يعاون الاشخاص المتجاوزين على أحكام الله وقوانينه الواجبة الاتباع، واللازمة التنفيذ والضرورية التطبيق، فهو مثلهم بل ويعاضدهم وسوف يحشر محشرهم، ولا أظن انساناً يحترم فكره ويودّ لنفسه الخير يحب هذا الوصف ويتمنى هذا الحكم عليه بل الملحوظ أنّ الظالم نفسه يبتعد عن التصاق هذه الأوصاف به مما يعني أنّها سلبية وغير محببة ومن أسباب البغض والكراهة الاجتماعية واثارة الحقد في النفوس فيتحتّم الفرار من الاتصاف بها واذا ما عرف الإنسان أنّ الظالم يتصف بهذه الاوصاف البغيضة فيكون لزاماً عليه التخلي عن موقع الظالم مهما كان أثره الاجتماعي، المادي، الوجاهي... لأنّ ذلك هو منطق العقل في القضية فضلًا عن حكم الشرع.



◄ ١٤٥ - قال عليه السلام:

لكل إمرئ في ماله شريكان الوارث والحوادث.

قد تكرر من الامام عليه السلام في مناسبات عديدة حثّ الإنسان على عدم الاغترار بالمال وعدم الاعتزاز به وأنّه زائل لايبقى، وأنّه قد

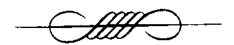
يكون غنياً لكنه يتحوّل بعد ذلك إلى فقير، فلا يصلح له الاعتماد على المال لأنّه في طريقه إلى الانتقال، وهذه الحكمة قد جاءت مكملة لغيرها وباسلوب وعظي جديد وهو: إنّ الإنسان الذي يجهد نفسه لجمع المال سينتقل عنه إلى الدار الاخرة ويتركه للورثة الذين فرض الله تعالى لهم الحق وإلّا فيكون المال من دون مالك وهو محال بل لابُدَّ له من مالك يحوزه سواء كانت الحيازة مباشرة أو بالتسبيب كما في ملكية الورثة لأموال مورثهم فإنّهم يملكونها بسبب موت المالك المباشر الأول اذن فلا جدال في هذا.

فإذا كان الإنسان يعلم يقيناً إنه يرحل ويترك المال فلماذا البخل ومنع نفسه أو أهله وذويه، أو منع الفقراء من حقوقهم، ولماذا التكالب والتناحر والجمع المكدي والحوي المضني إذا كان ما بعده رحيل وتوديع فالورثة شركاء للمالك رضي ام لم يرضَ.

وأيضاً الشريك الآخر حوادث الدهر ونوائبه وما يصيب مال الإنسان من خسارة أو غرق أو حرق أو سرقة أومصادرة أو محاولة إلتفاف عليه وابتزاز له وتزوير ونحو ذلك مما يتعرّض له الإنسان في حياته، فهذه شاركته ولو لم يرتض شركتها.

فإذا كانت شركتها تحمل طابع المفاجأة والمباغتة وعدم الاستئذان وإلغاء شرط الموافقة فلا بُدَّ للعاقل ان يتحسب للامر جيدا فينفق المال حيث لا ندم ولا تمني فرصة التراجع وما ذاك إلّا أن يصرفه فيما يحرز فيه ويتيقن معه من رضا الله سبحانه.

فالدعوة إلى التغلّب على النزعات النفسية والدوافع الانانية في جمع المال وعدم انفاقه في المطلوب.



◄ ١٤٦ - قال عليه السلام:

لم يذهب من مالِكَ ما وَعَظَك.

يتعرّض الإنسان في حياته العملية لصدمات وحالات يفقد فيها ماله بعضاً أو كلّاً مما يجعله مواجهاً لعملية مراجعة الحسابات واعادة النظر في المصروفات والواردات بما يترك له فرصة التفكير والتأمل والتأني والتمهل عند هذه الحالة الحادثة، وفي كل ذلك فرصة ثمينة إذ أنها تجعل الإنسان ذا خبرة وتجربة فلا يلدغ من هذا الموضع مرة أخرى ولا يخدع ثانية اذن ما خسره وافتقده من المال إنّما هو واعظ ومذكِّر وقد أثراه من حيث لا يشعر فهو شاكر له ولو بمنطق اللاشعور وذاك واعظ له ولو بمنطق أخذ العبرة مما حدث لئلا يتكرر مرة أخرى فتكون الخسارة ذات وقع شديد.

فالدعوة إلى أنْ لا يتأسف الإنسان لما يذهب منه أذا كان ذلك كفيلًا بتفتيح منافذ إبصاره القلبي والعيني وجعله متفهما للحياة ومسايراً لها وفق المدارات المختلفة التي يمرّ بها الانسان، فالمهم عدم التكرار وعدم الوقوع في المحذور وليس المهم - كثيراً - ذهاب المال.



◀ ١٤٧ - قال عليه السلام :

لو رأى العبدُ الأجلَ ومصيرَه لأبغض الأملَ وغرورَه.

يتضح من خلال استعراض كلمات الامام عليه السلام واستفهام معانيها واستجلاء مقاصدها أنّها نابعة من قلب عطوف مشفق يحب الناس ويسعهم ويود لهم ما يوده كلٌ لنفسه ولكنه يتحرك بعيداً عن الانانيات الطبيعية المتحكمة في الإنسان، فالإمام عليه السلام يتعامل معاملة الوالد، المعلم، المربي، القائد، المحاسب، المسئول، الذي ينطلق من موقع الاهتمام المباشر بالأمر ولم يتعامل اطلاقاً كانسان مجرد وبعيد عن هذه الاحاسيس والمشاعر النبيلة وكانت هذه الحكمة من إحدى الادلة على ذلك إذ قد تكرر منه كراراً ومراراً وفي مناسبات عديدة نصحه وحثه واهتمامه على ان لا ينساق الإنسان مع الامل والحرص والركون للدنيا بل عليه ان يحاذر ويناور ويحترز فيها لأنّها سرعان ما تتغير وتتحول فيبقى المتعلق بها كالواقف في جزيرة صغيرة وسط البحر الخضم الموّاج الضخم لا ساحل ينجيه ولامنطاد ينتشله ولا يد تخلصه مما هو فيه فعلى العاقل أن يُحْكِمَ امره جيداً ويفكّر في عاقبة انجرارهِ للدنيا وما يؤول اليه مصيره في الآخرة فإنّ الدنيا وما فيها من اغراءات واقبالات وتوجهات توقع الإنسان في حبال الامل ببقائها - إنّما هي - زائلة، ويختزن في داخلها من عوامل التبدل والتغير ما يجعل الإنسان اللبيب حائراً مبهوتاً في سرعة التحول وتبدل الولاءآت، فبينا هي مقبلة على أحدٍ، وإذا بها مدبرة مولّية عنه. . .

فالامام عليه السلام يدعو لأخذ العظة والعبرة من الموت وما بعده من قبر وأهوال وحساب ومساءلة دقيقة ومصير مجهول وحالة ترقّب ورجاء للشفاعة، كل ذلك مما يجعل الإنسان من عمّال الآخرة الاكفّاء غير المضيعين جهودهم وأوقاتهم على شيء يعود عليه بالخسارة والندم، بل يكونون من المبغضين لكل ما ورطهم في الابتعاد عن الخط السليم وأساس ذلك طبعاً الامل البغيض ببقاء الدنيا والعمل بما تمليه من مواقف غير متوازنة مما يحكم عليه بالفشل والخيبة.

ولا يفهم من هذا سلبية الموقف من الدنيا بل مرحباً بها ما دامت مزرعة للآخرة، وما دامت فرصة لاكتساب الفضائل، واقتناص الفرص الصالحة، لإحراز المراتب العالية المتقدمة في الآخرة، وما دامت زاداً ليوم يلقى الإنسان فيها ما عمل حرفياً ومن دون ما ظلم أو تحريف. وبطبيعة الحال العكس صحيح فالمقاطعة والرفض التام وكل عبارات الشجب والتأنيب لها أن كانت مصدر توريط للانسان، فهي سلاح ذو حدين يمكن كل أحد الاستفادة منه ولكن بعد استيعاب التعليمات ومعرفتها جيداً.



◀ ١٤٨ - قال عليه السلام:

لو لم يتوعد الله على معصيته، لكان يجب أن لا يُعصى شكراً لنعمِهِ.

الدعوة إلى اجتناب المعاصي والابتعاد عن كل عمل لا يرضي الله

سبحانه لدليلٍ عقلي يستوعبه عامة الناس ويدركه الكل ويوافق عليه الجميع وذلك من باب وجوب شكر المنعم.

فاذا عرفنا بالدليل الملموس والمشاهَد المحسوس أنّ الله تعالى واهب العطايا والحياة وكل ما في الوجود للانسان تفضلًا منه وابتداء وقد مَنَّ على الإنسان بنعم متعددة يعجز عن تعدادها الإنسان لأنّها متجددة آناً فآناً وغير محصية لوفرتها، وعدم التعامل مع العباد بمقياس الكثرة والقلة.

عرفنا - لكل ما تقدم - أنّه تعالى يستحق الشكر، وللشكر عدة مظاهر ومبرزات فقد يكون بالقول واللسان وقد يكون بالفعل والتصرفات وقد يكون بالكف عن المنهيات والمحرمات والابتعاد النهائي عنها بحيث لايكون له اندفاع نحو ذلك مهما مسّت الحاجة أو دعت الضرورة المتوهَمة فإذا تم ذلك من العبد كان ذلك مظهراً من مظاهر شكر الله تعالى.

هذا لولم يُصَرَّحْ بالنهي ولم تأتِ الرسل مبلغين عنه تعالى تحريمه ونكيره فكيف والحال أنه تعالى صرّح، وهم قد بلغوا، وقد عرف الجميع تلك الحقيقة ووعوها حتى أنّ المتجاوز المتعدي لحدود الله تعالى يعرف انه يعصي الله وأنّه يخالفه وأنّه. . وأنّه. . . مما يدينه ويجرّمه إذن بلغت المسألة حداً من الوضوح بحيث لايصح لأحد الاعتذار بعدم المعرفة أو عدم وصول الخبر بل قد تبلّغ الجميع وفهموا، فلو صدرت المعصية فالمؤاخذة والمعاقبة تكون رداً في محله وتأديباً لأهله وايقافاً لتجاوزٍ قد صدر من العارف بالشيء العالم به.

واعتقد أنّ هذا الطرح منه عليه السلام إنّما هو مستوى من مستويات النصح والارشاد: بأنَّ على الإنسان أن ينزجر ويكف عن عمل المعاصي لأنّها مبغوضة على كل حال ولايناسب صدورها من الإنسان على الاحتمالات كافة فلا عذر لمعتذر بعدها.



◀ ١٤٩ - قال عليه السلام:

ليس بلد بأحقّ بك من بلد، خير البلاد ما حملك.

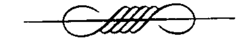
هذه الحكمة لها أثرها البالغ في تشجيع الايدي العاملة والطاقات الشابة والقدرات المعطّلَة المهمَلة في بلادهم على السعي وراء العمل والكفاح في الحياة بما يوفّر فرصة عمل توفر لقمة العيش الكريم وتهيء مجالًا للتوسع والترقي ورفع المستوى المعاشي، الاقتصادي، الاجتماعي، وتحسين الوضع العائلي بما يجعله مرفِّها على نفسه وعلى عياله ليُمَكِّنَهم من العيش الرغيد أو الذي يبلّغ الحاجة أو يسدها، فقد يواجه البعض ممن يرغب بالهجرة للعمل بمعارضة ومقاومة على أساس أن البلد أحوج ما تكون إلى أبنائها وليس من الوفاء ان تربي ويستفيد غيرها و.. و... مما يردده البعض من المنظّرين الذين لا يحسّون بآلام الاخرين ولا يواجهون ما يجعلهم يفكرون فيما هو أصلح وأنفع واقوم لحياة مجاميع كثيرة من الناس ممن تشكو من العوز والفقر والحاجة مع أنّ بامكانها أن تعمل شيئاً لتكون الفائدة مزدوجة لهم ولغيرهم.

وقد عالج الامام عليه السلام ذلك بأنَّ: على الإنسان أنّ يبحث عن فرصة للعمل ومجال الابداع ولو في بلد آخر غير بلده ولكن - طبعاً - مع الحفاظ على انتمائه وهويته ووطنيته لأنّ ذلك مما يجب أن لا يتناساه أحد، فيمكن الجمع بين الوجهتين بان يعمل في بلد آخر لو لم يمكنه ذلك في بلده ولكنه يبقى وفياً لبلده بطاقاته، بخبراته، باستثمار امواله، بمشاريعه الانمائية سواء المستثمَرة أو الخيرية. . . مما يبقي الصلة ويقوي الروابط ولا يجعل الإنسان يشعر بعمق الغربة والوحشة في داخل نفسه بل يكون متجاوباً مع الحياة،لم يستسلم للأمر الواقع الذي واجهه في بلده بل تماشى معه وبذل جهدا ولم يفلح حتى بلغ به الأمر إلى الاغتراب من أجل العمل والعيش بكرامة لئلا تموت أو تُستغل جهوده، أفكاره، طاقاته. . . للاعداء ولو المبرقعين الذين لا يظهرون بشكلهم غير المحبب بل بمظهر الود والانكسار على الطاقات المهدورة لكنها تستغل ذلك في سبيل اغراض غير انسانية وغير شريفة فتكون عندها الخسارة مؤلمة جداً لأنّنا فقدنا شبابنا وفقدنا طاقاتهم، وتكون الواقعة شديدة لذات السبب المزدوج مما يحتّم أن نفتح المجال ولانعرقل مشاريعهم للمستقبل وتخطيطهم للحياة بما يعمرّها وبما ينعشهم ويجعلهم ينعمون كانُاس لهم آمالهم وتطلّعاتهم.

فلا بد من استيعاب الحكمة جيداً للمساعدة في تقليل البطالة في العالَم والمشاركة في تحريك عدد من البلدان المحتاجة إلى

الأعماراو التقنيات الخدمية في شئون الحياة مما يحتاج فيها إلى عنصر الإنسان المفكر المخطط، المهندس، العامل، المراقب. . . .

وبذلك ننعش القلوب ونحقق الآمال. . . ، ويمكننا أن نستشف من هذه الحكمة أنه عليه السلام قد سبق القائلين بالنظرية الأممية التي كان يُروَّج لها، إلّا أنّه عليه السلام طرحها بالشكل المتوازن الباقي ما بقيت الدنيا لأنّه قائم على الالتزام بتعاليم الشريعة الإسلامية، لا تأسيس خط آخر مقابل خط الشريعة فلذا استمر هذا ودحر ذاك والحمد لله.



◀ ١٥٠ - قال عليه السلام:

ليس من العدل القضاء على الثقه بالظن.

الدعوة إلى عدم التفريط بالثقة بين أفراد المجتمع من الاخوان والاصدقاء والمعارف وأن لايخسره الإنسان لمجرد ظنونِ سوءٍ واحتمالات مقابَلَة بمثلها ونحو ذلك مما يعطي انطباعاً هشاً وغير سديد عن سبب الجفاء وانقطاع العلاقة فلابُدَّ أن لايترك الإنسان مَنْ عرفه بالوثاقة لمجرد انه ظن به سوءً لأنَّ المفروض أنّ العلاقة كانت قائمة على أساس متين فلا بُدَّ من أن لا يفرّط بها لإحتمال وسوء ظن بل على الإنسان أن يدقق كثيراً في أحكامه فلا يطلق القول كما يحلو له وإلّا كان مجحفاً بحق الغير متجاوزاً غير منصف وهذا ما لايرضاه

أحد لنفسه، وفي هذا تهذيبٌ للافراد وإصلاحٌ للمجتمع لئلا تكثر فيه الاحكام الجائرة أو غير المدروسة التي تُرتجل ويكون مصدر تحريكها الانزعاج النفسي أو عدم الانسجام ونحو ذلك مما يحول دون بقاء العلاقة مستمرةً.

فلابُدَّ من أن يتريث الإنسان في الحكم لئلا يجور ويتجاوز العدلَ والمعروفَ والحكمةَ في تصرفاته والّا فيندم وقد لاينفعه فتفوته فرصة التعويض والإصلاح وتهدئة النفوس إذ يكون بذلك كسراً للنفوس وهدماً للأركان المشيدة بين الاصدقاء والمعارف مما يعني خسارة ليس من السهل تعويضها.



حرف الميم

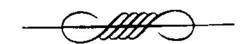
◀ ١٥١ - قال عليه السلام :

ماء وجهك جامد يقطره السؤال، فانظر عند مَنْ تقطره.

وصف دقيق ولطيف يستوعبه كل أحد بعدما يتأمل فيه ويترك لنفسه لحظة تفكر ليعرف أنّ الذلّ له عدة محاور يتوصل منها إلى الإنسان فمنها السؤال وطلب الحاجة مهما كان شأنها واهميتها وحجمها ومهما كان المطلوب منه، ومهما كانت الظروف الملجئة فإنّ النتيجة واحدة والحال واحد وهو تقديم ماء الوجه وما يعطيه من معنى كنائي عن العزة والكرامة، ومعنى تقريبي عن تحصن الإنسان بذلك عن أن يقتحمه أحد باستمنان أو استعراض مواقف معينة ليتميز من خلالها عليه، كل ذلك يقدمه بنفسه ازاء الحصول على مطلب ومرام مؤقت فلا بُدَّ من ان يوازن الإنسان في ما يربحه من ذلك المطلب والمرام المؤقت وما يحققه من مكاسب هل تستحق التضحية والتنازل عن الثوابت الشخصية أو لا، فيفضِّل الحرمان من تحقق المطلب والانتظار لوقت آخر من أجل الاحتفاظ بالمعاني السامية التي ترفده وتعينه في مواقع كثيرة في الحياة العملية.

وإلّا لوصف بأنّه (وصولي) يهدف لمصلحته ولو على حساب كرامته ويريد التوصل بشتى الطرق والوسائل، وهذا ما يلحق به العار.

وهناك - طبعاً - في الضفة الاخرى البعض ممن يتعشقون الكرامة ويأنفون للعزة فيحيون ما حييت ويموتون من أجلها فلايبذلون ولايقطرون ماء الوجه إلّا عند مَنْ يستحق ذلك وهم قليل بل أقل القليل وهذا هو السمو الروحي والشعور بالكرامة الذي يريده الامام عليه السلام لئلا يخلو الإنسان من كل شيء حتى هذا التسامي والاعتزاز إذ - بعد ذلك - يسهل عليه كل شيء حتى دينه وعرضه و.. و....



◀ ١٥٢ - قال عليه السلام:

ما أخذ الله على أهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على أهل العلم أن يعلِّموا.

الدعوة إلى أن يأخذ كلٌّ موقعه ويقوم بدوره ولايتخلّى عن واجبه، فالجاهل يبحث عمَّنْ يعلِّمه ويرشده إلى ما يقوّمه ويطبّعه بالطابع الاسلامي الصحيح، ولايبقى مصّراً على جهلِهِ أو مستحياً من إبداء ذلك لئلا يقال ما يقال.... بل يُقْدِم واثقاً ويطرح اسئلته - إن وجدت - بكل شجاعة من دون ما تردد ليجاب عنها فلا تدوم حالة الشك والحيرة أو الجهل والضلالة بل يتحول إلى أن يقوم بدور المرشد المعلِّم لغيره بما يقلل عدد الجهال بالاحكام الشرعية.

وكذلك العالِم يبذل ما لديه ولايدَّخر من وسعه شيء حسب طاقته البدنية، العلمية، حالته الامنية والاقتصادية، بما لا يشكِّل إحراجاً أو إرهاقاً، ولو قد يفترض فيه التنازل عن حقوقه مراعاةً لحق الآخرين وتقديماً لارشادهم على حقه الشخصي، وهذا الافتراض صحيح، غايته لو توافرت له المستلزمات والمقومات كافة، وأمّا لو بدا الخلل من أحد الاطراف لفشلت المحاولة ولما تمّت، فمثلاً لابُدَّ من وجود جاهل بالحكم الشرعي مستعد للتعلم، للتطبيق والتنفيذ، لنقل الحكم إلى أمثاله، ولايكون من النوع الاتكالي، المتقاعس، الذي يتوهم أنّ القيام بذلك ينحصر بالعالِم بما يرفع المسؤولية عن الباقين، بل لا بُدَّ من التجاوب والتفاعل بما يشجع العالِم على تقديم ما لديه بروح منفتحة، وهنا لا بُدَّ من معرفة شيء مهم وهو إنّ العالِمَ انسان طبيعي يتميز عن غيره بالعلم، إذن فله مزاجه الخاص، نفسيته المنفتحة على غيره أو المنغلقة، خصوصياته الشخصية، المؤثّرات الخارجية التي قد تعطِّل فيه مواطن القابلية والإبداع. وإن افترض فيه المثالية والاندماج بالدور الملقى عليه إلّا أنّه يبقى انساناً ويطالب بحقه في ذلك، فإذا توحدت الجهود وكان كلٌ من العالِم[1] والجاهل[2] يبحث عن موقعه ليحتلّه ويكون مؤدياً

(١) ولو لم يكن بمستوى فكري متقدم بل مجرد علمه بالحكم الشرعي.
(٢) ولوكان من ذوي المهارات العملية أو الخبرات العلمية إلاّ أنّه يجهل الحكم الشرعي.

لوظيفته الشرعية بما يلغي عنه المسؤولية ويخفّف عنه التبعة والمؤاخذة، لأثمرت تلك الجهود حالةً متقدمةً في مستوى التثقيف الاسري، المهني، الاجتماعي، الافرادي... حتى لقلّما يوجد عاطل عن دوره المناسب له ولكن...

فاللازم على الجاهل أن يتعلم ويسأل قال تعالى ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، واللازم على العالِم أن يُعلّم ويجيب بحدود القابلية والامكانية العلمية، قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[2].

ولو أُتبعت هذه الحكمة وحاولنا الأخذ بها لوجدنا أثرها الواضح في معالجة هموم وقضايا نعاني منها جميعاً ترهق كاهل الافراد المكوّنة للمجتمع الضيق كأسرة، أو الموسّع كمجموعة أسر تؤلف مجتمعا مستقلاً، ولو عرف الله تعالى منا صدق النية وقوة العزيمة لأخَذَ بأيدينا إلى حيث نريد، ولكنا تقاعسنا وتواكلنا واتكلنا

---

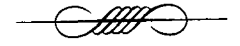
(١) سورة النحل آية (٤٣). وسورة الانبياء آية (٧).

(٢) سورة آل عمران آية (١٨٧). يُلاحَظ تفسير مجمع البيان للطبرسي ج٢ ص٥٥٢، وتفسير الميزان للطباطبائي ج١ ص(٣٨٩-٣٩٠)، وتفسير مواهب الرحمن للسبزواري ج٧ ص١٥٨، والتفسير الكبير للفخر الرازي ج٩ ص (١٣٠-١٣١) المسألة السادسة، والدرّ المنثور للسيوطي ج٢ ص١٠٨، وتفسير النسفي ج١ ص١٩٩.

خصوصاً في مسألة التعلم والتعليم للحكم الشرعي، وتركنا مجالًا كبيراً فصار الكثير يحسب ألف حساب قبل أن يتعلم المسألة الشرعية التي هي مما يدور يومياً ويحتاج اليه المكلف، ونحن في ضمن هذا كله متغافلون عن الجواب المناسب الذي نقدّمه لو سُئلنا عن هذا...

ويمكن أن نستفيد من هذه الحكمة شموليةً في لزوم السؤال على الجاهل، والجواب من العالِم في مختلف ميادين العلم والمعرفة من دون ما انحصار بعلوم الشريعة وإن كانت تحتل موقعا متقدماً باعتبار الحاجة الماسة اليومية من المكلفين كافة بينما غيرها من العلوم الاخرى قد تدعو الحاجة اليها احياناً فلا تأخذ نفس المستوى من الاهمية، فهي واجبة سؤالًا دفعاً للضرر، وجواباً إداء للواجب الكفائي(١) عند اللزوم والحاجة والتي يفترض فيها عدم الاستمرار بينما إذا بلغ المكلف سن التكليف الشرعي صار في مرحلة الاحتياج اليومي المباشر لها.

فالدعوه إذن إلى أن يتعلم الجاهل والى أن يعلّم العالِم.



(١) ما يلزم الجميعَ اداؤه ولكن لو قام فرد سقط عن الباقي ولو لم يمتثله الجميع تعرضوا للمساءلة.

◀ ١٥٣ - قال عليه السلام :

ما أضمر[١] أحد شيئاً إلاّ ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه.

من الجميل جداً في الحياة حالة الصدق وعدم إبطان السوء، والمصارحة بالواقع إذا كان مناسباً بحسب الزمان والمكان وجميع الاحوال الأُخر المطلوب مراعاتها، أمّا إذا اعلن شيئاً وهو منطوٍ ومضمِرٌ لغيره فحتماً سينكشف أمره بلانقاش وان حاول إخفاءه مدة معينة إلّا أنّه سيتضح الحال لكل أحد من دون ما مماراة.

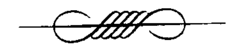
فالدعوة إلى أن يحسن الإنسان ما يضمره وما ينعقد عليه قلبه حتى إذا انكشف لا يخجله ولا يوقعه في ورطات ومشكلات جانبية إذ من المؤكد أنّ الإنسان قد يمكنه التحكم في السيطرة على بعض أعضائه بسهولة إلّا انه قد يفقد السيطرة على لسانه ومعالمه الخارجية والآثار المرتسمة عليها كالحمرة أو الصفرة أو التلعثم أو الاندهاش أو علامة الاستغراب أو الخوف وما إلى ذلك بحيث يستطيع المقابل قراءة أفكاره من خلال ما ظهر على شاشة الوجه فإنّها تعرض ما يظهر أمامها من داخل النفس.

ولاشك أنّ العاقل لايرضى لنفسه الافتضاح أو مجرد علم الآخرين بحاله الذي لا يود انكشافه لكل أحد فلا حيلة لديه الاأن يفكر بالخير ويتعامل مع الاخرين في نفسه بايجابية وانفتاح من دون

(١) أي أخفى.

ما لفّ ودوران لأنّه حتما سيُعرف زيفه من واقعه ومعدنه فاذا ما اعلن هو فسيهون الأمر ولا يكون مفتضحاً بالشكل المزري الذي لايتمناه احد، أمّا إذا أُكتشِفَ من قبل الاخرين فتكون النتيجة في غير صالحِهِ حتماً.

وهذه الحكمة يؤخذ بها في ميادين الحياة كافة وفي مختلف المراحل العمرية للإنسان ولاتختص بميدان دون آخر أو مرحلة دون اخرى فالصغير والكبير، والمرأة والرجل يتساويان في لزوم ذلك التحفظ.



◀ ١٥٤ - قال عَلَيْهِ السَّلَامُ:

ما ظَفَرَ مَنْ ظَفِرَ الإثمُ بهِ، والغالبُ بالشرِ مغلوبٌ.

يقوم البعض باستعراض قواه الجسدية، وإبراز عضلاته ليدلّل على قوته وامكانية وصوله نحو الهدف بما يجعل النفوس منه مرعوبة ليحقق بذلك انجازاً لنفسه، لكنه لم يلتفت إلى أنّ القدرة والقابلية وإحراز التقدم وامكانية التغلب والمواصلة... إنما هو في جانب الخير والأعمال الايجابية لأنّها تعاكس رغبة الإنسان بشكله العام، ومن دون لحاظ للمقومات الشخصية كالعصمة أو العلم أو التدين أو التقوى أو الخوف... لما لها من أثر كبير في تقويم الإنسان أو صرفه عن بعض توجهاته فيمكنه السيطرة على الرغبة والهوى الغالب.

بل الحديث عن الإنسان بطبيعته وتوجهاته الذاتية فإنّه يعاني المشاق ويبذل الجهود لأجل ان يكون ايجابياً فمثلًا لو أراد قهر نفسه فلا يتقدّم نحو الحرام: السرقة، الغيبة، النميمة، الفتنة، الاعتداء على الغير، النيل من الغير، شرب الخمر، معاونة السلطان للوصول إلى الهدف، تحدي الغير، الانتصار بالقوة، كسر شوكة الطرف المعتدي، الاحتيال وغيرها مما يدخل ضمن خط الحرام، وكذلك عندما يتقدم نحو اداء الواجب فإنّه يغالب هواه.

فهل تأدية الصلاة بالاوقات المعينة مع كافة الالتزامات الخاصة، وبأنواع الصلاة الواجبة المتعددة وبسائر الخصوصيات المعتبرة مما يرغبه الإنسان دائماً وفي مختلف حالاته البدنية، النفسية، الامنية، الاقتصادية، العاطفية...؟!

أو هل الصوم يلائم الإنسان بما في الصوم من امساك وآداب لا مجرد الإمساك عن المفطرات المعينة...؟!

أو هل دفع الحقوق المالية توافق رغبة الإنسان بحسب حرصه على جمع المال واستبقائه وعدم التفريط به أو توزيعه...؟!

أو هل الجهاد يتفق مع حب الإنسان لنفسه وتشبثه بالحياة...؟!

أو هل طاعة الوالدين تكون دائماً على وفق مزاج الولد...؟!

او هل عون المحتاج مما يسهل دائما على الانسان؟ أو.. أو... من سائر الواجبات بمختلف مستويات الإلزام بها وعلى مختلف الصُعُدُ المثبتة للوجوب بالدليل الشرعي أوالعقلي فإنّها تحتاج إلى

أقبال وتوجه نفساني واستعداد للتنفيذ من دون ما ترك أو تواكل لئلا يعتبر عاصيا ومقصرا.

ولكن جانب الشر أسهل وصولًا إلى الإنسان لانه يتجاوب مع أهوائه ويتناغم مع حالاته النفسية التي تقدم - احياناً - الشهوة بمتعلقاتها كافة، إنزال العقوبة بالمعتدي بمختلف الوسائل...

فالدعوة إلى أن يضبط الإنسان نفسه ويتوازن في تصرفاته فلا يفخر لو غلب بالشر على اختلاف مراحله ومستوياته في التأثير، وليعرف أن ذلك يعود عليه بالضرر ولو بعد ذلك فلا يفوت ولايفلت من المقابلة بالمثل فلايفرح كثيراً فانه لن يدوم عليه ذلك لأن الله تعالى خلق الإنسان واراده أن يعمر الارض وفق الموازين التي وضعها له من دون ما تجاوز أو تغليب للنوازع الشخصية وإلا لغدت الأرض اشبه ما تكون بغابة الحيوانات، واهلها أشبه ما يكونون بقطيع كواسر متجول. وهو ما نزه الله تعالى عنه الإنسان فليجرّب كل منا نفسه ليرى مدى استجابتها للترويض... ولا يفاخر بالقوة.



◀ ١٥٥ - قال عليه السلام:

ما المبتلى الذي قد اشتد به البلاء بأحوج إلى الدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء.

اسلوب بليغ لتحذير الإنسان من الاغترار بالعافية وعدم الابتلاء

بما أصاب غيره، لأن الإنسان تمر به حالات من الاغترار فيتمرد حتى على موجِدِهِ وخالقه وذلك بعدم الانصياع للاوامر والنواهي على أساس أنّه معافى البدن، آمن لايخاف احداً. . . وما إلى ذلك مما يتوهمه فيدرج على ذلك إلّا أنّه يجهل أو يتجاهل إنّ أمر ذلك كله بيد الله تعالى وتحت قدرته فإن تجاوز العبد الحدود فعليه أن لايأمن الغضب والعقوبة.

وقد حذّر الامام عليه السلام من هذه الحالات وتمكّنِها في النفوس ببيان أنّ الكل يتساوى في احتمالية الاصابة فلا يظن أحد انه بمعزل ومأمن بل الجميع معرَّضون، والكل يستأهل الشفقة، وما من أحد إلّا ويُطلب له من الله سبحانه الخير ويدعى له بالكفاية، فلا يتفاوت حال المصاب حالياً أو مَنْ يصاب مستقبلًا. الكلّ على صعيد واحد.

فالدعوة إلى أن يدعو الإنسان من الله سبحانه لأن يعافي المبتلى ببلية - أياً كانت - ولأن يجير غير المبتلى الذي هو فعلا لم يتعرض لشيء إلّا أنّه في معرض ذلك لو شاء الله تعالى. إذ لا قدرة للإنسان مهما بلغت عظمته الدنيوية أن يدفع عن نفسه ما يريد الله له أو عليه وفق ما يناسبه من مصالح وحِكَم تخفى على العباد ويعرفها هو تعالى فقط. فهذه الحكمة في الواقع درس اخلاقي مؤثر لمن يتمعن ويفكر. . .



◀ ١٥٦ - قال عليه السلام:

المرء مخبوء(١) تحت لسانه.

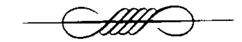
الدعوة إلى تقييم الإنسان على أساس المنطق وسبك الكلام لما لهما من أثر في شدّ المستمعين الذي يعني اصغاؤهم ثم انشدادهم ثم تأثرهم في الكلام المسموع ثم التطبيق في كثير من الاحيان.

والدعوة إلى عدم الانتقاص والازدراء بالمتكلم حين يكون غير مقبول الهندام والهيئة الخارجية المظهرية، أو مجهول الهوية، إذ من الممكن جداً لأجل تكوين القناعة الكافية والانطباع عن الآخرين ان يصغي السامع للكلام وصوغه الجيد واسلوب المنطق والحوار فإنّه هو الشئ الوحيد الذي يتغلب على التزييف لأن يعرف المتصنع من المترسل والمتكلف من غيره والحافظ من المنشئ وهكذا يتبين الحال إن كانت قابليته ذاتية أو مقتبسة من الآخرين وقد سطا عليها وانتحلها هو. بينما الامور الأُخَر تقبل التمظهر ومحاكاة الآخرين ولا تظهر لكل أحد حقيقتها إلّا بعد دقة وامعان فمثلًا يمكن لأي أحد أن يلبس قيافة شخص آخر بعد إجراء تعديل وتحوير ولكن يبدو واضحاً للعارف بالمقاييس الصحيحة الملائمة لمقاسات الاشخاص أنّ هذه مصنّعة لتناسبه ولم تكن كذلك سابقاً، وهكذا عمليات التجميل الخاصة بالممثلين أو بالنساء وهكذا استعمال الاكسسوارات والشعر

(١) أي مستور المنجد ص١٦٦ مادة (خبا).

(الباروكة) وما إلى ذلك مما يعرفه الحاذق بل وغيره ايضاً. أمّا صناعة الكلام ودلالته على المتكلم فيتضح أمرها - كما تقدم - وقد تسبب الكلام وحسن المقال في نجاة اشخاص كانوا في مواقف حرجة، ودَلَّ على مكانتهم فلاقوا احتراماً وتبجيلًا بعدما عانوا العكس.

اذن لابُدَّ من احترام المقابل بمقدار ما يدل عليه كلامه ومنطقه وحسن مقاله من فعل وادب وحكمه... لا بمقدار ما تدل عليه قيافته ومظهره الخارجي القابل للتغيير.



◀ ١٥٧ - قال عليه السلام:

مسكين ابن آدم: مكتوم الاجل، مكنون العِلل، محفوظ العمل، تؤلمه البقة، تقتله الشرقة، وتنتنه العرقة.

تأسفٌ على حال الإنسان من مشفقٍ عليه يدعوه لخيره ولما فيه اسعاده ورفعته ليكون قدوة في مجتمعٍ انحسرت فيه المثل والمبادئ وحلّت محلها الماديات بمختلف صُورها المقيتة والمقبولة فبدا الانحلال عليه واضحاً وصار الناس وكأنهم مجموعة من الكائنات الحية التي لا تربطهم رابطة ولايوحدهم دين واعتقاد.

وقد دعا عليه السلام الإنسان إلى أن يكتشف قدره ومحله من بين الموجودات بنفسه بعدما يستعرض:

أولاً: أنه لا يعلم وقت موته ولا مدة عمره فهو معرّض في أي لحظة إلى الانتقال إلى عالَمٍ اخر، ومع ذلك يدّعي لنفسه ما يدّعي . . .

ثانياً: أنّه يحتوي على مجموعة من العيوب الخَلقية والخُلُقية، فقد يكون فيه نقص ولادي أو عوق طارئ بما لا يجعله سوياً وقد يكون ممن يعاني من عُقَد نفسية تقصر به دون بلوغ المرتبة المتكاملة للانسان الاعتيادي، أو يشعر بحقد أو حسد أو ضغينة أو توجه نحو بعض الخطوط الملتوية أو انحراف إلى جهة مغايرة وما إلى ذلك من العيوب الخُلُقية التي تحول دون التفاخر والتشامخ - الفارغ - مضافاً إلى أنّه في معرض الابتلاء بالمزيد من الآلام والاعراض التي تغيّر من طبيعة حياته ومجراها فيكون أسير الفراش لا يستطيع دفع الذباب عن نفسه.

ثالثاً: أنّه مرصود من جهات تحصي عليه أعماله ولا يعرف النتيجة هل لصالحه أم لا، خصوصا وأنّ حالة المراقبة والمتابعة تتعب الإنسان نفسياً بما يجعله خائفاً وجلاً تنغّص عليه عيشه فهل يترك هذا مجالا للمغرور وقول أنا و أنا. . ؟!

رابعاً: أنّه من الرقة بحيث تؤثر فيه البقة مع أنّها حشرة صغيرة ما عساها تقوى على شيء سوى مدّ خرطومها الدقيق لتمتص ما يمكنها من الدم ومع ذلك يهيج ويتأثر ويتألم ويتوجع ويشكو - احياناً - من ذلك الكائن الصغير الحجم الذي لا يهتم أحد لوجوده، فإذا كان هكذا حاله فهل يعني - الإنسان - شيئاً كثيراً.

خامساً: أنّه يعيش بنظام دقيق بحيث يتنفس وفق عمليات معينة فاذا اختلت وانسدّ مجرى الهواء بدخول حبة طعام فيه أو قطرة سائل فيغص وقد تكون نهايته بذلك لانقطاع سلسلة النظام الطبيعي لحياته فكيف يشمخ بانفه على غيره أما يخشى ان تفاجأه غصة من تلك الغصص وكم من الناس مَنْ مات بسبب الغصة والشرقة.

سادساً: أنّه لو لم يُزِل الاوساخ عن جسده مدة معينة لفاحت وانتشرت منه رائحة منتنة تنفر منه الناس ولو كانوا ذوي قربى، ولشكوا ذلك إليه بما يخجله ويوقعه في المأزق. فإذا كان هذا حاله في الدنيا والمعطرات والمساحيق المنظّفة بجنبه فكيف به فيما وراء الحياة وفي عالَم القبر، فهل يمكنه بعد هذا التفاخر بكيت وكيت بما يوجع قلوب الآخرين ويؤذيهم بالقيل والقال مع أنّه يحتوي على كل هذه.. واعتقد أنّ التأمل في هذه الدعوة منه عليه السلام كاف للتخفف من غلواء النفس وحِدّتِها بما يجعلها متعالية متغطرسة بل يُهَدِّئ من طبع الانسان، فهو والحالة هذه أهون من أن تُسلّط عليه أقوى المعدّات للابادة بل يفقد راحته بالبقة، ويفقد حياته بالشَرْقَة، ويفقد احترامه بين الناس بالعرق ونتانة ما يشمون منه، وهو قبل هذا ومعه وبعده لا يهتدي إلى سبيل إلّا بتوفيق الله تعالى وتسديده وعونه، فاحسب أنّ التدبر ومحاولة العيش في هذه الاجواء كفيلٌ بأن يعيد الواحد منا حسابه ليتعامل مع ربه ونفسه وغيره ممن حواليه باسلوب أكثر مسئولية وأرقّ تعاملًا لئلا تبدو المعايب، فيهرّج بها الاعداء ويتألم لها الاصدقاء.

وهذه الحكمة تصلح تعريفاً جامعاً لافراد الإنسان بما يكشف النقاب عن الخصائص والمميزات.



◀ ١٥٨ - قال عليه السلام:

مقاربة[١] الناس في أخلاقهم أمنٌ من غوائلهم[٢].

الدعوة إلى التعايش السلمي، وعدم المواجهة مع الآخرين مهما أمكن، وعدم المعاكسة في الطبائع وأمثالها مالم يتعارض مع بعض الثوابت الشرعية أو العرفية الاجتماعية وما عدا ذلك يلزم الإنسان أن يدنو من المجتمع بما يجعله أحد أفراده وغير بعيد عنهم فلا يُستفرد به ولا يُعتدى عليه ولا يغبن حقه ولايظلم ولايشطب من قائمة الأفراد الاعتياديين، لأنّ لمؤشرات الناس أثراً يهتمّ به العقلاء بما أنّ الفرد واحد والناس جماعة فلو انعزل ولم يدنو منهم فلا يضرهم ذلك إلّا قليلًا بينما إذا انعزلوا عنه وقاطعوه أو اجتمعوا على عدم مخالطته أو اتفقوا في حكم معين عليه فسيضرّه ذلك ولو من الناحية الاجتماعية التي هي المنفذ الوحيد له على العالَم الاوسع، إذ لا يمكن التخلي

(١) قَارَبَه: داناه. المنجد ص٦١٧ مادة (قَرُبَ)، ونحوه في أقرب الموارد ج٢ ص٩٧٧ مادة (قَرُبَ).

(٢) الغائلة: الفساد والشر. المصباح المنير ج٢ ص٦٢٦ مادة (غول).

بسهولة عن أحكام الناس ولا يستغنى عنهم لأتفه الأسباب بل لابدّ من المداراة والمداناة بما لايحرّم حلالًا ولايحلّ حراماً ليستفيد من خيرهم أو ليستكفي شرهم.

وهذه الحكمة نصيحة ناصح مشفق قد جرّب الحياة وأهلها وخَبَرَهم جيداً حتى عرف أنّ الإنسان مهما بلغ لايستغني عن المواصلة والاجتماع واللقاء ولكن بحدود اللياقات العامة، وأمّا لو زهد في هذه النصيحة أحد فلا يلومنّ بعد ذلك إلّا نفسه، بل ويؤشّر رفضه وعدم قبوله عن عدم نضجه بل وإعدام خبرته في الحياة.



◀ ١٥٩ - قال عليه السلام:

مَنْ ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه.

الدعوة إلى عدم الاعتماد على النسب، والحسب، والمفاخرة بالآباء والاجداد لأنّ ذلك امر ليس بعملي ولا يدوم طويلًا بل يسايره ما دام في بلد يعرفونهم أو زمان قد ادركوهم فيه، أو اناس يحترموهم واما ما عدا ذلك فلا ينفعه شيئاً بل يدل على أشياء وأشياء لاتخدمه ولا تساعده على تكوين شخصية مستقلة.

والدعوة إلى أن يتوجه الإنسان إلى أثبات وجوده والاستدلال على شخصيته وما يبرزها وما يؤطرها ضمن الاطار المحبب له من خلال العمل بمختلف مستوياته المقبولة وأشكاله المتعددة التي لا تخالف الشرع أو العرف أو العقل - طبعاً -.

فإنّ عنوانه الاجتماعي يتكوّن ويكتمل بمقدار ما يقدّمه من خدمات وانجازات، وما يتركه ليخلّده بين الناس وإن ابتعد ببدنه عنهم.

فالحكمة في الواقع ترشد إلى أن يُجْهِد الإنسان نفسه في مجال من مجالات الابداع والانجاز ولا يتكلّ على غيره أياً كان لأن ذلك إنما يلمّع صورته ويجلّيها لو كانت هناك صورة، وذات تستحق الوجود، وأمّا ما عدا ذلك فلا يستحق أن يذكر ولا أن يقرن اسمه مع الأسماء بل من الضيم أن يسجل اسمه في عداد الاشخاص الذين يحترمون انفسهم ولهم عقول ومستويات تفكير رقت بهم حيث لم يصل آباؤهم ولا أجدادهم وانما نحتوا في الصخر ليكوِّنوا شخصية بعيداً عن الامجاد الموقوتة، وأقرب مثال على ذلك أن الإنسان يحتاج في سفره إلى وثيقة سفر صادرة ومؤيدة من الجهة الخاصة فإذا ما انتهى مفعول سريانها أو أُلغي نفادها فهل ينفعه الاحتفاظ بها مؤطرة محفوظة أم لا بُدَّ من ان يبحث عما يعززها لتكون رديفاً ومعرِّفاً يستفاد منه في بعض الحالات الخاصة؟ فالواقع إنّ الانتساب شرف للمنتسِب إذا كان بحجم الانتساب وبمستوى لا يلحق العار والشنار أو الفضيحة بالمنتسَب اليه. وينبغي لنا أن نتعلم من هذه الحكمة درساً تربوياً في الاستقلال والاعتماد على الذات والمنجزات التي ترفع من مستوى الشخص لتتحرك عجلة الحياة بما ينفع الجميع بينما يختص النفع في حالة الانتساب بالمنتسِب خاصة.

ولعل ما حداه عليه السلام لأن يقول مقالته هذه ما كان يومها من رواج المفاخرة بين الاشخاص بالآباء والذي ما زلنا نعاني بعضها اليوم في بعض المجتمعات من الاشخاص الذين لم يقدموا شيئاً يذكر للبشرية بل هم عيال على غيرهم ووبال على المجتمع ولكنّهم في مقام التفاخر والانتساب لا يسبقهم غيرهم.

ومن الآثار السلبية للمفاخرة أنّها تستثير الحزازات القلبية لدى بعض الذين لم يسعفهم الحظ بقائمةٍ من الاجداد ولا سلسلةٍ من المآثر فيكون ما يكون...



◀ ١٦٠ - قال عليه السلام:

مَنْ اتّجر بغير فقهٍ فقد ارتطم[١] بالربا[٢].

الدعوة إلى أن يتعلم مزاولُ التجارةِ احكامَ دينهِ الفقهية خصوصاً الأحكام التي تتعلق بالمعاملات والقضايا التجارية ليسلم من

---

(١) رَطَمَهُ: أو حَلَه في الأمر لا يخرج منه فارتطم... وارتطم عليه الأمر: لم يقدر على الخروج منه. القاموس المحيط ج٤ ص١٢٠ مادة (رطمه).

(٢) رَبَا المالُ يربو في الرِّبا أي: يزداد. كتاب العين للفراهيدي ج٨ ص٢٨٣، والربا على قسمين: الأول: ما يكون في المعاوضة مع الزيادة وهو المسمّىٰ الربا في المعاملة. الثاني: ما يكون في القرض، وذلك بأن يقرضه مالاً بشرط الزيادة وهو المسمّىٰ الربا في القرض. ولمزيد من المعرفة تراجع المصادر الفقهية.

مشكلات الربا الذي يتورط فيه الكثير انطلاقاً من مبدأ الربح وزيادة رأس المال ... مما يترك آثاراً سلبية على المجتمع إذ تتجمع الأموال لدى فئة وتكون عدة فئات عاملة لدى تلك لا يرتفع مستواهم الاقتصادي، الاجتماعي، ... ولا تزيد رؤوس أموالهم بل لهم أجرة العمل وهذا مما يولِّد:

تضخماً في الثروة في جانب.

وهزالًا بيّناً في جانب آخر.

وفراراً من عمل المعروف لأنه لا تشدّ الانسان إلى أخيه الانسان غير الماديات فلا يصنع معروفا بعد ذلك إلّا مقابل منفعة، فلا بُدَّ من أن يعمل كلٌ حسب قابليته وامكاناته وما يستطيع أن يؤديه وينتجه ليحصل بالمقابل على الربح المناسب لمادة العمل وليس بالضرورة مزاولة العمل شخصياً بل يمكن من خلال عدة حالات المهم فيها عدم استغلال جهد الاخرين إذ من الآثار السلبية للربا أنّه يفضي إلى قسوة القلب وعدم الرقة وعدم الاهتمام بالمشاركة في حل مشكلات الغير، بل الاهتمام البالغ بتصعيد الحالة الاقتصادية التجميعية واللامبالاة بحالة الغير بما يتركه من مشكلات قد تؤدي إلى ما لاتحمد عقباه من الجريمة والسرقة والاحتيال و...و... وكان سبب ذلك كله هو الربا، ولو فُرِضَ أنّ مجتمعاً كان الربا فيه حالة سائدة فإنّه - حتما - يعاني من سوء توزيع الثروة وتدهور الحالة الاقتصادية للافراد بما يجعلهم تحت وطأه الديون والحوالات وما

إلى ذلك مما يعني عجزاً كبيراً بحيث يكون المدخول اليومي لايغطي الحاجات والمتطلبات الحياتية.

ولو حاولنا التعرف على أحوال المجتمع قبل الاسلام وما عُرِفَ فيه من الاستغلال والوصولية وعدم الرابطة الخلقية بين الأفراد إلّا بالمال والعوائد التجارية والتسلط على الضعيف وحرمانه من فرصة العمل إلّا وفق الشروط التي تُملى عليه ليبقى عُمْره كادّاً فيعطي لمكتنزي الاموال وجامعيها لينشأ جيل من العاملين البؤساء لتسديد لهو وعبث جيلٍ آخر من الخاملين التعساء المستغلين الجشعين الذين لا تعرف الرحمة إلى قلوبهم طريقاً وقد قاطعوا الرأفة والانصاف وحبّ الخير وتعميمه فعاشوا في الحياة كما لو لم يكونوا من بني آدم أصلاً.

وقد شدّد الله تعالى النهي عن ممارسة الربا فأوعد عليه بالنار وهي أقصى العقوبات واقساها لأنّها حكم طويل الأمد في جهنم خالداً فيها.

وقد نعى على جماعة أنّهم يأخذون الأرباح اضعافاً مضاعفة وأمَرَهم بتقوى الله ليفلحوا، مما يؤشّر ضمناً عدمَ تقواهم وعدمَ فلاحهم فأيُّ نصيب لهم من الخير اذن وقد أبعدهم الله تعالى بسوء أعمالهم عن الرقة والرأفة، وعن الاحساس بآلام الناس والمشاركة في تحقيق آمالهم من خلال الربح المعقول.

ويستفاد أنّ ممارس الربا وآخذ الزيادة سواء في المعاوضات او

في الديون يُبتلى بأنّه لايستطيع الانفكاك والتراجع وهذا ما يعني التورط والتوحل وعدم امكانية التراجع إذ قد يتصور البعض أنّه يرمِّم وضعه المادي ويحسِّن وضعه الاقتصادي ثم يتوب ويتراجع إلّا أنّه يتوهم القدرة على ذلك بل إذا تعوّد على ذلك فسوف يكون همّه الوحيد لأنّه كالمجنون لا يرى أمامه إلّا وهمّه الذي يقوده إلى حيث النهاية المؤلمة ولذا نجد أنّ المرابين يموتون انتحاراً، أو الديون متراكمة عليهم، أو خسارة أو. . أو. . . مما لم يكونوا اعدّوا عدّته ولم يكونوا يتوقعون تلك النهاية التي لا يحسدون عليها. وقد قال تعالى في آية (٢٧٥) من سورة البقرة ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾. وقد روي[1] عن الامام الصادق (ع) أنّه توعَّد آكل الربا بالقتل، كما وقد روي أنّ درهما واحدا منه أشد من سبعين مرة يزني فيها الرجل بمحارمِهِ وفي بيت الله[2]. وبعض هذا التحذير يكفي لمن كان مؤمناً بالله تعالى غير متمرّد على أوامره ونواهيه، وأما ذاك فلا يكفيه إلا مشاهدة النهاية المؤسفة ليشاهد مصيره وما أدّى إليه أكل الربا.

(١) لاحظ الوسائل ج١٢ باب ٢ من أبواب الربا، ح١ ص ٤٢٨.
(٢) لاحظ الوسائل ج١٢ باب ١ من أبواب الربا، من ص ٤٢٢ إلى ص ٤٢٨.

ومن خلال هذه المعلومات اتضح أنّ الربا حرام يجب تجنبه والحذر من التورط فيه وذلك كما بيّنه عليه السلام بأن يتعلم الأحكام الفقهية لئلا يتوحل في الربا فلا يستطيع الخروج منه كما هو حال التجار الذين يمارسون التجارة من دون ما معرفة لأحكامها الشرعية ومن دون مراجعةٍ للخبير في ذلك.

فالدعوة إلى أن لا ينسى المسلم دينه فينساق وراء المغريات المادية والارباح التجارية وكل ما يلهيه عن دينه من تدفق الاموال وارتفاع الرصيد المالي في البنك واقتناء المزيد وتوسع مدار العمل التجاري، بل على المسلم الانتباه جيّداً لئلا يدخل في معاملة ربوية من حيث يعلم أو لا يعلم. والمشكلة أنّ التبعات تترتب مهما كانت الأسباب والدوافع ولا مخلص إلّا التعلم المسبق وإلّا لما أمكنه الخروج ولذا عبّر عليه السلام (فقد ارتطم بالربا) ليشعرنا بأنّ الربا إذا اصطدم به الإنسان كان من الصعب عليه التخلص منه وذلك إما للاغراء المادي أو لعدم معرفة الاشخاص المتعلق بهم الحق أو.. أو... إذ أن كثيراً من المشكلات التجارية يصعب جداً التخلص من تبعاتها ومتعلقاتها.

فالحلّ الأمثل هو التفقه ولو بمقدار ما يحتاج اليه المكلف بحسب وضعه التجاري.



◀ ١٦١ - قال عليه السلام :

مَنْ أحَدَّ سنان[1] الغضب لله قويَ على قتل أشدّاء[2] الباطل.

الدعوة إلى أن ينتصر الإنسان المسلم لله تعالى ولدينه ولا يخشى شيئاً ولا يخاف احداً فإنّه إنْ قويت عزيمته وصدقت نيته في ذلك أمكنه الوصول إلى ما يصعب على غيره الوصول اليه لانَّ المهم أن يحدَّ سيفه غضباً لله تعالى لا لنفسه أو لأحد بحيث لا تكون بينه وبين المقابل أية عداوة أو حزازة أو ثار، وإذا لم يكن شيء من ذلك فلا يتوجّه نحوه بذلك الدافع بل بدافع أقوى وعزيمة أصلب وهو ان يثأر لدين الله تعالى وينتصر له عزوجل.

وعليه، فإنّه يتغلب حتى على الأقوياء الأبطال لأنّه مزوّد بطاقةٍ خارقةٍ خاصةٍ يتزود بها مَنْ كان فدائياً لدين الله سبحانه. ومعلوم أنّ الإنسان يواجه في حياته اليومية الكثير من حالات التمرد والعصيان وإعلان المعارضة القوية لأحكام الله تعالى وشرعه مما يثير حفيظة المؤمن فيكون بين أمرين إمّا أنْ يتكلم بكلمة الحق لحساب الحق وبدافع إيماني، وإمّا أنْ يسكت فيكون خاذلًا عاصياً خانعاً ضعيفاً،

(١) السِنان: نصل (أي حديدة) الرمح. لاحظ المنجد ص ٣٥٣ مادة (سنّ).
(٢) جمع الشديد: القوي. لاحظ المنجد ص ٣٧٨ مادة (شدّ).

فاذا ما عرف المؤمن أنّه موعود بالنصر والغلبة ما دام قصده وهدفه نبيل ولم تتدخل الحسابات الشخصية في الاثناء فأنّه يندفع نحو الهدف بكل حماس وثبات ومعنوية عالية ليُنجز واجبه الشرعي فإمّا أن ينصحه أو يواجهه مواجهة اخرى وقد حدّدت - المواجهة - بشروط معينة لايستطيع أحد تجاوزها وإلّا لأصبح عاصيا - هو - ايضاً وتفاقمت المشكلة.

فإنّ الحاجة تكاد تكون معدومة إلى المندفعين من دون ما تعقّل بينما إنّا نحتاج المتوازنين الذين يتحسّبون للعواقب ويدرسون ويخطّطون ليضمنوا النجاح المثمر.

فليس من المقبول - دائماً - المواجهة المسلّحة أو اللاأخلاقية بل على الإنسان أن يبدأ أولًا فأولًا فاذا ما استعصت الامور فيلجأ إلى الحلّ الثاني وهكذا يتسلسل لئلا يعطي انطباعاً غير صحيح عن الدين وأهله بما يجعل البعض ينظر وكأن أهل الدين متعصبون مستميتون يحملون روحا عدوانية ضد الغير وغير مستعدين للمفاهمة بل لغة الخطاب بينهم ومنهم المقاتلة... أنّ هذا لايخدم الدين فعلى المؤمن أن يدرس الحالة جيداً ثم يُقْدِم ليرى كيف نصر الله تعالى له وتأييده لدينه إذا ما كان الانتصار والحمية له سبحانه.



◀ ١٦٢ - قال عَلَيْهِ السَّلَامُ :

مَن استبدَّ[١] برأيه هلك، ومَنْ شاور[٢] الرجال شاركها في عقولها.

أنْ يطلب الانسانُ النصيحةَ من أحدٍ، ويحاول أن يتعرف الآراء في أمرٍ لا يُعَدُّ نقصاً في عقله أو ضعفاً في رأيه، ولايؤشّر أي مؤشّر سلبي ضده، بل على العكس يدلّ على فطنته وتكامله من خلال تعرّفه على آراء غيره فلا ينفرد باتخاذ القرار ما لم يطّلع على بقية الآراء والمقترحات من أجل الالمام بجوانب الموضوع إلماماً تاماً بحيث لايترك كلّ ما ينفعه إلّا إطّلع عليه ولو رأي الإنسان الإعتيادي البسيط بحسب مقاييس الناس وتصنيفات مراتب المجتمع إذ قد يكون لديه من التجربة والخبرة ما يثري الموضوع بحيث تكون النتيجة محمودة وجيدة وهذا ما يبتغيه كل أحد -غالباً- .

بينما إذا انفرد بالأمر مستقلّا فانه يدل على ضيق الأفق وعدم النضج ونقصان العقل لأنّه لم يقف حيث ما يجب عليه الوقوف والانصات لصوت العقل الذي يخرج من افواه المحنّكين ذوي التجربة والخبرة.

وقد يتصور البعض أنّ إطلاعَه غيره على شئونِهِ الخاصة يُعَدُّ منقصةً، أو إنّ إدلاء الغير برأيه يُعَدُّ تدخلّا وفضولّا ولذا قد يقابله

---

(١) انفرد به مستقلاً. المنجد ص ٢٨ مادة (بّد).

(٢) شاورَه في الامر: طلب منه المشورة (النصيحة). المنجد ص ٤٠٧ مادة (شار).

بالجفاف والجفاء ولعله بذلك يقطع سبيل المعروف فلا يتشجع احدٌ على معاونة غيره برأي أو نصيحة وهذا أمر موجود منتشر ولذا كان محط نظر الامام عليه السلام ومحل اهتمامه في هذه الحكمة حيث نبّه إلى ضرورة أن يقف الإنسان ليتفهم رأي الرجال العقلاء المجربين لأنّه بذلك يضيف لنفسه معلومات جديدة ما كان ليتعرف عليها لولا المشاورة وطلب إبداء الرأي وتوجيه النصيحة، وأمّا إذا استقل ولم يستخبر الامر من صدور الرجال فإنّه يتورّط فيما لايحمد عقباه وتكون النتيجة سلبية ليست لصالحه ويؤشر عليه علامة لا يقبلها لنفسه اكيداً.

وهذا أمر يعمّ الشاب والكهل والشيخ - أحياناً - والمرأة والعالم والجاهل والمِهَنِيّ والاستاذ و.. و... من شرائح المجتمع لأنّ لكل واحد من هؤلاء وغيرهم حاجاته المتنوعة التي ليس من الممكن احاطته التامة بجوانبها كافة بما يوضح له الصورة جيداً لكي يمكنه الحكم الأكيد ما لم يَسْتَشِرْ أحداً.



◄ ١٦٣ - قال عليه السلام :

مَن استقبل وجوه الآراء عَرَفَ مواقع الخطأ.

عندما نعيش أجواء هذه الحكمة لا نبتعد كثيراً عن الاجواء التي عشناها في الحكمة السابقة إذ انهما يشتركان في قاسم مشترك وهو لزوم تعرّف الآراء وتتبعها قبل البت في أمرٍ مهم لأنّ الاحاطه بالآراء

تجعل الإنسان قادراً على التمييز بين الصحيح وغيره وبين الصحيح والأصح وهكذا بحيث يفرق بين درجات الاصابة والخطأ وهذا ما كان ليتم لولا سماع أو استطلاع الآراء وحبذا لو كانت من جميع الأطراف الموالية وغيرها لتكون الإحاطة أتم ومن المؤكد أنّ حصيلة ذلك يعود على الإنسان المستطلع للآراء بالفائدة والمصلحة لأنه يخطو خطوته المقبلة في ضوء هذه الحزمة الضوئية التي استجلاها من آراء المجرّبين الحكماء العقلاء.

إذ ليس المقياس في صحة الرأي والحكمة هو التقدم في السن بقدر ما هو في التجربة وقِدَم الخوض في معترك الحياة ليتقدّم وهو منفتح الآفاق نحو التكامل ونيل الأحسن ولا يتحجر عند حدود الموروث والتقليدي بل يبقى عندهما ما داما ينبعان من منبع الفضيلة والتكامل كالقرآن والسنة والآداب الشرعية وما إلى ذلك مما يصب في مصب الفضيلة والتكامل.

فالدعوة إلى عدم المسارعة باتخاذ الموقف والقرار قبل استطلاع الآراء وتقليب النظر بينها ليمكن استنتاج الشيء الأصلح الذي يقوّم الإنسان ويحسّن من وضعه، ومن المؤكد أنّه بهذا هو الغانم فلا يبتئس ويعدها تقليلاً من مستوى طرحه وتحليله للامور بل على العكس لا يتوفر الإنسان على مستوى الطرح الجيد، مالم يلمّ بآراء غيره لتتفاعل ضمن المصلحة والفائدة.



◄ ١٦٤ - قال عليه السلام :

مَنْ اسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه بما لا يعلمون.

قد تقتضي المناسبة أن يشارك الانسانُ في الحديث عن شيء معين وخصوصاً إذا كان يتعلق بإنسان مثله، وتكون مشاركته تلك مادةً للحديث عنه والانتقاص من قدره والتحدث عنه في المجالس حتى بما ليس فيه مما يمس وضعه الاجتماعي وتحركه في مواقع الحياة، فالأفضل ان يضبط الإنسان لسانه عواطفه، تحمساته، . . . كي يتجنّب النتيجة السلبية إذ الإنسان وحده هو الذي يقرر مسيرة الشائعات في حقه فقد تكون مادة خدمة وإعلان مجانية وقد تكون مادة تشهير واساءة بما يجعل الإنسان مفتوح العينين والقلب ليحسم الامر إمّا له أو عليه.

ولكن الامام عليه السلام يؤكد بأنّ الإنسان إذا تحدّث سواء بالقول أو بالكتابة أو بالقيام بفعل معين عن الغير بالشيء الذي لا يريد شياعه وانتشاره وما فيه تحريش أو امتهان ضد الآخرين فإنّه يعطي المبرر الكافي لأن يطلق الغير لسانه بما فكّر فيه وما لم يكن قد فكّر فيه تشفياً وانتصاراً للنفس والكرامة.

فالدعوة إلى أن لايتحدث الإنسان عن غيره إلا بمثل ما يحب - هو - أن يتحدثوا عنه، وإلّا لأصبحت سوق الكلام والمهاترات الكلامية رائجة يعرض كلٌ بضاعته ويبرز عضلاته ويكشف عن المزيد من قدراته ليردّ بذلك ما صدر بحقه ولا تنحسم القضية لصالح

أحد بشكل ايجابي مقبول فالعقل يدعو لإن يعطى دوراً كبيراً ليقود المسيرة نحو السلم والحذّ من المهاترات المضرة بالسمعة والمكانة الاجتماعية.

والأهم من هذا وذاك قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾[1] ولا أحسب عاقلًا يرضى لنفسه الوقوف للمساءلة يوم القيامة لأجل شيء كان من الممكن التغاضي عنه وتحاشي الوقوع فيه كي تمر الأزمة - ان كانت واقعاً - وإلا فاغلب المواقف المتشنجة من تأليف وحَبْكَ ابليس اعاذنا الله تعالى جميعاً من شره بما يلزم الإنسان ان يكون متأنياً قبل البدء بالحكم على أحد لئلا ينساق وراء ايماءات إبليس وتسويلاته الوهمية فيخسر الإنسان مواقفَ واشخاصا.



◄ ١٦٥ - قال عليه السلام:

منْ أشرف أعمال الكريم غفلته عما يعلم.

الدعوة إلى أن يتغاضى ويتغافل الإنسان عن الإساءة، وعن أذى الغير، وأحقادهم، ومشاحناتهم، وعيوبهم، ومساويهم ليمكنه التواصل معهم بما قد يجدي نفعاً وأن لم يكن فإنّه يكتسب لنفسه

(١) سورة (ق) آية (١٨).



الحسنات بالاغضاء والتحمل، وهو أمر ليس بالسهل ولذا اعطاه الإمام عليه السلام درجة الاشرفية ليرغب فيه الإنسان ويحاوله ولو لمرة ثم ليتعوّده تدريجياً وفيه من الفوائد الاجتماعية والشخصية أيضاً الشيء الكثير لأنّه إذا التزم كل واحد بأن يتغافل عما يعلمه من إساءة ومساوئ فلا تتأجج نار الاحقاد والثار والعداوات المستدامة المتوارثة ولخمدت نيران كل تلك الفتن البغيضة ليحلّ محلها الوئام والصفاء والتحابّ والتواد لتعمر الارض ولتنشأ الاجيال الصاعدة على حالة التصافي والتغاضي عن الإساءة والمساوي ليتعلموا بذلك دروساً تربوية بشكل منهجي يومي من خلال الاحتكاك بين الافراد وبشكل عملي لا مجرد طرح نظريات ورفع شعارات جوفاء ولذا لانجد في كثير من الحالات ردوداً مناسبة لها والسبب أنّها جوفاء لم يقتنع بها رافعوها ومنشئوها.

وأحسب أنّنا جميعاً نود أن نوصف بوصف (الكريم) لما تحمله من معانٍ نتشوف اليها ونتشوق لأنّها تختصر تعاريف عديدة لشخصية الفرد مما يعتز بها.

فلا بُدَّ من أجل الحصول على ذلك الوصف أن نتعوّد الغفلة عما نعلمه من مساوئ الغير وعيوبه وعن إساءته لنا وعلينا لنعيش من دون مشكلات وحزازات مزعجة.



◀ ١٦٦ - قال عليه السلام :

مَنْ أصلح سريرته[١] أصلح الله علانيته، ومَنْ عمل لدينه كفاه الله أمر دنياه، ومَنْ أحسن فيما بينه وبين الله كفاه (أحسن)[٢] الله ما بينه وبين الناس.

أنّ الإنسان - غالباً - يهتم في دنياه بأن يكون مظهره وما يواجه به الناس حسناً فلا يريد أن يُكَوِّنَ عنه انطباع: بأنّه سلبي في تعامله، وافكاره. . .

ويهتمّ أيضاً بأن يكون مكفي المعيشة وسائر القضايا الحياتية.

ويهتمّ بأن يكون بعيداً عن المشاكل والمتاعب التي تحدث من أثر الاحتكاك مع الناس بما يجعله مهموماً، مشغول الفكر لذلك.

هذا كله بحسب الحالة العامة الطبيعية ولايهمنا النادر الشاذ ممن لا يهتم بأيٍّ من هذه الثلاث.

وقد عالج الامام عليه السلام هذه الثلاثة بما يؤمّن للانسان الاعتيادي التوفر عليها وعدم الخوف من انعكاساتها، وذلك:

١ - بأن يكون سرّه، وما ينطوي عليه، وما يضمره في نفسه صالحاً وايجابياً سواء مع ربّه أو مع الآخرين، وهذا الإصلاح للسر وحُسن الطوية يضمنان - إلى حد كبير - المظهر الجيّد والعلانية

---

(١) ما يكتم - القاموس ج٢ ص٤٦ مادة السر، وأيضاً بمعنى النية، لاحظ المنجد ص٣٢٨ مادة سر.

(٢) قد روته بعض المصادر هكذا (أحسن الله ما بينه وبين الناس)

المحمودة والسمعة الطيّبة والثناء من الناس و. . و. . . مما يسعى له الإنسان، والسرّ في ذلك أنه متى كان سلوكه الداخلي إيجابياً فإنّه يتصرف ظاهرياً كذلك لأنّه تعوّد على التصرف الحسن ومن الطبيعي أن يكون مأجوراً من الله تعالى، محموداً عند الناس.

٢ - بأن يعمل للدين ويحافظ على التزاماته الشرعية ولا يفرّط بعقيدته وشعائره الدينية المقدسة ليتأمّن له الجانب الدنيوي من المعيشة والصحة والامان و. . و. . . مما يحتاج اليه وهو ضروري بالنسبة اليه، لأنّ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾[1].

٣ - أن يكون متقياً لغضب الله، خائفاً من اللّه، مراقباً للّه، يتعامل ويتحرك في جميع مرافق الحياة الخاصة والعامة على قناعة تامة بأنّ الله معه يحصي عليه تصرفاته ويحاسبه عليها إن خيراً فثواب وإن شراً فعقاب، ليرتاح من مطبات الشيطان وما يزينه للإنسان من اغواءات ومزالق وعثرات غير مكشوفة.

لانّه بذلك يكون قد وصل إلى ساحل الأمان فتخلّص من الفتن والانحرافات سواء في التعامل السوقي أو البيتي، العائلي او العاطفي أو الفكري أو. . . وعليه فيجازيه الله سبحانه بان يكفيه مؤنة وصعوبة حاجاته إلى الناس فيذلل له كل العقبات وتكون حوائجه ميسّرة فلا يهتم

(١) سورة الطلاق آية (٢-٣).

لشيء لدى الناس لأنه أطاع رب الناس فسيطر عليهم من خلال ذلك.

وقد وردت هذه الفقرة في بعض المصادر (ومن أحسن فيما بينه وبين الله أحسن الله ما بينه وبين الناس) وعليه فهي ضمان بأن تكون علاقات الإنسان الاجتماعية إيجابية وحسنة ومرضية وجيدة بشرط أن تكون علاقة العبد مع ربّه تعالى حسنة وذلك كما تقدّم بيانه من حيث المواظبة على امتثال الأوامر، والكف عن النواهي. وكلّ هذه الثلاث أمرها بسيط وسهل على كل فرد ليحصل بالمقابل على ما يسعى اليه.

فالدعوة إلى الخوف من الله تعالى في السر والعلن، والالتزام التام بالواجبات الشرعية، وبما يرضاه تعالى لتتم له الضمانات الثلاث فلا يخاف بعدها شيئاً.

◄ ١٦٧ - قال عليه السلام:

مَنْ أطاع التواني[١] ضيّع الحقوق، ومَنْ أطاع الواشي[٢] ضيّع الصديق.

الدعوة إلى أمرين:

الأول: أن لايتعود الإنسان التسويف والتماهل بل يهتمّ بما يناط

(١) توانى في الامر توانياً: لم يُبادر إلى ضبطه ولم يهتمّ به، فهو متوانٍ أي غير مهتم ولا محتفل. المصباح المنير ج٢ ص ٩٢٨ مادة (ونى).

(٢) النمّام. المنجد ص ٩٠٣ مادة (وشى).

به ويكلّف بتنفيذه؛ لأنّ البطء في التنفيذ وعدم الإسراع يؤشّر سلباً على عدم الاهتمام وعلى اللامبالاة فيكدّر الصفاء ويبذر بذرة الشقاق بين الأخوان والأصدقاء والمعارف بما يُفْقِد الإنسان أشياء عزيزة عليه فلا تُرعى حقوقه كما أنّه لم يراعِ حقوق غيره، ويستهان بأمره كما قد استهان بأمر غيره و.. و... فيعامَل بالمثل فتضيع الحقوق خصوصاً وإنّ عدم المبادرة لمن يستحقها لمعروف سابق نحوه بما يرتب حقاً ولو اجتماعياً - ان عدم المبادرة - يعني التجاهل الذي لا يرضاه أحد لنفسه من الآخرين.

فالدعوة إلى أن لا يتوانى الإنسان في حق غيره لئلا يفقده فيخسره، ومن المعلوم أنّ التواني من الطبائع المتأصلة عند البعض ولذا كان الاهتمام بان يبتعد عنه الإنسان ولا يتعوده.

الثاني: ان يتأنى الإنسان قبل إصدار الحكم على أحد بمجرد سَماع خبر معين سلباً أو ايجاباً وهذا كقاعدة عامة أمر صحيح يقرّه العقل ويجري عليه العقلاء إلّا أنّه في الجانب السلبي تكون الحاجة أدْعى لالتزامه والعمل على طبقه إذ قد يقوم بعض الافراد بدور المخرِّب بين الأشخاص فينقل الاخبار الكاذبة أو المضخَّمة والمبالَغ فيها ليتأذى بعضهم من بعض ولتدبَّ القطيعة والهجران بينهم بما يفقدهم التكاتف والتآزر والتحابّ والتصافي والتآخي و.. و... مما كان في سابق العهد وهذا على المستويات كافة يعود بالخسارة على كل الاطراف فلذا من المهم جداً أن يحسب الإنسان خطواته في

هذا الطريق الذي تكثر عثراته ويكثر الراصدون فيه لمن يريدون الوقيعة يبتغون الفتنة.

ولو لم نلتزم بهذا لخسرنا الكثير الكثير من الاهل والاحباب والأصدقاء والمعارف والزملاء... وكفى بهذا مذمة ومنقصة يحس بها الواحد منا في نفسه فينتقد سرعة تصرفه وعدم تثبته.

فالدعوة إلى التزام الحذر في حالتين: الاولى عدم تضييع الاخوان والمعارف من خلال التماهل في أداء حقوقهم والاخرى عدم التسرعُ وترتيب الآثار بمجرد الكلام المنقول بل لا بُدَّ من التريث والحزم ومتابعة العقل لا العاطفة ليتجلى الامر بما يجعل الحكم واضحاً ومنطقيا. لأنّ هاتين الحالتين من الحالات التي يترصدها الشيطان للإنسان ليوقع بينه وبين بقية الاطراف العداوة.



◀ ١٦٨ - قال عليه السلام:

مَنْ اطال الامل أساءَ العمل.

بيان لحقيقة مؤكدة وملموسة من قِبَل الكثير فمن يطول أمله بالدنيا ومغرياتها وما تَعِد به الإنسان، فإنّه سوف ينصرف عن العمل الابقى والعمل الأنفع ويتوجه بكُلّه إلى حيث المغريات الجذابة فيترك العمل أو يكون بمستوى متدنٍ بما يؤكّد حقيقة الابتعاد عن الآخرة والإقبال على الدنيا.



وقد سبق القول بأنّ الدنيا غير مرفوضة تماماً وأيضاً غير مقبولة تماما بل بالمقدار النسبي الذي يتساير مع الخط المستقيم الذي حدَّده الشرع وأقرته الشرائع السماوية.

إذن فليس معنى الحكمة أن يزهد الإنسان في الدنيا ويترك شئون الحياة بالشكل المشروع، بل الحكمة تؤكد على شيء له أهميته البالغة والتي يتناساها البعض ويتغافل عنها فلا ينظِّم حياته ولا يبرمج وضعه الحياتي بل يتوجه لجانب على حساب آخر فإنّ التوازن هو المطلوب ومن ثمار ذلك أن لا يطول أمل الإنسان ولايدوم تعلّقه بها ولا يتعمق في داخله حبّها لئلا يؤثر سلباً في عمله الذي يقربه إلى الله تعالى ويجعله طلق اللسان والمحيا عند المساءلة العسيرة التي من المؤكد حدوثها يوم القيامة.

فالدعوة إلى أن يجدَّ الإنسان ويجتهد ولا يترك العمل لحساب الدنيا بل يكون عيشه في الدنيا كرحلة مؤقتة ثم ينتقل إلى ما بعد ها من مقاطع أخرى، فالدنيا وبعدها القبر وبعده الحساب وبعده المقر النهائي الذي يمكن للإنسان معرفته ولو نسبياً من خلال العمل وقابليته في ذلك.



◀ ١٦٩ - قال عليه السلام:

مَنْ أيقن بالخَلَف جادَ بالعطية.

إنّ من المعلوم المؤكد أنّ النفس الانسانية لا تسمح بالعطاء الا إذا

مالت لذلك واقتنعت به أو إذا عاد عليها بعائدة ومنفعة وما عدا ذلك فيكون الالتواء والتملص خشية الدفع ولكن هناك استثناء لهذا الشيء العام وهو أنَّ الذي يعلم اكيداً أنّ ما ينفقه ويعطيه سيعود عليه أضعافاً سواء أكان بصورة المال أم غير المال مما يكسب الإنسان مادياً أو معنوياً، وقد يكون أحياناً كثيرة في أمَسّ الحاجة إلى الحفظ أوالوقاية من الآفات والامراض أو الحماية من الاعداء أو تيسير الحوائج أو . . أو . . . مما يحتاج اليه الإنسان ولايستغني عنه بينما المال يمكن الاستغناء عنه إذا قضيت الحوائج وتمت اللوازم فلا يجد الإنسان العاقل بعد ذلك أية حاجة إلى المال لأنّه وسيلة لا غاية فإذا حصلت الغاية فيكون المال شأنه شأن غيره مما لا يبالي بوجوده الانسانُ لعدم احتياجه اليه.

ومن الحالات التي نحتاج فيها إلى استذكار هذه الحكمة:

حالات تدخل في إطار ديني،

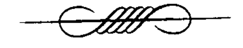
واخرى تدخل في إطار اجتماعي،

فالتي تكون دينية فلِكَي يقتنع الإنسان بضرورة تطبيق الأوامر الشرعية في الجانب المالي من الخمس والزكاة والكفارات المترتبة والنذر والوقف، فإنّه إذا سيطرت عليه أفكار الحرص والشحّ فلا يمكنه تنفيذ الحكم الواجب التنفيذ بينما إذا عرف أنّه سيخلَف عليه فإنّه يتشجع اكثر للعطاء أي لضمانه المكسب المقابل.

والتي تكون اجتماعية فكالصدقات المستحبة والمعونات والمساهمات في المشاريع الخيرية وسائر ما ينفع الإنسان ويبقى أجره في الآخرة فإذا لم يدرك هذه الحكمة فلايمكنه الدخول في هذا المضمار وعندها سيكون المردود السلبي على المجتمع لاحتوائه العناصر الغنية والفقيرة كافة بما يجعل الحالة غير متوازنة: بعضٌ يعاني وطأة الفقر والحاجة، وبعضٌ تتوفر لديه المقومات الكافية لانقاذ اولئك والمساهمة في رفدهم وحل مشكلاتهم وعندها لا تكون الكفة متوازنة.

فالدعوة إلى الإنفاق سواء أكان المطلوب شرعاً ام المرغوب فيه لعوائد على المنفق والمنفَق عليه، وأنْ لايُحْجِم الإنسان عن ذلك لاعتبارات وقضايا لاتعود بالفائدة لا عليه ولا على المجتمع.

وفي الحقيقة تُشَكِّل الحكمة في واقعها قانوناً ثابتاً تفسّر به حالات الاقدام على الدفع والعطاء وكذلك الحالات المعاكسة إذ لو تيقن لدَفَعَ، لكنه لم يؤمن بأصل الفكرة فكان يتصور أنّ المنتفع بعطائه هو الفقير فقط فإذا كانت لاتربطه مودة مع الفقير حَاوَلَ محاصرته وحجب الفائدة عنه، إلّا أنّ الانتفاع في الواقع يعم كلا الطرفين وفوق هذا وذاك ففيه رضا الله تعالى وهو الذي ينبغي أن يسعى للحصول عليه العبدُ المطيعُ حقاً الذي لا يكتفي برفع الشعارات دون التطبيق.



◀ ١٧٠ - قال عليه السلام :

مَنْ تذكرَ بُعْدَ السفر اِستعدَّ.

إنّ الموتَ ومفارقة هذه الحياة الدنيا حقيقةٌ أكيدة وإن صعب على الكثير قبولها والمعايشة معها على أساس ذلك، فقد يلجأ بعضهم إلى الانكار أو الخوف وعدم الخوض في كل ما يتعلق بالموت أو. . أو. . . مما ينسيه ذكر الموت مع أنّه لا يخدم الإنسان بل يهيأ له الفرصة للتناسي والتماهل والتكاسل والابتعاد عن خط الله تعالى فينساق وراء اهوائه وملذاته وما توحيه له أفكاره المتشعبة بالمزيد من عدم الانضباط والانفلات فينتج الإقدام على المعاصي، وعدم التقوى، وعدم الورع عن المحارم وانهيار كل الحواجز عن الحرام بكافة صوره واشكاله.

ولئلا يبقى الإنسان طويلًا في ذلك السبات[1] كانت هذه الحكمة وبالشكل الذي لايرعب ولا يخوّف بل قد استعمل عليه السلام الكناية والاشارة لمقصوده من خلال التشبيه بحالة معاشة لكل أحد وهي السفر الذي يتنوع بطبيعته إلى قريب وبعيد، والإنسان بحسب طبيعته يستعد للسفر البعيد استعداداً جيّداً ليضمن توفير احتياجاته وعدم قصور شيء عن مطلوبه في السفر.

ومن المشابه لذلك (الموت) فإنّ الإنسان يرتحل إلى عَالَمٍ آخر

(١) النوم أو أوّله. المنجد ص٣١٧ مادة (سبت).



وينتقل إلى حياة اخرى فيها الكثير من المميزات عن هذه الحياة الدنيا وبطبيعة الحال يحتاج ذلك الارتحال والانتقال إلى الاستعداد، وتهيئة لوازم، وتحضير مسبق، وكل ذلك ينحصر في العمل الصالح الذي يتجلّى من خلال عبادة الله تعالى والالتزام بأوامره والابتعاد عن نواهيه، ولا اعني بالأوامر الصلاة والصوم والحج... بل إنّ هذه من أوضحها وألصقها بالحياة الفردية اليومية أو السنوية ولكن ما يشمل الصدق، الوفاء، الالتزام والانضباط، الأمانة، المروة، الاخلاص في العمل، التعايش السلمي من دون ما حقد وضغينة، بر الوالدين، صلة الرحم...، وأيضاً لا أعني بالنواهي الكذب وشرب الخمر والزنا والسرقة... بل إنّ هذه مما ورد التأكيد على الابتعاد عنها صريحاً واكيداً في الكتاب والسنة ولكن ما يشمل خلف الوعد، الخيانة بكل مستوياتها، الشذوذ الجنسي بمختلف اشكاله، الالتواء في المعاملات التجارية والمصرفية مهما تعددت صورها، عقوق الوالدين، قطيعة الرحم، إيذاء الناس، الإضرار بالاخرين ولو كانوا من الحيوانات أحيانا، الحقد، العداوة المتأصلة، النميمة، الغيبة، الوشاية، الاعتداء على أعراض الناس. فإذا كان الإنسان بمستوى التزام الاوامر والابتعاد عن النواهي كان مستعداً للسفر ومتذكراً له باستمرار لأنّ كلّا من الالتزام والابتعاد يكفي للحيلولة دون المعصية والوقوع في المحذور.



◀ ١٧١ - قال عليه السلام :

مَنْ ترك قول « لا أدري » أصيبت مقاتله[١].

تنبيه على لزوم الحذر، وأخذ الاحتياط الكافي عند الإجابة عن الأسئلة، وعدم الانسياق وراء العاطفة أو الاثارة أو الوعود أو التخويف، بل لا بُدَّ من التثبت والتأمل قبل الجواب، إذ لو لم يتأمل قبل الجواب فمن الممكن جداً أن يعثر ويخطىء فيتورط هو أو يورِّط غيره في متاهات ومشكلات.

فالدعوة إلى أن لا يجيب الإنسان على كل ما يطرح عليه من الأسئلة بل يتعود الإجابة على بعض الأسئلة بالنفي وعدم المعرفة والاطلاع، لأن ذلك كفيل بنجاته وتخليصه من العداوات والخصومات والنهايات المؤسفة، كما أنّه كفيل بإبعاده عن الارتجال والتسرع في الاجوبة بما يكشف عن عدم نضجه الفكري، أو عدم احاطته الثقافية.

وَمَنْ يتسرّع ويتعود الأجابة، والافصاح، والكشف على كل ما يعرف فحتماً سيصل في يوم من الايام إلى حالة من الندم والاسف

(١) المَقَاتِل جمع المَقْتَل: العضو الذي إذا أُصيب لايكاد صاحبه يَسْلَمْ كقطع الرقبه أو الضرب على منطقه القلب أو الرأس أو قطع بعض الأورده والشرايين ونحو ذلك. لاحظ المصباح المنير ج٢ ص٦٧٢. والمنجد ص٦٠٩ مادة (قتل).

على مبادرته إلى الجواب لأن (رُبَّ كلمة سلبت نعمة) [الحكمة ١١٦] وأوصلت متكلمها إلى مصير مجهول أو حال يؤسف عليه كالفقر أو الذل أو الابتعاد عن حالةِ خيرِ كان فيها...

وهذه الحكمة أحوج ما نكون لها نحن المسلمون إذ يحيط بنا المتربصون بنا ويبغون لنا الشر فكثيراً ما يُسْتَدْرَج الواحد منا إلى حيث يريد عدوه من خلال كلامه فيحقق بذلك أمنية الأعداء والاشرار، ويفتَّ عضد الأولياء والمخلصين.

ويمكننا استشفاف عدة محاور تدور حولها هذه الكلمة فنستفيد منها دروساً تربوية تنفعنا في حياتنا العامة و الخاصة.

فمنها: ان الإنسان الذي لا يسيطر على لسانه فقد ينطق بكلمة تحسب بحساب الكفر والتجاوز على الذوات المقدسة فتترتب عليه بعض الاثار الشرعية كالحكم بارتداده.

ومنها: إنّ الإنسان إذا لم يضبط لسانه بضابطة تحصي عليه ما ينطق به فسيتحمل أوزاراً وأحقاداً وتبعاتٍ أخر.

ومنها: أنّ الإنسان إذا حلف كاذباً أو وعد كاذباً فسيتعرض للمساءلة والمحاسبة مع العقوبة المناسبة.

ومنها: إنّ الإنسان إذا تكلم عن الناس بما يكرهون وبطريقة جافة فسيتحمل العداوة إن كان حقاً، وان كان باطلاً فالعداوة والعقوبة فيدخل تحت عنوان الغيبة والبهتان اللذين توعد الله تعالى عليهما بالنار لأنّهما من الذنوب: قسم الكبائر.

ومنها: إنّ الإنسان إذا أبدى ما يعرفه عن أحد فمن المحتمل قوياً تعرض ذاك الشخص لضرر في السمعة والشخصية الاجتماعية، أو في البدن أو... فيكون بذلك متسبباً في تحطيم مستقبل أخيه الانسان، أو لحوق الاذى به بمختلف حالاته.

وعلى كل حال فالدعوة تتابع حال الإنسان من حيث المنطق فتشير إلى ضرورة الموازنة بين النطق والسكوت لئلا تكون الخسارة على بعض الاطراف ومن ثم الندم وقد تتطور الامور إلى العقوبة الآخروية أو العداوة الدنيوية.



◀ ١٧٢ - قال عليه السلام:

مَنْ جرى في عنان[١] أمله عثر بأجله.

الدعوة إلى أن لا يتمادى الإنسان كثيراً في مشاريع المستقبل وطموحات الأيام لانه سيصطدم بالموت والرحيل وتوديع هذه القضايا بمجموعها العام المشروع وغيره، والمناسب لوضعه وغير المناسب، بل عليه أن يتعقل الامور وينظر لها بمنظارها المناسب والصحيح لتسلم له النتائج فتكون مما يهيء له فرصةَ تقدُّمٍ مناسبة مع مقياس حياته في المجالات كافة.

(١) العِنان: سير اللجام الذي تُمسَكُ به الدابّة. القاموس المحيط ج٤ ص٢٤٩.

فإنّ مشكلة الكثير أنّه إذا تمكن من المنصب والجاه أو الاموال أو كثرة الأولاد والاتباع أو النفوذ والسيطرة في بعض مناحي الحياة، فيتحول إلى إنسان غير اعتيادي في افكاره وتطلعاته المستقبلية بما يوضح الصورة في أنه مغرور بما أتاه، مخدوع بما لديه، قد غفل عن امكانية تحوُّلِهِ إلى حالة اخرى، وقد نسي أنّه بحكم الضيف في هذه الحياة مهما بقي، ولم يلتفت إلى أنّه موجود فيها بإرادة الله سبحانه فعليه أن يسعى جاهداً لنيل رضاه والعمل بطاعته من دون ما مخالفة أو تغافل عن الاساسيات والتي منها أنّه سيحاسب يوم القيامة عن أعماله ويجازى حسب ما يستحق من دون ظلم أو حيف.

فالحكمة تحمل معنى كنائياً تعبيرياً عن ذمّ حالة الاغترار بالدنيا وما تُوهِمُ به الإنسان لينساق وراءها ثم تتركه يسعى لاهثاً متلهفاً لا يدري أين يتجه؟ وماذا ينفعه؟ وبماذا يتمسك لينجو مما هو فيه؟

فاللازم أكيداً أنْ لا ينسى الإنسان حقيقة (الأجل)الموعود بحلوله للرحيل فعليه أن يتهيأ ويستعد كمَنْ يريد السفر إلى مكان آخر فيستعد لذلك جيداً ويلاحظ من وقت لآخر ساعةَ الانطلاق والمغادرة لئلا تفوته فرصة التزود وأخذ اللازم الضروري والإنسان احق بهذا الاستعداد والتزوّد ليلقى ربه سبحانه وهو صالح العمل، طاهر الثوب، نقي السريرة.



◀ ١٧٣ - قال عَلَيْهِ السَّلَامُ :

مَنْ حاسب نفسه ربح، ومَنْ غفل عنها خسر، ومَنْ خاف اَمِنْ، ومَن اعتبر ابصر، ومَنْ فهم علم.

الدعوة إلى اعتماد عدة أمور، واعتبارها أشياء ضرورية أساسية ليتعوّد الالتزام بها والتعايش معها على أساس من الاطمئنان بجدواها وأهميتها وفعاليتها الكبيرة في حياة الفرد والمجتمع، وهي:

١ - أن يحاسب الإنسان نفسه ويعدَّ افعاله وأقواله ويحصي ما صدر منه ليتعرّف على خطائه وصوابه في كل ذلك فيتحرك في ما بعد على خط الصواب والحكمة ولا يُجرُّ لتلك المواقف فيما بعد.

ولو آمن الإنسان فعلًا بأهمية المحاسبة وعملية الإحصاء اليومي وما تنطبع به أفعاله وأقواله من طابع الانضباط والدقة وعدم التسرع والانفلات - لو آمن حقاً بذلك - لصار يتصرف ويتلفظ بموجب ضوابط والتزامات فلا ينفعل لأنّه يعرف انه سيندم أو سيُحاسَب على ذلك فيضبط أعصابه، ولا يتسرع في اتخاذ قرار أو موقف معين إلّا بعد مشاورة وتأمل لأنّه يدرك أنّه سيتحمل تبعات القرار والموقف فيتوازن، ولا ينساق وراء مؤثرات المال، العاطفة، الجاه، السياسة والتوجهات الفئوية، التهديد، الوعيد... بل يدرس الحالة المعروضة جيداً فيخطو خطوته المقبلة بكل ثقة وتوازن لينجو من عثرات تلك الخطوة وينبغي أن تدخل في قائمة الحساب والاحصاء

اليومي: الافعال بشكليها الايجابي والسلبي وكذلك الحال في الاقوال إذ قد يصدر من الإنسان ما يستحق الثواب عليه أو ما يستحق العقاب عليه.

فلا بُدَّ من المواصلة على الخط لو وجد الإنسان أنّه استكثر في يومه من عمل ايجابي كما أنّه عليه أن يتنبه للخطر والعقوبة - احياناً - لو كان العمل سلبياً.

والحصيلة الناتجة من عملية الحساب والاحصاء اليومي تكون لصالح الإنسان ذاته إذ يتعرف على مواطن القوة والضعف في تصرفاته وأقواله فلا يغبن ولا يفاجأ ولا يقف موقف الخاسر الذي لا يمكنه أن ينقذ نفسه فالمحاسبة سواء أأنتجت ناتجاً يؤشر إلى الايجاب والخير أم العكس فإنّما توضح الحالة للانسان ليستمر أو يتوقف إذن فمن حاسب نفسه فقد ربح النتيجة لصالحه.

وبطبيعة الحال لو غفل الإنسان عن نفسه ولم يحاسبها وترك الأمور وما يصدر منه من دون ما مراقبة وملاحظة فسوف يخسر ويندم حين لا ينفعه، ويتمنى لو لم يغفل.

٢ - أن تكون النفس خائفة مما تلاقي غداً ويتضح ذلك من خلال العمل وفق الضوابط الشرعية والالتزام بها من دون ما تجاوزات لتكون نتيجة الخوف: الأمن والارتياح النفسي يوم تفزع فيه القلوب، وتخاف النفوس، وتذهل عن كل عزيز، وكفى بذلك الأمن والارتياح مكسباً يستحق التضحية بملاذّ الدنيا المؤقتة لاجله،

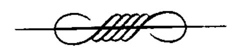
لأنّ المؤمن حقاً لا تُعرف ميزته واهميته إلّا ذلك اليوم الذي يتبين فيه المتقون من غيرهم.

٣ - ان يتّعظ ويأخذ العبرة مما يشاهده ويسمع به فتكون تجربة الغير درساً بليغاً مفيداً للانسان لينمو وينضج حتى لا يقع في نفس الموقف، ومن دون ما تقديم خسائر ولتكن النتيجة أنّه أبصر طريقه في الحياة من خلال تأثره واعتباره واتعاظه بتجارب الآخرين، فلم يتركها تمر عليه من دون ما استفادة بل أخذ العبرة منها ليفهم ما عجز عن فهمه وتفهمه من خلال وسائله الخاصة، لذلك فقد جاءته الفرصة للتفهم من دون ما تعب ومشقة.

فالتبصر من خلال الاستفادة من تجارب الغير ينفع في فهم لغة الحياة وتُعَلِّم كيفية التخاطب والتعامل معها لينجو من مطباتها ومشاكلها القاسية.

٤ - من جملة ثمرات المحاسبة وعدم الغفلة أن يفتح منافذ تفكيره جيداً ليستقبل أية معلومة مفيدة قد تنفعه ولو مستقبلاً، فإنّ محاولة فهم القضايا ومعرفتها وادراكها تؤدي إلى العلم بتلك القضايا ووضوحها لديه وانكشاف الخفايا عنده وهو المطلوب غالباً.

وهذه الحكمة لها من التأثير العميق في اصلاح الفرد دنيوياً وأُخرويا وفي كل المجالات الشيء الكثير.



◄ ١٧٤ - قال عليه السلام :

مَنْ حذّركَ كمَنْ بشّركَ.

تبلغ الحالة لدى بعض الناس أن لا يعتني بالتحذير والتنبيه بل قد يستهين فيرمي المقابل بالضعف وعدم القابلية على المواجهة و. . و. . . مما يكشف عن عدم تقدير الحالة بشكلها الصحيح وعدم تحجيم المشكلة بالمقدار الذي تستحق فلذا تنتج عدم المبالاة، ومظاهر الاستهزاء أو الاستهانة.

بينما نجد أنّ الإمام عليه السلام يدعونا في هذه الحكمة إلى أن نهتم بأمر المحذِّر الناصح ونصغي لتحذيره ونصحه كما لو كان قد ساق لنا بشارةً نفرح بها.

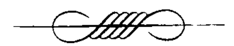
لأنّ المحذِّر والمبشِّر يودُّ كل منهما لنا الخير، ولكلٍّ طريقته الخاصة في ذلك فأحدهما ينذر بوقوع خطر وضرورة الابتعاد عنه وتفادي الوقوع فيه مهما أمكن فلذا بادر إلى الانذار المبكر قبل حلول الأزمة.

والآخر يخبر بحلول ما نتوقعه أو مجيء غايب ننتظره اوحصول رغبة نتمناها أو. . .

إذن فهما معا يستحقان التقدير والمحبة والاهتمام والاعتناء والتعامل على قدم المساواة بينهما لأنّهما أظهرا حرصهما على المصلحة والسلامة وعدم التأذي، أو بلوغ الخبر السار المفرح بما

أمكنهما، ولكن من الشائع وللاسف عدم تقدير المحذِّر والتشاؤم منه على أساس أنّه استبق الاحداث وتوقع المكروه، إلّا أنّه شائع مخطىء بكل تأكيد، لأنّ الإنسان يحتاج فيما يحتاج إلى منْ يحذّره ليتوقى ويحتاط لنفسه ويأخذ استعداده الكافي للأمر فلا يتورط بكلمة أو فعل لئلا يخسر الحالة والموقف.

فالدعوة إذن إلى الاهتمام بشأن التحذير مصدراً وهو المحذِّر، وقضيةً وهي الحالة المرتقَبة المتوقَّعة الحدوث.



◀ ١٧٥ - قال عَلَيْهِ السَّلَامُ:

من الخُرق[١] المعاجلة قبل الإمكان، والإناة[٢] بعد الفرصة.

على الإنسان أن يغتنم الفرصة المناسبة لتحقيق أهدافه، فلا يتوانى ولا يتماهل ولا يتأخر عن ذلك لو تمّ، وهذا يتطلب بطبيعة الحال أن لا يستعجل الأمر لئلا يستبق الأحداث، كما عليه أن لا يتأخر عن الإنجاز واتخاذ القرارلو تهيأت الظروف وتواتت على شيء مّا لأنّ عدم الاستعداد يؤشر مؤشراً سلبياً على عدم النضج العقلي للانسان

(١) الحُمق، قله العقل أو فساد فيه، سوء التصرف والجهل، ضعف الرأي. المنجد ص ١٧٥/١٥٥ مادة (خرق/ حمق).

(٢) الانتظار والتمهل. المنجد ص ٢٠ مادة (أَنَيَ).



وعدم توازن إدراكه للامور وتفاوت المسافة بين عامِلَي التنظير والتطبيق. وهذه النتيجة مما يبتعد عنها كل عاقل والحكمة شاملة في مدارها لكل غايات الإنسان وأهدافه، وفي سائر مسارات الحياة وتشعبات مداراتها الواسعة، وتساير الإنسان في المجالات العلمية والعملية كافة، كفرد وكجزء من المجتمع في علاقاته مع نفسه، ربه، أفراد مجتمعه، عائلته، زملاء عمله. . . .

إذن فالدعوة إلى أن يتوفر الإنسان على قدرٍ مقبول من التعقل للأمور والتعامل الدقيق مع القضايا بما لا يفوّت عليه الفرصة، فلايستبق الأحداث ولايتأخر في الظرف المناسب لأنّ الحالات التي يمكنه فيها تحقيق ما يرغب به لاتتكرر دائماً فعليه أن يتهيأ لإغتنامها وذلك عن طريق الموازنة والتعرف على مواقع القوة والضعف في ما يُعرض عليه ليقبل أو ليرفض وفق تدبير العقل.



◀ ١٧٦ - قال عليه السلام:

مَنْ صَارَعَ الحقَ صَرَعَهُ.

تشير الحكمة إلى معنى كنائي تعبيري يوحي بشيء من التفصيل وأنَّ على الإنسان أن لا يستقوي ولا يستعلي على مراكز الحق كيفما كانت وأينما كانت لأنّها لو تغلب عليها بالقوة البدنية والعضلية، العقلية والتخطيطية فإنّها حتماً تتغلب عليه عندما لا تنفعه قواه البدنية والعضلية والتخطيطية.

وهي - الحكمة - شاملة ترمز إلى كل ما يختصر تعريفه بأنّه حق فلا يقتصر على جانب دون آخر بل تتصل بشكل مباشر بتصرفات الإنسان وأقواله وسائر تحركاته وحركاته حتى توجهاته وما يتعاطف به مع فئة أو جهة على حساب الحق فإنّه يلقى جزاءه المناسب ليحقق معنى أنّ الحقَ تغلّب عليه.

ومن المؤكد ان ليس المقصود من المصارعة حالة الطرح على الأرض بعد مغالبة ومكابرة من كلا الطرفين. بل المقصود التغلب والاستظهار والاستعلاء وتسجيل الموقف وربح القضية والوصولية إلى الهدف على حساب الحق. . . .

إذن فالدعوة إلى عدم الاستبشار كثيراً لو واتت الفرصة أحداً فتغلّب على الحق وأهله فعليه أن لا يغترّ ولا يتطاول بذلك بل عليه ان ينتظر القادم ليرى كيف انتصار الحق لذاته ولمنتسبيه والمحسوبين على خطه. ومن المعلوم أنّ الله تعالى مع الحق وينصره ويدعم مواقفه ويشجع عليه وعلى اتخاذ سبيله ومن اسمائه الحسنى (الحق) وإن لم يكن المقصود هنا ذلك بالذات بل ما يكون ضمن خط الاستقامة والصلاح والهدى والرشاد بكل ما فيها من معاني الخير والايجابية بكافة ابعادها في الحياة.



◀ ١٧٧ - قال عليه السلام :

مَنْ ضَنَّ [١] بعرضِهِ[٢] فليَدَع المِراء[٣].

إنّ حالة التنازع والتخاصم الكلامي مع الناس له عدة آثار سلبية تسيء لوضع الإنسان المتنازع نفسه، وقد تتجاوز إلى أهله وذويه ومَنْ يهتم بشأنه فينبز أو يشتم أو يذكر بسوء لارغام وايذاء المتخاصم المتجادل.

فلذا كانت هذه الحكمة تدعو إلى أن يكفّ الإنسان عن المهاترات الكلامية والمجادلة ومحاولة التغلب والتسلط في المواقف لان ذلك يفتح مجالًا واسعاً للنيل من الكرامة، ويعطي مادة حديث للمتحدثين ليفتشوا في خبايا صدورهم ليجدوا ما يشين أو يعيب أو ما فيه منقصة ولو بحسب تضخم عنوان الشخص فعلًا فينشروا ذلك ويفشوه جزاء لمجادلته وتغلبه وتفوقه، ويكون المبرر الوحيد لمَنْ ينشر ذلك ويحاول الحط من منزلة المجادل اجتماعياً إنّما هو الثأر لنفسه والرد لاعتباره والتغطية لفشله و. . و. . .

وأنّ هذه الحكمة ينفعنا الالتزام بها في سائر مراحل الحياة حتى

---

(١) ضنَّ بالضاد لا بالظاء : أي بخل.

(٢) العِرْضُ: ما يصونه الإنسان من نفسه أو سلفه أو مَنْ يلزمه أمره أو موضع المدح والذم منه. المنجد ص ٤٩٧ مادة (عَرَضَ).

(٣) أي الجدال والنزاع.

في المناقشات العلمية التي يفترض فيها الوصول إلى الحقيقة فإنّها لا تخلو من علوق بعض الضغائن في الصدور، ونشوء المشاحنات فيتربّص البعض بالبعض الآخر الحالات المناسبة للتهوين والاستهانة، فمن اللازم الابتعاد عن الجدال والنزاع لئلا تنتج نتائجهما فتتكون بذرة الاختلاف والحسد والحقد بما يغيّر مسار الامور ويحولها عن منعطفها الصحيح.



◄ ١٧٨ - قال عليه السلام:

مَنْ ضيَّعه الأقرب أُتيح له الأبعد.

تطمينٌ للقلوب المنكسرة من جرّاء تجاهل الأقارب وعدم مبالاتهم وعدم تقديرهم بما يبني حاجزاً نفسياً بين الاقارب يصعب تفتيته والتخلص منه بعد ذلك.

ولذا فالامام عليه السلام يدعو لأن لا يعوّل الإنسان كثيراً على بعض الناس الذين يتوقع منهم المساعدة بمختلف أشكالها لأنّ الله تعالى كفيل بأن يحقق له أمانيه ويبلغه آماله من دون ما منّة أو مشكلات جانبية.

فاللازم التوكل على الله تعالى والاعتماد على النفس وعدم الاتكال على الاقارب لأنّ ذلك مما يضعف بنيه الإنسان الاجتماعية فلا ينمو ولا يتقدم في علاقاته ولا يعرف كيفية الخوض في غمار

الحياة ولذا كان يتوقع العون ومدّ يد المساعدة من الأقارب، فلو لم يكونوا بمستوى الامل والطموح فلا يضيع بل يهيئ له خالقه الجليل سبحانه مَنْ يقدِّم له العون ويهيىء له الأسباب لتحقيق الأهداف من دونما يصاحبها ما يكون عادة بين الاقارب. . .

والقريب لا يختص بالرحم النسبي بل كل مَنْ يتوقع منه الإنسان النجدة والمعاونة، وكذلك البعيد كل مَنْ لم يتوقعها منه الانسان.

فالدعوة إذن إلى عدم الابتئاس وعدم التشاؤم وعدم الاكتراث حين لا يتحفز الأقارب لمساعدة أقاربهم فإنّ الله تعالى يبعث الهمة في نفوس الأباعد فيساعدون في ذلك. ومن المؤكد أنّ الإنسان يهمّه كثيراً أنجاز مطلبه وها هو قد أنجز وباقصر الطرق من دون تعب نسبياً فلا داعي إذن للأسف والتلاوم والعتاب. . . وأحسب أنّ الأغلبية العظمى قد تحققت من ذلك الوعد في الحكمة بأنفسهم فما من احد منهم إلّا وقد تعرّض لموقف حرج فيجد استجابة البعيد وتخلي القريب.

وإنّ الأخذ بهذه الحكمة وتصديق الإمام (ع) في ضمانه الذي أعطاه لمما يخفّف من حدّة التوتر والخلافات على صعيد العائلة، الأسرة، المجتمع. . . لأنّه لا يبقى أحدٌ ينتظر المساعدة والمعاونة من خصوص القريب بل يعتمد على مسبّب الأسباب تعالى فيهيىء له مَنْ يساعده ويعاونه ولو كان بعيداً، فلا يكون مكروباً لو تقاعس عن عونه أقرباؤه بل يتقّبل الأمر على أساس أنّ ذلك خيرٌ حُرمَ منه القريب ووُفِق له البعيد فيحمد الله على تيسير الأمور.

وأما التغاضي عن هذه الحكمة فإنّه سبب كافٍ لنشوب الحزازات والتقاعس عن المساهمة في مشاكل الآخرين على أساس المقابلة بالمثل وهذا ما يكدِّر العلاقات الاجتماعية ويجعلها مهلهلة لاتخضع لقانون (العمل تقرباً لله تعالى) الذي يؤجر عليه الإنسان كثيراً.



◀ ١٧٩ - قال عليه السلام:

مَنْ ظَنَّ بك خيراً فصدِّق ظنه.

كثيراً ما يقصد الانسانُ إنساناً آخر لإنجاز مهمة ولكن لا يجد التلقي المناسب، أو يُجَابَه بالرد غير المناسب أو العنيف - أحياناً - فيرجع منكسراً، خائباً، متألماً، يشعر بمضاضة الفشل والخيبة فيترك ذلك انطباعا سيئاً في نفسه عن ذلك الرادّ فقد يقوم بدوره أيضاً بردّ قاصديه وطالبي مساعدته وبذلك تتضخم الحالة وتنتشر فلا يسعنا حلها إلّا بعد عناء وجهد.

ومن السلبيات أن يكثر خصوم الراد والحاقدون عليه والمناوئون له فقد لايجد مَنْ يسعفه عند الحاجة وقد لا يجد مَنْ يهتم بوجوده فيزداد غيظا وحنقا.

وفي كل هذه السلبيات مضاعفات سيئة لا يمكن التغاضي عنها فكان من وسائل العلاج هذه الحكمة التي تدعو الجميع إلى التعاون السلمي والتعاضد في سبيل حل المشكلات أو المساعدة في ذلك بقدر الامكان.

وتحث على أن تكون لغة الخطاب والحوار لغة إشاعة الخير وتكثير منافذه على الحياة، ونشر سبله لدى الآخرين، وعدم الاقتصار على النفس، وعدم الحرص على الانانيات المقيتة، وكان من نتائج ذلك ألحث أنّ مَنْ قصدك لانجاز مهمة وتذليل الصعوبات أمامه فلاتخيّب سعيه ولاتردّ حاجته ولاترجعه بالخيبة والانكسار.

كل ذلك حسب الامكان وما يسمح به التكليف الشرعي بمعنى ان لايتجاوز التعليمات الشرعية النافذة في حق القاصد والمقصود، صاحب الحاجة وقاضيها، لئلا تكون الحسنة سيئة إذ لا يطاع الله تعالى من حيث يعصى.

ومن المؤكد أنّ لهذه الحكمة مفعولها القوي السريع لو أخذنا بها لأنّها تقلّل من إمكانية حدوث الخصومات والعداوات والاحقاد والأضغان وما إلى ذلك مما يبعد المسافة بين الأخوان المؤمنين وبين أفراد المجتمع الواحد الذي يجمعهم الكثير الكثير مما يفرقهم وهو الإنسانية والعقيدة والمشاعر والحاجة المتبادلة والتعارفات الاجتماعية الاخرى التي ترسِّخ التعارف في النفوس.



◀ ١٨٠ - قال عليه السلام:

مَنْ عَظَّمَ صغارَ المصائبِ ابتلاه الله بكبارها.

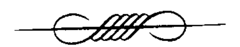
من الشائع - المزعج - انتشار حالة التسخط والشكوى من أقل ما

يُلِم بالإنسان ويصادفه في حياته من مصائب في النفوس أو الأولاد أو الاموال او . . . فلايصبر ولايرضى بل يعترض ويجاهر بذلك وقد يعاونه ويؤازره على ذلك أهله وذووه أو بعض المتزلفين الذين لا يعرفون شيئاً في الحياة سوى العيش في الهامش من دون ما تفكير في العواقب، ووعي لما يحدث، بل لا بُدَّ من دراسة الأمر جيداً ليكون الرأي مطابقاً للحقيقة المعاشة لا مجرد تسجيل موقف مرتجل يستتبع المؤاخذة والمساءلة الاخروية.

وهذا الشيء شائع مما يسبب الكثير الكثير من حالات ديمومة البلاء وإحاطة الآخرين به إذ لم يحاولوا الحد منه والتقليل من حدوثه وتكرره، حتى لو كان من أسباب عدم الحدّ وعدم التقليل هو الخوف من تسلط الألسنة الحادة أو نشوب العداوات الشخصية، وعليه فتتفشى الظاهرة حتى تكون امراً شائعاً فلا يستغرب أصلاً. فمثلاً إن اصيب الإنسان بفقد عزيز أو خسارة مال أو منصب أو جاه أو ما إلى ذلك فإنّه يتكلم بما يشاء وبما يحلو له وقد يتمرّد على الاحكام الشرعية فيترك الصلاة أو الصوم أو الحجاب أو طاعة الوالدين أو الزوج أو. . أو. . . أو يرتكب محرماً قولياً أو فعلياً بما يعني إهتزاز قاعدته الايمانية في نفسه وعدم رسوخها في الداخل ولذا لم يضبط أعصابه ولا عواطفه، وهذا مما يسبّب الكثير من الآفات الاجتماعية فلأجل بيان ما ينجم عن ذلك وما يؤثره على الفرد والمجتمع كانت هذه الحكمة المؤكدة بأنَّ مَنْ لم يصبر على اختبارات الخالق تعالى البسيطة الهينة - بحسب تقادير البشر - فسوف يبتلى بما هو أشد.

فاللازم الصبر والتسليم لقضاء الله تعالى والرضا بذلك وعدم الجزع والتسخط والضجر لأنّ ذلك يستجلب المزيد من المصائب، وهذا أمر طبيعي فإن لم يقبل بالقليل جُرِّبَ معه الكثير ليتحسس أثر القليل.

فالدعوة إلى عدم تهويل الامور النازلة بالإنسان مهما كانت بل المعايشة معها على أساس الواقع والحقيقة المعاشة لأن المبالغة والتضخيم لاينفعان بشيء إطلاقاً بل مما يؤججان كوامن الصدور فتنفلت كلمات وتتكشف تصرفات ما كانت محسوبة له نفسه أو للآخرين فيخسر بعض المواقف والرصيد الاجتماعي - حتماً -، مضافاً إلى أنّ تلك المواجهة الحادة مع الابتلاءات التي تعني حالة الامتحان والاختبار واستكشاف المخبوء والمستور مما يتحتم في أحيان كثيرة إظهاره وكشفه لمصلحة العبد ذاته أو بقية العباد - إنّ تلك المواجهة الحادة. . . - تعني عدم التسليم لقضاء اللّه، والاعتراض على حكمه وهذا بحده ذنب يعاقب عليه أحياناً لو استحكم وداوم عليه الإنسان بالنار المؤبدة. وهذه الدعوة عامة للاجناس والفئات والمستويات كافة فلاتخص الرجال الكبار أو ذوي الثقافة والدين أو. . أو. . . مما يتعلل به أحياناً كثيرة وتبرر به تلك التصرفات الحمقاء غير المدروسة التي سرعان ما يشعر نفس الإنسان بعدم جدواها فيتراجع عنها بهذه التعللات العليلة.



◀ ١٨١ - قال عليه السلام :

مَنْ قضى حق مَنْ لا يقضي حقه فقد عَبَدَه.

ينساق البعض وراء العاطفة والانفعالات النفسية الضاغطة الناجمة عن حالة نفسية معينة فيتصرف تصرفاً معيناً ويستمر على ذلك اتجاه شخص معين ولكن من دون ما مقابل أو تبادل في المواقف.

وهذا مما نصادفه في حياتنا العملية أو نمتحن به فعلًا فكانت هذه الحكمة تضيء الدرب وتكشف الحقيقة ليتّضح السلوك المناسب وكيفية التعامل الصحيح.

فالامام عليه السلام يدعو إلى التوازن وعدم الابتذال إلى حدّ عدم عرفان الطرف الآخر وعدم تقديره فيسخِّر طاقات غيره لخدمته من دونما تبادل ومعاونة في بعض المواقف التي ينبغي فيها تقديم المعونة والقيام ببعض الادوار المعيّنة، لأن لا أحد يملك أحداً إلّا الله فإنّه الذي يجب على الجميع اداء حقوقه وامتثال اوامره والانزجار والابتعاد عن نواهيه شكراً لأفضاله وأنعامه فلا يتوقع المقابلة المثلية ومع ذلك فهو عزوجل يعلمنا درساً بقوله عز من قائل ﴿وَلَا تَنسَوُا ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾[1] لئلا تضيع الحقوق، وتستغل الجهود.

وفي الحقيقة العلمية تعتبر هذه الحكمة من قوانين الحرية ونبذ

---

(١) سوره البقرة آيه (٢٣٧).

العبودية والاستعمار والتسلط واستغلال الايدي والعقول لحساب فئة أو شخص لأنّ ذلك يعني التسلّط والسيادة للفئة أو الشخص، كما يعني الذلّ والعبودية المملوكية لمن يقدِّم الخدمات... وهذا ما لايقبل بحال في حق بني الإنسانية لان جهود الإنسان الفكرية والعضلية لا يستحق أن تبذل إلّا لخالقها أو مَنْ يسير وفق شرعه تعالى ومَنْ عداه فهو الاستبداد والظلم والتجافي عن الإنصاف والعدل والمروة ومعاني سمو الذات.

فلابُدَّ من أن يتدبر الإنسان عندما يقدِّم الخدمات ليعرف موقعها ومجالات الاستخدام لئلا يُستعبد من حيث لايدري.



◀ ١٨٢ - قال عليه السلام:

مَنْ كتم سرّه كانت الخِيَرة[1] بيده.

أن من المشاكل لكثير من أفراد المجتمع مشكلة التسرع في إبداء كل شيء، والتفصيل عن الخصوصيات الخاصة له أو لغيره ثم تتحول الموجة وتتبدل الطريقة في التعامل فيندم على ذلك، ولا يمكنه التغيير أو سحب المعلومات المأخوذة منه مع أنّها قد تكون مصدر قلق أو ادانة أو تلويث سمعة أو خسارة مادية أو معنوية أو...

(١) الخِيْرَة والخِيَرَة الاختيار والانتقاء. المنجد ص ٢٠١ مادة (خير).



فالدعوة إلى أن لايتسرع الإنسان في افشاء المعلومات الخاصة وإلا فَقَدَ السيطرة على تصرفاته الشخصية وخصوصياته الخاصة وهو ما يعني تسيير الآخرين له وصيرورته أُلعوبة ودُمية يحرّكها الغير بما يؤشّر عن ضعف الشخصية وفقدان الموقع المؤهل للتحكّم والتوجيه[١].

وإن هذه الحكمة تذكّرنا بما دلّت على حفظ اللسان والسيطرة على الكلام وعدم الانسياق وراء العاطفة أو سائر المؤثرات الاخرى التي تتغلب أحياناً فيتحدث الإنسان بما شاء من دون ما محاسبة وسيطرة. فيتعرض بالتالي إلى فَقْدِ السيطرة تماماً فتهتز شخصيته الاجتماعية وربما يصل الامر - أحياناً - إلى فَقْدِ الشخصية القانونية أيضاً لأنّه عندما يتعوّد على تسيير الآخرين له من خلال فَقْدِ موقع الاختيار والردّ والقبول في موقعهما الخاص فإنّه يتحلّل تدريجياً من التزامات أسوياء الناس وهكذا حتى يؤول امره إلى ما لا يرغب فيه احد...



(١) وفوق هذا وذاك فإذاعة أسرَار الناس وافشاؤها أمر مذموم لا يقوم به عاقل يحترم عقله ونفسه، بل ينتهزه المغرضون ذووا النوايا السيئة. فلا بد من الابتعاد عن ذلك وحفظ كرامة الآخرين ليضمن موقعاً لديهم أيضاً يحتاجه في يوم ما.

◀ ١٨٣ - قال عليه السلام :

من كفارات الذنوب العظام: إغاثة الملهوف، والتنفيس عن المكروب.

من القضايا التي تمرّ عادة بكل أحد مهما كان مستواه الاجتماعي، الثقافي، المادي. . . هو تعرّضه للضيق وفقدانه السيطرة على بعض الحالات الخاصة به حتى أنّه يكون محتاجاً لمن ينقذه ولو بطرح الحل أو المساعدة الممكنة لكونه متلهفاً لذلك ومضغوطاً عليه في حالة حرجة تحتّم عليه القبول بالوضع الراهن وإلّا لعَايَشَ الأسوأ من البدائل والأحرج من المواقف فيكون مضنوكاً محصوراً حزيناً يستغيث بكل أحد ويطلب المعونة من أيٍّ كان، وهذا موقف مما يتعرض لمواجهته الكثير فيمكنه أن يجرِّب نفسه ونبلها ومدى حدود الخير فيها ومدى استعداده لتقديم ذلك والمساهمة في انقاذ ملهوف وأغاثته بما ينفِّس عنه كربته ومحنته.

لتأمين ذلك الموقف الانساني النبيل كانت هذه الحكمة قد أعطت ضماناً بأنّ اغاثة الملهوف وأعانته ونصرته مع ما هو فيه من الورطة والمأزق الحرج كفيل بتكفير ومحو الذنوب العظيمة التي يرجو الإنسان المذنِب لها المرحمة والمغفرة من الله تعالى.

إذن فالدعوة إلى أن يعيش كلٌ منا أخوَّته وإنسانيته مع الآخرين من خلال تقديم المعونة والانقاذ من الموقف الصعب والمساهمة في حلّ المشكلة أو تطويقها قدر الامكان بما يحقق معنى الإغاثة، والإعانة، والنصرة، والتنفيس عن المتورّط، الملهوف، المكروب،

لتكون النتيجة في صالح الجميع فلا يتخلى أحد عن أحد ولا يتنصل من تقديم ما يمكنه من معونة على اساس عدم التدخل فيما لا يعني، لأنّ الضمان المقدَّم يدفع بكل أحد للمساهمة كيما يأخذ دوره المناسب ليفوز بمحو الذنوب، ومَن منّا لا يحتاج إلى ضمانة اكيدة كهذه وقد صدرت من عبد الله وأخي رسول الله وإمام المتقين والمغيثين والمساعدين لمن استجار به واستعان بما لديه من مؤهلات للشفاعة والتفريج.

والإغاثة والإعانة والتنفيس قد تأخذ شكل تقديم النصح والمشورة أو تأخذ شكل العون المادي أو المعنوي أو الحماية أو الوساطة أو. . أو. . . بما يحقق هذا الموقف النبيل الذي يؤكّد أواصر الارتباط في المجتمع الواحد الذي ينمو ويترعرع عليها ليكون مجتمعاً آمناً من الدخائل والضغائن والأحقاد والحسابات القديمة قدر الامكان.



◀ ١٨٤ - قال عليه السلام:

مَنْ كرمت عليه نفسه هانت عليه شهواته.

تحذير من اتباع الهوى الشخصي وما يفرضه على صاحبه من مواقف مرتجلة غير مدروسة قد تصل أحياناً إلى الحطّ من قدره الإنساني، الاجتماعي. . .، وقد استعمل عليه السلام هذا الأسلوب الوعظي للتأثير على موقعٍ حساس في النفوس وهو مسألة الكرامة

والأنفة والحمية والاعتزاز بالشخصية وما إلى ذلك مما يدور في دائرة تكريم النفس واحترامها وعدم بذلها في مواقع ذليلة، ليكون من المضمون الأكيد الابتعاد عن سبيل الشهوة التي تتحرك عشوائياً فتُأجج في الإنسان مشاعر وخواطر تدفعه للقيام بعمل معين يعود عليه بالانتقاص لو شاع بين الآخرين فمثلًا لو اتبع الإنسان شهوته وغريزته ورغبته في الاكل أو الشرب أو الممارسة الجنسية أو الملابس التي يفاخر بها أو المركب الذي يتميز به عن غيره فإنّه يتعرض لانتقاد لاذع واستغراب وربما استهانة فينعكس سلبياً على منزلته في القلوب وعلى مدى الاستجابة له أو التأثير عندما يتحرك بينهم كفرد له وزنه ومستواه الخاص.

أما إذا حاول تذليل النفس وقَوْدَها لتكون طيّعة مطيعة للعقل والشرع فلايتورّط في مشاكل مع الناس ولا يفقد موقعه أو يخسر منزلته المعينة بينهم.

فالدعوة إلى الابتعاد عن سبيل الغريزة والشهوة وما يكون منشؤه العاطفة التي لاتتفق مع العقل في أكثر من موقع لأنّ ذلك يؤثّر قوياً على توازن شخصية الإنسان في المجتمع.

والملتزم بهذه الحكمة يكون قد عوّد نفسه على طاعة الله تعالى والتزام أوامره واتباعها والابتعاد عن نواهيه وزواجره، وكفى بذلك ربحاً يستحق التضحية والبذل لاجله.



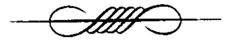
◀ ١٨٥ - قال عليه السلام :

مَنْ كساه الحياءُ ثوبه لم يرَ الناس عيبه .

إذا تعود الإنسان أن يترك بعض المباحات تعففاً ولئلا يُلام ويُؤنب فإنّه يكون قد حافظ على نفسه وصانها من أن يطّلع على عيوبها أحد لأنّ الإنسان يقع تحت طائلة حالة ضعف معين فيتصرف وفق ما تمليه عليه نفسه وعاطفته بمعزل عن عقله وتوجيه الشرع بل يحاول أن يبرّر كل ذلك على أساس معقول مشروع ، وتكون النتيجة الاطلاع عليها ورؤيته وهو تحت التأثير الخاص الذي غيّر من صورته المتوازنة المحفوظة في النفوس .

فالدعوة إلى الحياء وعدم المواجهة الحادة مما يعني عدم المبالاة ، والصلف والوقاحة وسوء التدبير مع الآخرين وإلّا فيكتشف الناسُ العيوبَ وهي ما كان يحرص على سترها أو إنكارها أصلًا فهو تحذير - من ممارسه الذنوب - بصورة محببة لكل أحد إذ لا يوجد - غالبا - مَنْ يرغب بكشف اسراره في الجسم أو الاخلاق أوالحياة العائلية أوالاجتماعية الأُخر . . .

وإذا أمّنا جانب الحياء نكون قد أحرزنا جانباً مهماً يحفظ الناس ويهيىء لهم حياة كريمة بدون مشكلات ومزالق وخصومات . . .



◀ ١٨٦ - قال عليه السلام :

مَنْ لم ينجه الصبر أهلكه الجزع.

الدعوة إلى الصبر والتسليم لله تعالى والتعامل مع الأمر الواقع بدون اعتراض وتسخّط لأنّ ذلك كفيل لوحده بالقضاء التدريجي على الإنسان بينما تكون في الصبر مداواة الجراح والتخفيف من حدتها وضراوة آلامها النفسية التي لا تنفع في تهدئتها وسائل العلاج النفسية والسريرية والعلاجية الاخرى إلّا الصبر والمعايشة مع الواقع من دون ماتذكرٍ للماضي، ومن دونما لومٍ وندم، ولماذا؟، ولأي سبب و. . . ؟ مما يردده المتورّط والمصابَ في بَدنه أو ولده أو ماله أو. . .

فمن لم يرضَ بالصبر علاجاً فليتيقن بأنّ عكسه - الجزع والتسخّط والتألم والاعتراض على ما حصل - كفيلٌ بالإجهاز على البقية الباقية من المقاومة والمصابرة.

إذن فالصبر أولى وأحجى وأنفع لأنّه يضمن بقاء الإنسان وهو ما يسعى ويطمح اليه.

ومن أمثال هذه الحكمة نتعلم درساً تربوياً في تعبئة النصيحة بمختلف العبوات المناسبة والحالة المعروضة لنضمن تقديم العلاج النافع في وقت الضرورة إذ من المعلوم وجود شرائح لا تهزهم الشواهد ولا تنفع معهم المواعظ. . . فلابُدَّ من توصيل الحكمة النافعة بمختلف الاساليب.



◀ ١٨٧ - قال عليه السلام :

مَنْ نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلمُ نفسه ومؤدبُها أحقُ بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم.

إنّ هذه الحكمة تتضمن ثلاثة أمور تربوية مهمة تتكفل بتوضيح أبعاد مسيرة الحياة في جوانبها ومستوياتها كافة، لأنّ الناس مختلفون في أغراضهم وأهدافهم وطموحاتهم بما يعقِّد الحالة ويضيّع مفتاح الحل ،فمن المناسب في مثل هذه الحالة اعطاء الحلول الصحيحة لإنقاذهم من مشكلات يتعرضون لها حتماً وفقاً لاختلاف أهوائهم وطبائعهم.

الأمر الأول: أن يطبّق الإنسان المرشد مايقوله، فلا يكتفي بترتيل النصائح من دون ان تنعكس آثارها عليه، فاذا أدّب نفسه أمكنه بسهولة تأديب غيره وترويضهم وحثهم على اتباع ما يقول، وأما إذا لم يطبِّق ذلك بنفسه لما أمكنه دعوة غيره لأنّه الأولى بالتطبيق وذلك لأنّه قد تبنى الدعوة اليه فلا بُدَّ من أن يكون صحيحاً وإيجابياً وإلّا لما دعا اليه.

الأمر الثاني: أن يكون الإنسان عملياً فيما ينظِّر من تعاليم وما يطرحه من آراء جادة لخدمة الانسانية ليكون الاقتداء به، والفهم لجدوى ما يطرح من موقع التنفيذ والتجربة الناجحة لا مجرد نظريات

لها نصيب من الاصابة كما هو الحال من الخطأ، فتكون الاستجابة أوفر نصيباً من الرفض.

الأمر الثالث: وهو مهم جداً للأخذ بالاولين: إنّ مَنْ يسيطر على نفسه فيروضها وفق ما يقوله ولا يجعلها بمعزلٍ عن كل ذلك، ولا يضعها في حصانة خاصة، ولا يهملها تعمل ماتشاء، بل يتابع نفسه بنفسه يكون قد تمكن من إنجاز شيء عظيم يستحق الإجلال والاكبار والتقديروالتوقير اكثر من غيره ممن يدعو غيرَه إلى شيء وينسى نفسه، فيصرف جهوده مع الآخرين ولايصرف بعض ذلك مع نفسه ليعوّدها على محاسن الأخلاق ومكارمها.

فالدعوة إلى أن لايتصدر أحدٌ الناسَ إلّا إذا تمت فيه المواصفات التي تجعله لائقاً بالقيادة والزعامة وإلّا فيُحْكَم عليه سلفاً بالفشل وعدم النجاح.

وأيضاً الدعوة إلى أن لايغتر أحد بشخصية معينة من خلال حديث وتصرف بل لابُدَّ من أن يطابق بين ما يقوله للآخرين وما يفعله هو فان كان متوازياً متساوياً عرف صدقه وامانته وإلّا فيحكم عليه بالكذب وعدم المصداقية والواقعية لأنّ هذا الشيء الذي يدعو الناس إليه إن كان حقاً فلماذا لا يطبقه هو؟ وإن لم يكن كذلك فلماذا يورِّط به غيره...؟



◀ ١٨٨ - قال عليه السلام :

مَنْ وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومنَّ مَنْ أساء به الظن .

قد يعيش البعض حالة فراغ فيتصرف تصرفات غير محسوبة العواقب، ومن ذلك أن ينطق بكلام له تفسيره السيء أو المسيء للمتكلم لبعض الظروف الخاصة فيكون الناطق قد حشر نفسه في زاوية الاتهام ؛ فيبدأ الاخرون من حواليه بالتعامل معه على اساس الارتياب والشك أو الحذر والتهمة انطلاقاً مما سمعوه منه، فقد تتطور الحالة فتصل إلى فرض المقاطعة التامة والعزلة عن الآخرين.

ومن ذلك أيضاً ان يتصرف تصرفاً معيّناً كالنظر أو الوقوف أو الجلوس أو الحركات البدنية أو الاشارات أو مجرد البقاء في حالة معينة أو مكان خاص. . .

بما يثير الشكوك من حواليه ويجعله محلًا لسوء الظن به فيكون التعامل معه بما يتناسب وما صدر منه من تصرف ولو كان عن قصد غير مشبوه وبريء ونزيه. فيتقابل طبعاً بالرفض والتشهير وقد يصل الأمر إلى المقاطعة والنبذ اجتماعياً.

فللتصرفات والأقوال لغتها الخاصة التي تصل إلى أذهان الناس بسرعة فائقة بحيث لا يجد الإنسان معها فرصة الدفاع وتصحيح المفهوم وتجلية الصورة، فلا بُدَّ من ان لا يكتفي الإنسان فيما يقول أو يفعل لمجرَّد حسن النية وبراءة القصد بل لا بُدَّ من حساب النتائج

والتفكير بالعواقب لكل ذلك. فيكون عندها تصرفه أو قوله موزوناً إلى حد كبير.

فالدعوة إلى أن يبتعد الإنسان عن كل ما يثير حوله الاسئلة ويجعله في موضع الاتهام والريبة لأنّ ذلك من وسائل تحطيم الشخصية بشكل ذاتي، وبعيد عن المناوئين والخصوم، ويؤدي ذلك أيضاً إلى ضعف صف المجتمع الواحد المتماسك بماسكة الانسانية والاسلام وما يعنيه من تفسير تصرفات الغير على الجانب الايجابي قدر الإمكان، فإن سوءَ التدبير والتصرف بشكل مريب مثيرٌ للشكوك فيهيء الجو لسوء الظن والتفسير بالمفهوم المخطيء وغير الصحيح وكلّ ذلك نتيجة سوء تصرف فردي أدى إلى زعزعة كيان المجتمع المتماسك، أذن فليس الضرر بمقتصر على الفرد ذاته بل يعمّ مَنْ حواليه ويتعدى فيكون حالة سلبية بين عموم الافراد.



◀ ١٨٩ - قال عليه السلام:

مَنْ يُعْطِ باليد القصيرة يُعْطَ باليد الطويلة.

إنّ من القضايا التي تدور مع الإنسان في مواقعه الحياتية كافة هو الحساب المصلحي والتفكير بمقدار العوائد والمنافع من وراء ما يبذله من جاه، مال، جهود أخرى بحيث يحسب خطواته ويبرمج وضعه الحياتي وفق ذلك الحساب ومن أهم ما يبذله الإنسان

ويحرص على التأكد من ضمانه لصالحه هو أنفاق المال وتوزيعه، مع أنّ الفرد المسلم يواجه عدداً من التوصيات الدينية والاخلاقية بالدفع للمعوزين، والسخاء في الانفاق على النفس والعيال وسماحة النفس والجود، ودفع الحقوق الشرعية التي تساهم في دعم المحتاجين، مما يجعل الإنسان بين حالتين يصعب التقريب بينهما الحالة الطبيعية، والحالة المطلوبة وقد تتغلب - أحياناً كثيرة - الحالة الطبيعية كما قد تتغلب الحالة المطلوبة إذا كان الإنسان منطلقاً من قناعة راسخة بجدوى الامتثال وأهميته في حياته الدنيا أو الأخرى.

فكانت هذه الحكمة من بعض ما ورد للحثّ على تغليب الحالة المطلوبة لأنّ الامتثال وتحقيق المطلوب يضمنان راحة نفسية في مواقف عديدة دنيوية واخروية فينجح الإنسان في التقريب بل ويتفوق أحياناً على آخرين ممن ابتعدوا عن الخط الصحيح وممن ألهتهم المغريات فانصرفوا اليها ولم يؤمنوا بالغيبيات والوعود الاكيدة التنجيز في موعدها المقرر.

فلأجل أن لا تفوت الفرصة كانت هذه الحكمة من وسائل الاقناع المطروحة للتشجيع على العطاء ولو على أساس مصلحي، نفعي، باعتبار الموازنة بين ما يصرف، وما يرد ويأتي، الذي كان التعبير عنهما باليد وما تعنيه من عطاء وبذل، ووصفها مرة بالقصيرة بما يعني التقنين والصرف بمقدار، ووصفها مرة أخرى بالطويلة بما يعني العطاء غير المحدود الواسع المغني الممدود غير المحدود، ومن

الطبيعي أن تمثل اليد القصيرة يد العبد المرزوق، بينما اليد الطويلة بما تعنيه من سعة وطَول هي رزق الله تعالى لعباده بما لأحد له بل متروك لتقديره عز وجلّ وفق المصالح والحِكَمْ التي لا يدركها العباد.

ومن المؤكد أنّ المسلمين لو التزموا بمضمون الحكمة فلا يمكن أن تؤثر على أحد منهم ومن غيرهم ضائقة مادية أو أزمة اقتصادية مهما كان حجمها لأنّ الايادي المساندة تدعم باستمرار من كلٍ حسب طاقته. وعندها يقوم بناء المجتمع كأحسن ما يكون. ولكن البعض منهم انصرفوا عن ذلك وظنوا أنّ الدفع والاعطاء لايتجاوز المنتفعين أو الوسطاء في الايصال فلذا ضاقت صدورهم وشحّت نفوسهم فلم تطب بدفع حق ولم تسمح بايصاله إلى مستحقيه فكانت النتيجة ليست بصالحه ولابصالح المحتاجين، فكَثُرَ الفقراء وَقلّتْ بركة ما يدخل الأغنياء من أموال أبرز ما تتصف به أنّها عديمة البركة أو غير موفقة...



حرف النون

◄ ١٩٠ - قال عليه السلام :

الناس أعداء ما جهلوا .

الدعوة لأن يتحلى أهل العلم في حقول المعرفة ومختلف اشكالها كافة، بالعفو والتعامل الحسن عندما يتعرّضون لبعض المواقف الحساسة من سائر الناس ممن لم يُرزقوا نعمة العلم أو لم يدركوا نصيبهم من الاخلاق الفاضلة التي يتحلى بها الأسوياء من الناس .

فقد تمس بعضُ التصرفات كرامةَ العالِم أو تقلِّل من شأنه الاجتماعي أو تساعد على تهوين قدره أو . . . بما يثير مشاعر الإنسان عموماً فضلاً عن العالم الذي يشعر بهضم حقه وعدم اعطائه الدور المناسب له فلو تُرِك كلٌّ من العالم وذاك المتجاوز على هواه وما تمليه عليه مشاعره الجيّاشة لكان ماكان مما لا تحمد عاقبته فكان لا بُدَّ من تهدئة الحال بما يعطي تفسيراً واقعياً للحالة، لأنّ الإنسان يحمل فيما يحمله من مشاعر ايجابية أو سلبية، ويتصف بما يتصف به من صفات حميدة أو ذميمة بشعور التغاير، وصفة ضيق النفس

ممن يتفوق في مجال معين، وهذا أمر طبيعي لكل أحد غاية الأمر أن المخلص لنفسه قبل غيره يسدّ ذلك الشعور ويعالج تلك الصفة بالمثابرة والمواصلة حتى يصل إلى ما وصل اليه غيره، بينما يقوم غيرُ المخلصِ الذي لم تسلَم ذاتُه ببعض الأعمال التي تهوّن من قدر العالِم وتقلّل من أهمية العلم على اساس استعراض القدرات المالية، البدنية، النفوذ والسيطرة أو غير ذلك ليعوِّض خلوّه مما ازدان به غيره. ولكنه وللأسف لايحصل تعويض لأنّ من خسر العلم خسر أهم شيء بل وأشرف شيء لأنّ العلم من صفات الله تعالى وقد ورد الترغيب اليه والتنويه بفضل حامله في الكتاب العزيز(١)

(١) كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦]، وقوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥] وغيرها. وقد ورد في فضل العلماء قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٦٢]، وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩] وغيرها.

والسنة[1] النبوية الشريفة مضافاً إلى قيام دليل العقل بطريقة الحصر والسبر المنطقي بما يسلّط الاضواء على الاتجاه اليه والتكريم لأهله ومحبيه.

وقد كان أسلوب المعالجة في هذه الحكمة حكيم ومقبول جداً لأنّه يصلح كقاعدة عامة يؤمن ويصدِّق بها الجميع لأنّ من كان عاطلًا عن شيء من الكمالات تتولد لديه عقدة النقص من ذلك فيسمح لنفسه بممارسة ما ينفِّس عنه ويتيح له الفرصة بما يخفّف عن نفسه، ولإجل أن لا تحول هذه التصرفات السلبية في تحديد مسيرة أهل العلم ولئلا يستغربوا للأمر كانت هذه الحكمة تبين أنّ الناس بحسب الطبيعة لايرغبون فيما هم عاطلون عنه لأنّه يكشف عن فراغ ونقص فيتأثرون من ذلك.

---

(١) كما روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: (طلب العلم فريضة على كلّ مسلم ألا إنّ الله يُحبُّ بُغاةَ - أي طلاب - العلم). أصول الكافي ج١ (باب فرض العلم ووجوب طلبه والحثّ عليه) ح١، وعنه ﷺ أيضاً أنّه قال: (من سَلَكَ طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة، وإنّ الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضاً به، وأنّه يستغفر لطالب العلم مَنْ في السماء ومَنْ في الأرض حتى الحوت في البحر، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر، وأنّ العلماء ورثة الانبياء...) أصول الكافي ج١ (باب ثواب العلم والمتعلم) ح١ ونحوه في سنن ابن ماجه ج١ ص٨١، وأيضاً روي عنه ﷺ أنه قال: (مَنْ يُرِدِ الله به خيراً يُفقهه في الدين) سنن ابن ماجه ج١ ص٨٠ ط دار الفكر، وروي عنه ﷺ أنّه قال: (فقيه واحد أشدُّ على الشيطان من ألف عابد) سنن ابن ماجة ج١ ص٨١ ط.

وبعد هذه الحكمة: على أهل العلم أن يواصلوا سيرهم العلمي والتعليمي مهما واجهوا من انتقاص أو محاولات أخرى، لأنّ تلك المحاولات لا تحدِّد من حركتهم شيئاً بل هي شيء إعتيادي ولا يعني تقرير هذه الحالة انها إيجابية بل علينا التعايش معها كأمر واقع وإلّا فهي مرفوضة والإسلام يدعو للعلم والتعلم.



◀ ١٩١ - قال عليه السلام:

نَفَسُ[١] المرء خُطاه[٢] إلى أجله.

الدعوة إلى أن يتذكر الإنسان دائماً أنّ انفاسه وما يستنشقه من هواء وعملية الشهيق والزفير إنّما هي ممارسة للعد التنازلي في اتجاه الموت وما بعده القبر وما فيه من اهوال وحالات، وما بعده من حساب وجزاء حسب العمل بلا ظلم ولا حيف.

ولذا فعلى الإنسان أن لا يفرح كثيراً بممارساته اليومية فإنّها محسوبة عليه ومعدودة من عمره فعليه باستثمارها وفق المربح

(١) النَفَسُ جمعه أنفاس: نسيم الهواء، ريح يدخل ويخرج من فم الحي ذي الرئة وأنفه حال التنفس. المنجد ص ٨٢٦، وأقرب الموارد مج٢ مادة (نَفَس).

(٢) الخُطى جمع الخُطْوة: ما بين القدمين عند المشي... المسافة. المنجد ص١٨٨ مادة (خطا).

والمفيد أخروياً ولايفرّط بفرصةِ خيرٍ مهما كانت قليلة الوقت لأنّها تنفع بعد الموت في تحقيق الحساب وتثقيل الميزان بالحسنات.

ولعل المنظور في الحكمة معالجة حالة اجتماعية متداولة شائعة بين الناس من القديم وهي الاغترار بالمؤاتيات الوقتية من المال والصحة والاولاد والجاه وطلاقة اللسان وسائر القدرات البدنية التي يتفوق بها البعض على الاخر. وأيضاً حالة الاغترار بطول العمر والبقاء في الدنيا.

فلأجل التنبيه على أنّ العمر محدود والعمل محسوب مرصود فلا بُدَّ من أن لا يغفل الإنسان عن آخرته من خلال تفريطه وتضييعه لعمره في التوافه وصغار الامور البسيطة بل عليه أن يغتنم ذلك للتزود والتهيؤ للقاء الله تعالى والمساءلة الدقيقة عن كل الاعمال يوم القيامة.

فكأنّ خطوات الإنسان وما تعنيه من تحركات وسكنات الإنسان وسائر التصرفات إنّما هي مقربة له نحو الاخرة، مبعدة له عن الدنيا وما فيها من لذائذ ومغريات ومطامع كانت تشدّه اليها وتربطه بها.

فالحقيقة الثابتة هي مفارقة الإنسان لدنياه وما فيها ومَنْ فيها وتفرده في القبر وحالة الحساب فلا بُدَّ له من الاستعداد لذلك جيداً لئلا يتحير ويخذل من الداخل فيكون قد أعان على نفسه... ولا ينفع الندم.

حرف الواو

◀ ١٩٢ - قال عليه السلام :

الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله، والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله.

إن هذه الحكمة تتسم بطابع القانون والمنهج الذي يقوِّم حياة الفرد ويصلح المجتمع فإنّ أفراد المجتمع الواحد - فضلًا عن المجتمعات المتعددة القومية واللغة والدين والعقيدة والتوجهات السياسية التنظيمية - مختلفةٌ متعددة تجعل الاختلاف في الطبائع والضمائر أمراً مألوفاً طبيعياً مع أنّه أمر لا تقرّه الفطرة السليمة إنْ تجاوز الحد لأنّ الطبائع والضمائر البشرية تكاد تتفق أو تتوافق على شاكلة واحدة وهي التي يعبّر عنها بالفطرة السليمة الطيبة والانسانية وحبّ الخير الفطري ونحو هذه التسميات التي تؤدي مضمون فكرة واحدة وهي التعامل الايجابي من دون تكلّف أو تصنّع وإنما يأتي منسجماً مع القناعة الشخصية بضرورة ذلك التعامل الطيب.

وأمّا خلاف ذلك فيعبَّر عنه باعوجاج السليقة، والفطرة غير المستقيمة، والانحراف عن الخط الصحيح ونحو هذه التسميات

التي تؤدي مضمون فكرة واحدة وهي التعدي عن المرسوم الصحيح والتجاوز إلى ما لايقبله الطبع البشري المتأصّل الذي خلقه الله تعالى في كل فرد مهما كان توجهه ومكانه وموقعه في المجتمع.

ومن ذلك الغدر وهو أمر معروف تأباه الطبيعة البشرية السليمة لأنّه يعني الخيانة وعدم الوفاء، ويعني التخلي عن المساندة والدعم، ويعني نقض العهد وعدم الاهتمام به بما يجعل شخصية الغادر مقيتةً منبوذةً اجتماعياً يتحاشاه الناس ويبتعدون عنه ولا يقيمون له وزناً بينهم وهذا يشبه أن يكون تطويقاً له ينفع في تحذير الآخرين ممن لم يكتشفوا فيه هذه الخصلة المذمومة، وقد يضطر البعض لممارسته احيانا كوسيلة دفاع وحماية بمعنى أن يقابل الغادر - الذي لايهتم بالمواثيق المعتمدة بينه وبين غيره - بنفس الطريقة ليجابَه بنفس السلاح الذي يستخدمه ضد الآخرين.

فالدعوة تحذّر من أنْ يفي أحد لمن غَدَرَ ونَقَضَ العهد لأنّ ذلك تشجيع وانماء له وهو ما يتعارض مع التعاليم الشرعية التي تشجب الغدر وتعارضه وتعترض على ممارسيه أشد الاعتراض وتدعوهم إلى الايفاء والالتزام فمَنْ يُصِرّ على الوفاء للغادر فهو مثله ازاء التعاليم والمواثيق الشرعية التي تقضي على الإنسان الملتزم وتلزمه بأمور وقضايا معينة فمَنْ يخالف يكون غادراً غيرَ وفيٍّ مع ربه وخالقه سبحانه.

كما تبين الحكمة أنّ عدم الالتزام مع الذي لا يلتزم (الغادر) لايشكّل حالة سلبية مطلقاً بل هو الوفاء بعينه إذ قد وفى لله تعالى بما

أعطاه من ميثاق التدين بشرائعه وتعاليمه الشرعية وكان منها ذمّ الغدر وكل ما يتصل به.

فالحكمة تدعو إلى أن يلتزم كلٌ موقعه المناسب في الحياة العملية من أجل تعميم الالتزام الشرعي والتدين بالاوامر والنواهي الشرعية ولو كان ذلك بصورة عدم الوفاء لمن لا يفي واستعمال الاسلوب نفسه توصلًا إلى ما هو أهم بنظر الشارع الاقدس، وتحقيقاً للعدل.



◄ ١٩٣ - قال عليه السلام:

الوِلايات[١] مضامير[٢] الرجال.

إنّ المنصب الذي يحتله الإنسان - مهما كان - يكشف عن مقومات شخصيته ومدى تأثره بالتعاليم والمبادىء القيّمة، أو عدم

(١) جمع الولاية بالكسر: السلطان والإمارة. لاحظ مختار الصحاح ص٧٣٧.

(٢) جمع المضمار: غاية الفرس في السباق. الفسحة الواسعة لسباق الخيل وترويضها. المنجد ص٤٥٥ مادة (ضمر). أقول: الملاحظ أنّ بعض من عُنيَ بتفسير هذه المفردة في كلام الإمام عليه السلام اقتصر على ذكر (المكان الذي تضّمر فيه الخيل للسباق) مع أنّ سياق الحكمة لا يظهر منه هذا المعنى المذكور فإنّ التضمير هو بأن يربط الفرس ويُكثّر ماؤه وعلفه حتى يسمن ثم يُقلّلان مدة ويُركّض في الميدان فيهزل، ومدة التضمير عند العرب أربعون يوماً. المنجد ص٤٥٥ وغيره. فهو بهذا المعنى غير مقصود له عليه السلام بل المقصود الزمان والمكان للسباق، فلاحظ.

اهتمامه بذلك أو عدم استيعابه لها إذ لم ينعكس ذلك على سيرته العملية.

فإنّ الإنسان إذا كان له سلطان ونفوذ على شيء معين فسيساعد ذلك على أن يُقَيِّم وتكتشف خصاله الذاتية ومؤهلاته الشخصية سواء في ذلك ما يرفعه أو ما يهبط به إلى مستوى وضيع، إذ يكون قد وضع للاختبار والتجربة ثم تعلن النتيجة بعد انتهاء مدة سلطانه ونفوذه.

فالدعوة إلى ان يستغل مَنْ له نفوذ على شيء نفوذَه في صالح الاخرين وعدم التفريط بالامانة والثقة الممنوحة من خلال الترشيح للمنصب أو القبول باشغاله اياه.

وان لاتشغله همومه الوظيفية، المحلية، العائلية... عن القضايا التي تحتل مركز الصدارة والاهمية في قائمة المهمات والمسئوليات التي تناط بمن يشغل المنصب.

وان لايستغل المنصب للحصول على المال، اشباع الغريزة، فرض الهيمنة، ابراز العضلات، التسلط على الضعفاء، التشفي من الاعداء والخصوم، تقديم الخدمات للاقارب والاحباب ومَنْ ينتفع منهم و.. و... مما لايدخل ضمن نطاق الصالح العام للمجتمع والذي لا يحتكر ضمن دائرة معينة أو مستويات خاصة.

والولاية بهذا المعنى واسعة شاملة في معناها التعبيري لكل

الفئات والمراكز والمناصب التي يتعرض لها الإنسان صاحب السلطان فلا يختص الامر بأحد ولا يقتصر على فئة بل يعم الجميع ويشمل الكل ليعيش الجميع ضمن حالة عدل وأنصاف ومساواة في الحقوق والواجبات والامتيازات لئلا تبدو هنا وهناك فراغات وفقاعات هيأ لها الجو المشبَّع بالاستبداد والتحكم والسيطرة.

فالدعوة إلى أن يُحْسِنَ صاحب المنصب استخدام سلطته واستعمال صلاحياته واستثمارها لخدمة المجتمع وأصلاحه وتقويمه وتوجيهه والدفع به نحو الأفضل ونحو التكامل لتظهر فائدة وجود الإنسان على الأرض، ولئلا يكون كسائر المخلوقات الأخرى التي لا تساوي الإنسان في خلافته لله سبحانه على الارض.



حرف الهاء

◀ ١٩٤ - قال عليه السلام :

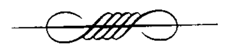
هلك امرؤٌ لم يعرف قَدْرَه .

لابد للإنسان العاقل المتدين بدين الله تعالى وشرائعه المقدسة أن يتوازن في أفعاله وأقواله كافة وأن لاينسى أنّه محاسب مسئول عن كل ذلك .

فإذا لم يتوازن ولم يحاسب نفسه ولم يتّبع الخط المستقيم في ذلك وانجرف مع التيار وانحرف مع هواه ولم يعتدل ولم يستقم كما أُمر فإنّه يندم ويتمنى لو كان قد عرف قدر نفسه وجعلها في الوضع المناسب لكان أبعدها عن ذلّ المساءلة والمعاقبة ، ولجنبها حالة الحرج والبعد عن ساحة رضوان الله تعالى وما أعده للمطيعين الذين لايميلون مع الرياح العاصفة بل يتحركون بحساب شرعي .

وهذا الأمر - اعني عدم معرفة الإنسان قدر نفسه - يظهر في مجالات الحياة المختلفة وعند الأفراد المختلفين فلا يقتصر على فئة دون أخرى بل هو بلية الغالبية فقد يتورّط البعض بيده أو برجله أو بعينه أو بلسانه أو بسمعه أو بسائر اعضاء بدنه بما يجعله مُداناً محاسباً يُطلب منه تقديم الاجابة والتفسير لقوله أو فعله .

فالدعوة إلى أن يعرف الإنسان أنّه مخلوق لله تعالى مملوك له فلا بُدَّ من أن لا يخرج عن ذلك الحد ولايتجاوزه و إلّا لكان عاصياً متمرداً فيستحق العقوبة الرادعة.



◀ ١٩٥ - قال عليه السلام:

هلك فيَّ رجلان: محبٌّ غالٍ(١)، ومبغضٌ قالٍ(٢).

إنّ موضوع لزوم موالاة الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع) من القضايا الثابتة عند المسلمين فقد رووا(٣) في ذلك والحثّ عليه والحضّ نحوه روايات بشكل مكثف ومتواتر عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم الذي لاينطق عن الهوى إن هو إلّا وحي يوحى، فيتبع ما يوحى اليه، فلا تحركه في مواقفه العاطفة، ولاتميل به الرحم والقرابة وإنّما هو الصادق فيما يبلِّغ ويقول، الأمين على الأحكام والأنفس والأموال، فانه رسول الله وخاتم الانبياء صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) من الغلو غلا في الأمر: جاوز فيه الحد. مختار الصحاح ص٤٨٠.

(٢) من القِليٰ والقَلاء وهو: البغض مختار الصحاح ص٥٥٠.

(٣) لمزيد الاطلاع يحسن مراجعه كتاب المراجعات والفصول المهمة للإمام شرف الدين (قده) فإنّهما يعرضان الروايات خصوصاً من طريق العامة بشكل موثق ومفصّل، كما يمكن مراجعة سائر المصادر في مبحث الإمامة.

وتتحقق الموالاة بالمتابعة والمحبة والسير على النهج وذات الخط وعدم الحياد عنه أو المناهضة له أو العمل ضده أو البراءة أو المخالفة في مناحي الفكر والعمل كافة.

ومن منطلق التسليم بذلك وفرضه كفرع من فروع الدين الإسلامي كانت هذه الحكمة تدعو إلى عدم التفريط بالترك والإعراض، وعدم الإفراط بالمغالاة وتصوّر حالات اخرى لا تضيف اليه شيئاً، بل تجعل معتقدُها خارجاً عن الملة والدين، وقد عبّرعليه السلام عمنْ تَرَكَ واعَرَضَ وعَانَدَ: بالمبغض القالي.

كما عبّر عن الموالي المفرط: بالمحب الغالي المتطرف المتجاوز الحد الصحيح، وفي الواقع إنّ المحب الغالي والمبغض القالي كلاهما قد ترك وتطرف وتجاوز الحد الصحيح فيهلك لأنّه قد خالف الله ورسوله فيكون مصيره النار.

فالدعوة إلى الابتعاد عن تجاوز خط الموالاة وعن المغالاة بحيث يتجاوز الحدّ الطبيعي والمعقول لشخصية الامام (ع).

كما تدعو إلى الابتعاد عن خط المعارضة والمقاطعة بشكل مستمر وعلى طول الخط، لأنّ كليهما يعنيان عدم التدين وعدم الواقعية في التعامل مع الآخرين وإنّما تحت تأثير المحبة المفرطة أو العصبية المقيتة فلا يكون ممتثلًا للأوامر الشرعية فيهلك.



◀ ١٩٦ - قال عليه السلام :

الهمُّ نصف الهرم.

إنّ هذه الحكمة تختصر بكلماتها الثلاث جميع عبارات الشكوى والتألم كما تختزن وتختزل جميع عبارات المواساة ووسائل التسلية والتهدئة المعهودة، فإنّها تشخِّص العلة وتشير إلى السبب وتحدّد الحالة بما يعطي علاجاً يمكن أي أحد الاستفادة منه بشرط الابتعاد عن الهم.

وللهم اسباب كثيرة تؤدي إلى أن يضعف الإنسان ويبلغ أقصى الكِبَر فيكون بلغ مرحلة الهرم بكل ما تعنيه من مؤشرات على العجز والشيخوخة وعوارض ذلك المرضية التي يتفاداها الإنسان بشكل طبيعي تشبثاً منه بالحياة، ومدة بقاء أطول وأدوم.

فالدعوة لأن يبتعد الإنسان عن الهم والحزن وما يعكر عليه صفو الحياة ليهنأ بحياة بعيدة عن شبح الهرم وما يعنيه من ضعف في الهمة والجسد والقوى العقلية والبدنية وبداية العد التنازلي نحو الموت.

وقد يتوجه أحد باعتراض: بأنّ الهمّ يلازم الإنسان أحياناً كثيرة فكيف يمكن الابتعاد عنه وتفادي العيش معه؟

فيكون الجواب : بأنّ الحكمة قد شخّصت الداء ووضعت الدواء، وليس من مهمتها التطبيق على الحالات وإزاحة الهموم لينجح الدواء، لأنّ شأن جملة من التشخيصات أن يعارضها استدامة الداء وعدم القدرة على التغلب عليه وهو امر آخر فلا يكون نقضاً أو محلّا للايراد.

حرف الياء

◀ ١٩٧ - قال عليه السلام:

يا ابن آدم: إذا رأيت ربّك سبحانه يتابع عليك نعمه وأنت تعصيه فاحذره.

أسلوب فذ من اساليب الوعظ والارشاد إلى الابتعاد عن المعاصي وعدم التورّط فيها وذلك لأنّ من المعلوم أنّ الله تعالى خالق السماوات والارض وجميع ما في الكون من عجائب وغرائب، وهو قادر لا يعجزه شيء والإنسان من جملة مخلوقاته فلا يخرج عن طوعه وإرادته، فإذا كان الإنسان عاصياً والله يواليه بالنعم ويتابعه بها ولم يقطع عنه فيضه ولم يحبس عنه رحمته فهل يعني عجزاً؟ أو ضعفاً؟ أو خوفاً؟ أو خروجاً عن القدرة والقوة؟ أو.. أو...

ومن المؤكد أن يكون الجواب بالنفي وأنّه لا يعني شيئاً من هذه أبداً، فيبقى الجواب: ان الله تعالى يقابل إساءات العبد بالإحسان المتواصل تكرماً وتفضلاً وإنعاماً وتلطفاً وتتمةً كما بدأه قبل ذلك منذ لم يكن الإنسان شيئاً مذكوراً إلى أن صوّره وصيّره ويبعثه بعد الموت ليحاسبه فهي سلسلة تفضلات وقائمة انعامات لا تحصى ولا تحصر...

فعندئذ يجب على الإنسان أن يحذر من العقوبة ويخاف من السطوة ويتنبه لنزول البلاء عليه من حيث يشعر أو لا يشعر في بدنه، أولاده، زوجته، ابويه، اخوته، بقية عائلته، أمواله، منصبه، جاهه...

فالدعوة إلى أن يتنبه الإنسان الذي يرتكب المعاصي إلى نفسه ويرتدع لأنّ الله قادر على كل شيء ولا يعجزه شيء مهما كان عظيماً فعدم أخذه بالبلاء وعدم تعجيل العقوبة وترك العبد مع هواه إنّما هو استدراج واستمهال لتكمل أوراق إدانته فيأخذه بالعقوبة أخذ عزيز مقتدر.



◀ ١٩٨ - قال عليه السلام:

يا ابن ادم: كن وصي نفسك في مالك واعمل فيه ما تؤثر[١] أن يُعملَ فيه مِنْ بعدك.

الأعم الأغلب من الناس تود إدامة الخير والمثوبة لأنفسهم فيما بعد الموت، وهو أمر مشروع طبيعي ربّما ينشأ من حبّ الذات وتغلب الأنا إلّا أنّه يمكن جعله تحت مظلة شرعية وهي الروايات الحاثة على فعل الخير وادامته لما بعد الوفاة حفظاً لحقوق

(١) أي تحب وتريد.

المنتفعين، ونفعاً للراغبين سواء الأموات أو ذويهم الأحياء ممن يحبّون لهم الخير فيشمل جميعَ الاطرافِ الاجرُ والثوابُ وهذا شأن كرم الخالق وسعة رحمته سبحانه.

إلّا أنّه لابُدَّ للإنسان من أن لا يعوِّل على الآخرين ولايعتمد على أولاده أو أقاربه فإنّ لهم شغلهم وأشغالهم الصارفة لهم عن ذلك بالمرة أو بشكل مؤقت وجزئي فلا يصل الثواب بالمقدار المتوقع والمطلوب.

فلابُدَّ من أن يبادر الإنسان إلى عمل الخير بنفسه بل ويحرص على ذلك كأنّه موكل من قبل غيره في ذلك إذ عادةً ما يحرص الإنسان على تأدية الأمانة والخروج من العهدة بالشكل المطلوب وبأسرع فرصة ممكنة. فلابُدَّ للإنسان من أن يتخذ زمام المبادرة ويتقدم نحو الخير ويسعى اليه في مجالاته كافة ومختلف اشكاله ليضمن لنفسه رصيداً اخروياً يتزوّد منه عند الحاجة والذي لايمكن تقديرها لأنّها تظهر تدريجياً عند المساءلة والحساب، فلابُدَّ من تأمين غطاء خيري كافٍ له على مختلف الاحتمالات، ولايكون ذلك إلّا بالمثابرة على العمل الصالح والسعي الخيري.

ولمّا كان الغالب في تمشية الامور والتوصل إلى القضايا المرادة عن طريق المال كان التركيز عليه في الحكمة ولأنّه كثيراً ما يحرص عليه الإنسان ويحاول أن لا يفرط في وجوده مهما أمكن إذ قد تسخو نفسه بالسعي وجاهياً ومعنوياً ولاتسخو مادياً ونقدياً.

فكان لا بُدَّ من معالجة الظاهرة بشكل جاد حازم فكانت الحكمة تدعو إلى أن يقدم الإنسان لآخرته بنفسه ولاينتظر من غيره ذلك لأنّ الشيء المضمون والمؤكد هو ما يعمله هو بينما ما يعمله غيره من الأولاد والأهل والمعارف والأصدقاء فهو غير مضمون ولا يخرج عن كونه توقعاً وتصوراً ولا بُدَّ للإنسان من أن يكون عملياً في تصرفاته أكثر من ذلك.



◀ ١٩٩ - قال عليه السلام:

يا ابن ادم: لا تحمل همّ يومك الذي لم يأتك على يومك الذي قد أتاك فانه إنْ يك من عمرك يأتِ الله فيه برزقك.

كثيراً ما يتحسب الإنسان لمستقبله ويحاول ضمانه من الناحية المادية وتأمين احتياجاته وتغطية مصروفاته ونفقاته بل يدّخر - أحياناً - مالًا ونحوه ضماناً للمستقبل.

وهذا شيء طبيعي ولابأس به إلّا أنَّ الاهتمام الزائد بذلك يؤثر سلباً على جوانب أخرى في حياة الفرد المسلم وقد يؤشر أحياناً على عدم الثقة بالله وعدم التوكل عليه وعدم الاعتماد على تدبيره مضافاً إلى ضعف التدابير المتخذة مهما كانت قوية ومتينة.

لأنّ البقاء في الحياة إنّما هو بإشاءة الخالق تعالى، وإنّما يحتاج

الإنسان إلى كل تلك الضمانات والاحتياجات فيما لو بقي حياً، إذن لابُدَّ من الاهتمام بالحاضر وعدم المبالغة في الاهتمام بالمستقبل لأنّ ذلك مصدر همّ نفسي وقلق لامبرر له سوى التعجّل والجشع وعدم القناعة بالحاضر وعدم الاتعاظ بحال الماضين وهذا، كله ما لا يُحمد أمره ولا يقرّه العقل والطبع السليم.

فالدعوة إلى أن لايضيف الإنسان على نفسه مصادر الهموم ولايعدّد منافذها بل يواجه الحالة الحاضرة وقد تكفّل له بالمستقبل الآتي مَنْ هو أملك وأقدر منه للمستقبل وعليه وهو الله الخالق تعالى.

ومَنْ لم يتعايش مع هذه الحكمة فمصيره إلى المصير نفسه مع اضافة التعب وتجميع الأموال للآخرين من الورثة أو غيرهم وتحمل الهمّ النفسي والتعب الجسدي وهو ما لا يريده عاقل...



◀ ٢٠٠ - قال عليه السلام:

يا بن آدم: ما كسبت فوق قوتك فأنت فيه خازن لغيرك.

إنّ هذه الحكمة جاءت امتداداً لسابقتها وتعبيراً آخر عن ذات المضمون وهو الحث على القناعة والدعوة إلى الاهتمام بالحاضر وعدم المبالغة في الاهتمام بالآتي القادم لأنّه من موارد الإجهاد الفكري والعضلي من دون فائدة معقولة وعملية.

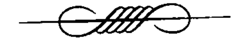
وهو تدبير للغير وحفظ وتهيئة لشئون الورثة أو غيرهم - كالمحتالين أحياناً - وأحسب أن لا أحد يرضى بأن يكون مستخدَماً لغيره من دون ما أجر أو جزاء.

وعملية الخزن والتجميع للغير - من الورثة أو غيرهم - أنّما تتم كذلك إذ لا يقدر الورثة فضلًا عن غيرهم الحالةَ التي جمعت فيها الأموال وما كابده جامعها وما قاساه من المصاعب والمشاق حتى تكوّنت الثروة أو مجرد المجموعة التقديرية أو العقارات أو سائر ما يدّخره الإنسان على أساس أنّه لابُدَّ من أن يتركوا شيئاً لأبنائهم كما ترك آباؤهم.

فإنّ المسألة تكون وقتئذ في إثبات صحة فعل الآباء! ثم جعل ذلك سُنةً تقتدى وتُتبع.

ومن الآثار الحميدة للالتزام بهذه الحكمة أو سابقتها أنّ الكل يأخذ فرصته المناسبة في الحياة ولايكون أحدٌ على حساب أحدٍ، فإنّ احتكار فرص عمل لشخصٍ أو مؤسَسةٍ معينةٍ مما يخلّ بأخذ أشخاص آخرين لفرصهم في الحياة العملية التي يحتاج الجميع إلى التعايش فيها والسعي وراء القوت وسائر المستلزمات الضرورية والكمالية.

فلو تدبّرنا هذه الحكمة لكففنا أنفسنا عن الادّخار والجمع والخزن فوق مايُقَدَّر لحياة طبيعية للإنسان الاعتيادي. . . .



◀ ٢٠١ - قال عليه السلام:

ينـزل الصبر على قدر المصيبة، ومَنْ ضرب يده على فخذه عند مصيبته حبط عمله.

قد يظن البعض ممن يبتلى بفقد عزيز أو مال أو منصب أن مصيبته فادحة لا تحتمل ولا يمكن تجاوز المحنة ولا العيش بعدها و. . و. . . مما يكثر ترديده في مثل هذه الحالة بما يؤجج نار الحزن ويضخم ألامر فيعطي فرصةً للشيطان فيعبث بالإنسان المتوازن فيفقد صوابه ويختل توازنه الفكري أو الفعلي.

وهذا أمر كثير الحدوث فكان لا بُدَّ من طرح شيء ينفع في تحجيم المشكلة وتقليص تكررها فكانت هذه الحكمة تبيّن أنّ الصبر هبة الله تعالى لعباده المبتلين ينقذ به حالتهم ويدبِّر به وضعهم الراهن. ومن الطبيعي أن تكون تلك الهبة وما فيها من علاج ووسيلة إنقاذ وافية بالمطلوب مؤدية للغرض المقصود ولذا قد عبّر عليه السلام بأنّ الصبر يكون بمستوى حجم المصيبة النازلة فتكون قوة التحمل عند المبتلى بمستوى يؤهله لتجاوز المحنة وعبور الازمة. وليس بمعنى ان الله يلجأه إلى شيء أو يتحكم به قهراً من دون إرادة، بل بما أودعه عنده من عقل جعله قادراً على الإيمان ومواجهة القضايا والتعامل معها وفق الحالة الثابتة.

كما بينت الحكمةُ أمراً مهماً آخر وهو أنّ الاعتراض وعدم التلقي

الإيحابي للمصيبة إنّما يقلّل من فرصة الاجر والثواب ويحوّل القضية لغير صالح المصاب والمبتلى لأنّه اعترض ولم يقبل بقضاء الله تعالى وإرادته الحكيمة فيستحق المجازاة بالحرمان من الأجر الموعود به.

ومن الشائع هو ضرب الفخذ أو خدش الوجه أو اللطم أو شق الثياب أو الخروج بحالة مزرية اجتماعياً أو بدون حجاب بالنسبة للمرأة أو تطويل الشعر - أحياناً - أو غير ذلك مما تتعارف ممارسته في مختلف البلدان والاماكن احتجاجاً واعتراضاً على ما حدث من مصاب، وهذا كله بلا موجب لما تقدم بيانه.

فالدعوة إلى أن يتلقى الإنسان مصابه بالعزيز أو المال أو أي شيء مهم آخر بالصبر ولا يظن أنّه لايقدر على ذلك لأنّ قوته الايمانية وطريقة تفكيره المستقيمة تؤهلانه للمقاومة والثبات.

كما تدعو الحكمة إلى ترك العادة الجاهلية المقيتة المتمثلة بضرب الفخذ فإنّه يعني عدم التسليم بقضاء الله وعدم الرضا بما أراد وهما من موادّ العقوبة في الآخرة.



◄ ٢٠٢ - قال عليه السلام:

يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم.

تجيش النفس أحياناً عندما تتذكر حالات الظلم والتجاوز الذي

لحق بها من الآخرين، وقد تثأر للانتقام والنيل من المعتدي، وقد تتطور الحالة إلى أحقاد تبقى في الأعقاب، وعندها تتضخم المشكلة و تتجذر فلا تكون سهلة التناسي أو التسامح أو التغاضي والتحالم فلأجل ذلك كله ونحوه كانت الحكمة تدعو إلى أمرين مهمين يخصان الطرفين: الظالم والمظلوم، أمّا الظالم فتهديد بالعقوبة والنهاية الأليمة من خلال بيان أنّ غصته يومئذ وهو يوم القيامة لايمكن تجرّعها ولامفر، ولايوجد مَنْ يتوسط لرفع العقوبة أوتخفيفها لأنّها بإشراف حاكم عادل لايحيف ولايقبل بالظلم والتعدي.

وأمّا المظلوم فتهدئة للخواطر وتطييب للنفوس ومداواة للجروح التي تركها الظالم في المظلوم، وذلك من خلال بيان أنّ الظالم سيلقى جزاءه من الذي هو أقوى وأعز، ولايفوته أحد، ومَنْ قد تكفل بنصرة المظلوم فهو تطمين بعدم ذهاب الحق، ووعد بأنّ الغصة المؤقتة تتحول إلى دائمة على المعتدي الظالم وفي ذلك تخفيفٌ للآلام وتقليلٌ من فرص وقوع الجريمة أو حدوث الانتهاكات الاخرى التي يلجأ اليها المظلومون المعتدى عليهم وما يستتبع ذلك من تعديات وتجاوزات قد تلحق حتى الابرياء وهو ما لايرضاه عقل أو شرع.

فالدعوة إلى أن يكفّ الظالم عن ظلمه، وأن يأمن المظلوم فهو في رعاية الله تعالى وتحت حكمه العادل.

ومن المؤكد أنّ الظلم يختلف باختلاف الحالات والاشخاص المعتدين والمعتدى عليهم فلايأخذ شكلًا واحداً كالقتل ونحوه بل له عدة اشكال يجمعها تجاوز الحق، وعدم الإنصاف لصاحب الحق، والجور، والتعدي، ولذا كان لزاماً على الجميع في مختلف مواقع المسئولية في الحياة بدءاً من البيت والعائلة والى أرفع المستويات الادارية - كان لزاماً - التحفظ من الوقوع في مطبّات الظلم أو الجور على أحد في قول أو فعل، بالمباشرة أو بالتسبيب لذلك، بشكل جدي أو هزلي يؤدي لذلك مع القصد اليه.

وفي الختام أود أن أشير إلى نقطة مهمة أرجو أن يتنبه لها القارئ الكريم وهي: أنّ هذه الحِكَم وسواها مما ينسب للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام تشير بوضوح للآيات القرآنية الكريمة التي تتفق معها في ذات المضمون والمعنى، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدل على استقاء الإمام عليه السلام من مَعين القرآن، وصدق القائل في كلام الإمام عليه السلام أنه: فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق، وهو أيضاً كما قال الآخر: كالأخ الصغير للقرآن، فهو من ثمراته ومن الدلائل الواضحة على عظمة القرآن فيمكن التعبير عن تلكم المعاني المرادة في القرآن بمختلف الألفاظ ومن أحسنها ما يرد في كلام النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وكلام الإمام علي (ع) وهذا واضح لمن تأمل ودقق.

والحمد لله رب العالمين الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا فيض رحمته، وجميل عنايته، وفضل تسديده؛ فأسأله تعالى دوام ذلك، وأن يأخذ بأيدينا جميعاً لما فيه خيرنا في ديننا ودنيانا، وأن يجعلنا من العاملين بالقرآن والسنة النبوية ووصايا أمير المؤمنين (ع) لنضمن صلاح الحال، وأن يتقبل هذا العمل بلطفه وكرمه. واتمنى أن أكون قد ساعدتُ القارىء الكريم على استخلاص ما ينفعه في حياته العامة والخاصة، كما اتمنى أن نصل معاً إلى فهم صحيح أو مقبول لهذه الكلمات الحَكَمية الحكيمة فلست أدّعي شيئاً سوى أنّي حاولت هذه المحاولة تقرّباً لله تعالى، وولاءً لأمير المؤمنين (ع) وأداء لواجب حق الإخوان والأخوات لئلا يقولوا ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾[1]، وغاية المُنى أن نكون جميعاً مرضيين لديه تعالى، والله الموفّق، عليه توكلت واليه أُنيب، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.



(١) سورة الاعراف، آية (١٧٢).

المصادر

١ - أساس البلاغة: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري / ط دار صادر بيروت سنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.
٢ - اصول الكافي: محمد بن يعقوب الكليني / المطبعة الإسلامية طهران سنة ١٣٨٨م.
٣ - أقرب الموارد: سعيد الخوري الشرتوني.
٤ - الإمام علي نبراس ومتراس: سليمان كتاني - ط٢ مطبعة الازهر - بغداد سنة ١٩٦٧م.
٥ - تأويل مختلف الحديث: لابن قتيبه/ ط دار الكتاب العربي بيروت.
٦ - تحت راية الحق: الشيخ عبد الله السبيتي / ط٢ باكت جي طهران سنة ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م.
٧ - الترغيب والترهيب: زكي الدين عبد العظيم المنذري. ط٣ دار احياء التراث العربي بيروت سنه ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
٨ - التعريفات: الجرجاني. دار الشئون الثقافية العامة - بغداد.
٩ - تفسير الفخر الرازي - ط٢ دار الكتب العلمية - طهران.
١٠ - تفسير الكاشف: محمد جواد مغنية. ط.٢ دار العلم للملايين. بيروت سنة ١٩٧٨م.
١١ - تفسير النسفي - ط دار إحياء الكتب العربية - مصر.
١٢ - التوحيد: الشيخ الصدوق / منشورات المكتبة الحيدرية، النجف سنة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

١٣ - جامع الترمذي. دار الكتاب العربي، بيروت.
١٤ - الجعفريات: المطبوع مع كتاب قرب الاسناد للحميري / المطبعة الإسلامية - طهران سنة ١٣٧٠هـ.
١٥ - جمهرة اللغة: لابن دريد - اوفسيت دار صادر بيروت.
١٦ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور: السيوطي منشورات المكتبة الاسلامية طهران.
١٧ - ديوان السماوي (الشيخ عبد الحميد) ط١ دار الاندلس بيروت سنة ١٣٩١هـ.
١٨ - الراعي والرعية: توفيق الفكيكي. ط٢ منشورات مكتبة المعارف بغداد سنة ١٩٦٢م.
١٩ - الروضة المختارة: صالح علي الصالح. ط١ مؤسسة النعمان بيروت سنة ١٩٧٩م.
٢٠ - شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي ط دار إحياء التراث العربي بيروت. و ط دار احياء الكتب العربية - مصر سنه ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م.
٢١ - صحيح البخاري: مطبعة محمد علي صبيح / مصر.
٢٢ - صحيح مسلم: مطبعة محمد علي صبيح / مصر.
٢٣ - الطب محراب الايمان: د. خالص جابي. مؤسسة الرسالة بيروت سنة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
٢٤ - العين: الفراهيدي. منشورات دار الرشيد للنشر - بغداد ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٢٥ - الغدير: الشيخ عبد الحسين الاميني. ط ٣ دار الكتاب العربي بيروت سنة ١٣٨٧هـ أ١٩٦٧م.

٢٦ - فضائل الخمسة من الصحاح الستة: السيد مرتضى الحسيني الفيروزآبادي. منشورات دار الكتب الاسلامية - النجف ١٣٨٤هـ.

٢٧ - الفهرس الموضوعي لآيات القران الكريم: محمد مصطفى محمد: ط ٢ / الخلود/ بغداد سنه ١٤٠٤هـ أ ١٩٨٤م.

٢٨ - في خُطى علي: نصري سلهب - ط١ دار الكتاب اللبناني - سنة ١٩٧٣م.

٢٩ - في ظلال نهج البلاغة: الشيخ محمد جواد مغنية - ط١ / دار العلم للملايين بيروت سنه ١٩٧٣م.

٣٠ - القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي - عالم الكتب / دار الفكر بيروت.

٣١ - قرة العيون: الفيض الكاشاني كتابفروشي إسلامية طهران.

٣٢ - كفاية الطالب في مناقب علي بن ابي طالب: محمد بن يوسف بن محمد الكنجي الشافعي. ط٢ منشورات المكتبة الحيدرية - نجف سنه ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م.

٣٣ - ما هو نهج البلاغة: السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني - ط٢ مطبعة النعمان / النجف سنه ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م.

٣٤ - مجمع الامثال: الميداني - ط مصر سنة ١٣٥٢ هـ.

٣٥ - مجمع البحرين: الشيخ فخر الدين الطريحي - منشورات دار الاحياء للكتب الاسلامية - النجف.

٣٦ - مجمع البيان: الطبرسي - دار إحياء التراث العربي، بيروت سنة ١٣٧٩هـ.
٣٧ - المحاسن: البرقي - منشورات المكتبة الحيدرية / النجف سنة ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.
٣٨ - مختار الصحاح: الرازي ط.١ دار الكتاب العربي بيروت سنة ١٩٦٧م.
٣٩ - مصادر نهج البلاغة وأسانيده: السيد عبد الزهراء الخطيب. ط٢ مؤسسة الاعلمي بيروت سنة ١٣٩٥هـ.
٤٠ - المصباح المنير: الفيومي. ط٨ المطبعة الاميرية بولاق سنة ١٩٣٩م.
٤١ - المعجزة الخالدة: السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني. ط٢ مطبوعات مكتبة الجوادين العامة / الكاظمية.
٤٢ - معجم المصطلحات العلمية والفنية: يوسف خياط - دار لسان العرب، بيروت.
٤٣ - المعجم المفهرس لالفاظ القران الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٤٤ - المفردات في غريب القرآن: الراغب الاصفهاني - مطبعة البابي الحلبي - مصر سنة ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.
٤٥ - مقدمة كتاب الامام علي صوت العدالة لجورج جرداق: بقلم ميخائيل نعيمة. منشورات دار مكتبة الحياة بيروت سنة ١٩٧٠م.
٤٦ - مقدمة كتاب النصائح الكافية لمن يتولى معاوية للسيد محمد بن عقيل: بقلم السيد محمد رضا الخرسان - ط٣ منشورات المكتبة الحيدرية - النجف. سنة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

٤٧ - ملحمة عيد الغدير: بولس سلامه. مطبعة النسر بيروت سنة ١٩٤٩م.
٤٨ - المناقب: الخوارزمي. منشورات المكتبة الحيدرية - النجف سنة ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
٤٩ - المنجد في اللغة: لويس معلوف ط٢١ دار المشرق بيروت.
٥٠ - من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق / ط٤ مطبعة النجف - النجف سنة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م.
٥١ - مواهب الرحمن في تفسير القرآن. السيد عبد الأعلى السبزواري / ط١ مطبعة الآداب النجف سنة ١٩٨٩م.
٥٢ - النصائح الكافية لمن يتولى معاوية: السيد محمد بن عقيل الحسيني. ط٣ منشورات المكتبة الحيدرية - النجف سنة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.
٥٣ - النهاية: ابن الاثير ط٤ مؤسسة اسماعيليان قم.
٥٤ - نهج البلاغة: الشريف الرضي شرح الشيخ محمد عبده: ط دار التعارف للمطبوعات تحقيق د. صبحي الصالح ط١ دار الكتاب اللبناني - بيروت سنة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
٥٥ - وسائل الشيعة: الشيخ محمد بن محمد الحر العاملي ط، ٤ دار إحياء التراث العربي، بيروت سنة ١٣٩١هـ.



الفهرس

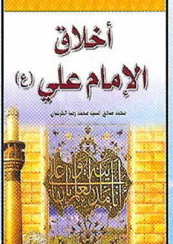


الكـاتب:

- ولد في النجف الأشرف - العراق عام ١٩٦٨م.
- أستاذ الدراسات الاسلاميّة في الحوزة العلمية - النجف الأشرف.
- شارك في ندوات ثقافية ومؤتمرات فكرية.
- له مؤلفات عدة.

...والكتاب:

هو شرح لمجموعة منتقاة من الحِكم المختارة من كلام الإمام أمير المؤمنين (ع).



وقد إنتقى المؤلف الحِكم المختصرة ليسهل تداولها حفظاً وفهماً.

يهدف الكتاب الى الإهتداء بهدي الإمام (ع) والأخذ بتوجيهاته من خلال التأمل لهذه الحِكم والتفكر في مغزاها.



بيروت - لبنان - ص.ب. ١٥٥/ ٢٥ الغبيري
هاتف وفاكس: ٠٠٩٦١ ١ ٨٤٠٣٩٢
E-mail:mortada14@hotmail.com

أخلاق الإمام علي (ع)

محمّد صادق السيّد محمّد رضا الخرسان